



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارحم الراحمين
عليهم يا صابغ

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

حياة ما بعد الموت

بمطالع
سيدنا محمد بن عبد الله

مؤلف
مطالع

مطالع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حياه ما بعد الموت

كاتب:

محمد حسين طباطبائي

نشرت في الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	حياه ما بعد الموت
٩	اشاره
٩	اشاره
١٣	مقدمه القسم
١٥	كلمه لا بد منها
١٧	المقدمه
١٧	اشاره
١٨	العمل في هذا الكتاب
٢١	ترجمه المؤلف
٢١	اشاره
٢١	اسمه وشهرته
٢١	أسرته ونسبه
٢٦	ولادته
٢٦	نبذه من سيرته
٢٦	تربيته ونشأته
٣٢	أخلاقه
٣٢	تواضعه
٣٣	زهده
٣٤	قله الكلام
٣٤	أب عطوف وزوج مثالى
٣٤	الاهتمام بالوقت
٣٥	السيره الروحيه
٣٦	أسراره الروحيه

٣٧	عبادته
٣٧	قارئ القرآن
٣٨	عاشق أهل البيت عليهم السلام
٣٩	منزلته العلميّه
٤٨	قالوا فيه
٤٩	أولاده
٥٠	إجازاته بالاجتهاد والروايه
٥١	مشايخه
٥٢	تلامذته
٥٥	تصانيفه ومؤلفاته
٦٠	وفاته
٦٢	مقدمه المترجم
٦٨	الفصل الأول: الموت والأجل
٦٨	اشاره
٧٠	الموت و الأجل
٧٠	اشاره
٧٧	الموت انتقال من عالم إلى آخر
٩١	الروح تنتقل مع الموت
٩٥	من الذي يتوفى الأنفس؟
١٠٤	الموت يكشف الحقيقه للإنسان
١٠٧	التبشير بالسعاده أو الشقاء بعد الموت
١٢٤	الفصل الثاني: البرزخ
١٢٤	اشاره
١٢٨	البرزخ
١٢٨	اشاره
١٤٠	تجسم الأعمال

١٥١	المتوسطون لا يخضعون إلى الحساب
١٥٤	تجسم الأرواح في البرزخ
١٥٧	لقاء الأموات بذويهم
١٦٠	حديث الشيطان مع أتباعه في القبر
١٦٦	الفصل الثالث: النفخ في الصور
١٦٦	اشاره
١٦٨	النفخ في الصور
١٦٨	اشاره
١٨٠	الذين يستثنون من حكم النفخ في الصور
١٩٣	الآخرة بعد الدنيا
١٩٤	الآيات الداله على أحوال القيامة
١٩٦	الفصل الرابع: صفات يوم القيامة
١٩٦	اشاره
١٩٨	صفات يوم القيامة
١٩٨	اشاره
٢٠٤	بطلان الأسباب في يوم القيامة
٢٠٦	يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا
٢١٠	«لقيامه» محيطه بالدنيا والبرزخ
٢١٣	ظهور البارئ عز وجل في ذلك اليوم
٢١٥	تبدد الظلمه يوم القيامة
٢٢٠	الفصل الخامس: بعث الإنسان للمساءله
٢٢٠	اشاره
٢٢٢	بعث الإنسان للمساءله
٢٢٢	اشاره
٢٣٠	سير الأرواح إلى خالقها
٢٣٢	الفصل السادس: الصراط

٢٣٢	اشاره
٢٣٤	الصراط
٢٤٠	الفصل السابع: الميزان
٢٤٠	اشاره
٢٤٢	الميزان
٢٤٨	الفصل الثامن: صحيفه الأعمال
٢٤٨	اشاره
٢٥٠	صحيفه الأعمال
٢٧٤	الفصل التاسع: الشهداء في يوم البعث
٢٧٤	اشاره
٢٧٦	الشهداء في يوم البعث
٢٧٦	اشاره
٢٨٣	مراتب الشهداء
٣١٢	المصادر
٣٢٦	المحتويات
٣٣١	تعريف مركز

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزاره الثقافه العراقيه لسنه ٢٠١١: ١١٢٩

رقم الدولي ISBN: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٢٧٤

الطباطبائي، محمد حسين، ١٣٢١ ١٤٠٢ ق.

حياه ما بعد الموت / تأليف محمد حسين الطباطبائي؛ مراجعه وتعليق على القصير. الطبعه الثانيه . كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه، ١٤٣٣ق. ٢٠١٢م.

٣١٨ ص. (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبه الحسينيه المقدسه؛ ٨٥).

المصادر: ص. ٣٠١ ٣١٣؛ وكذلك في الحاشيه.

١. المعاد من الناحيه القرآنيه. ٢. الموت من الناحيه القرآنيه. ٣. البرزخ من الناحيه القرآنيه. ألف. القصير، علي، ١٩٦٧ م، محقق. ب. العنوان.

١٤٢٩ق. ٩ ح / ٢ ط / ١٠٤ BP

تمت الفهرسه في مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه قبل النشر

ص: ١

ص: ٣

حياه ما بعد الموت

تأليف

السيد محمد حسين الطباطبائي

مراجعته وتعليق

السيد علي القصير

الطبعه الثانيه

إصدار

شعبه التحقيق

في قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبه الحسينيه المقدسه

ص: ٤

جميع الحقوق محفوظه

للعته الحسينيه المقدسه

الطبعه الثانيه

١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م

العراق: كربلاء المقدسه - العته الحسينيه المقدسه

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمه القسم

الحمد لله الذى رفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات حمداً لا يقوى على إحصائه إلا هو، والصلاه والسلام على شفيح الذنوب وحبيب القلوب أبى القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تظافرت جهود الأخوه فى قسم الشؤون الفكرية إبتداءً: بشعبه التحقيق ومروراً بالمنقح اللغوى والمخرج الفنى والمصمم لتخرج لنا الكتاب الثانى الموسوم «حياه ما بعد الموت».

فلقد بذلت شعبه التحقيق جهوداً مشكوراً فى توثيق وتحقيق هذا الكتاب القيم للعلامه السيد محمد حسين الطباطبائى صاحب تفسير الميزان ليكون نافذه يطل من خلالها الباحث أو المثقف الإسلامى على العالم الآخر الذى يختلف تمام الاختلاف عن عالم الدنيا، وقد أخذ هذا الكتاب موضوعه بين الكتب المحققه التى قدمها قسمنا للقارئ الكريم.

قسم الشؤون الفكرية والثقافيه

كلمه لا بد منها

كلمات السيد محمد حسين الطباطبائي...

كيف كتبها؟

وكيف تؤثر في النفس؟

الكلمه ينبوع يفيض بالمعاني، لاسيما إذا كانت تحمل في طياتها معاني الحكمة.

إن السيد الطباطبائي كان حينما يرسم الكلام يمسك ريشه الحقيقيه، مع لون الإبداع؛ لتحيي المعاني بحروف النور، وتشرق بالطيف السامى فى النفوس.

ولما كانت الكلمه بذره تنبت فى القلوب لتحيي الروح بهيولانات العلم، أضحت حروفه غديرا.

فلا سراب ولا جهل فى كلماته التى هى حب وفضيله ووطن تنبع من الوجود، ليبقى الوجود فيضا فى ظلاله تحيي جواهر النفس وتخلد بآثارها.

فقد كان الفيلسوف ينظم الحروف لتسطع الكلمه كالوحي في الصدور، فيسمو بها الفرد بما يحمل من عقب الفكر بين أمواج الحيره.

وقد شرّع في كتابه حياه ما بعد الموت منهاجا آثر فيه الإختصار والإقتصار على المفاهيم العامه كما أوضح في مقدمته، وأثبت دعائم بحثه مفسرا للآيه بآيه أخرى وللروايه بروايه أخرى.

وكأنه أراد أن يستفيق ذوو الغفله من سبات بصيرتهم ويتزودوا من دار فانيه لدار باقيه، مبيناً مع البرهان منازل رحله الخلود.

وقد قرأنا ما بين السطور في كتابه وجمعنا رفات ساريه السطور فأشرقت كلمات الرايه...

الكلمه حياه أولها كلمه.

وكانت كلمه العلامه الطباطبائي بلسما يفوح شذاها لمن يطالع كتابه هذا الذي بين أيدينا حيث يدرك الحياه ما بعد الموت ليحيا بالبصيره في النشأتين.

المحقق / السيد على القصير

المقدمه

اشاره

لقد خاضت الأمم السابقيه فى ماهيه «الحياه ما بعد الموت» الغمار، واستخلصت كل أمه رأيا لها، وعندما بزغ فجر الإسلام سلسل مراحل الحياه فى النشأتين. ووضع لكل منها نهايه، وكان المعاد هو المرحله الأخيره من حياه ما بعد الموت، أى: الرجوع فى النشأه الأخرى.

وحيثما شغل هذا الجانب من الغيب كافه طبقات المجتمع الإسلامى راح يكتب فيه أرباب الفكر بألوان أقلامهم ما فقته عقولهم على وفق مراحل التاريخ المختلفه، ثم شرع العلامه الطباطبائى بعدهم ليصنع سفينه حروفه بلون يشع الحياه، تشرق من خلاله المعانى، وأسمى رحلته «حياه ما بعد الموت».

إن المكانه المرموقه للعلامه الطباطبائى فى تراثنا الشيعى لا سيما فى الفلسفه والعرفان وما تميز به جعلت اللجنه المشرفه على التحقيق والنشر فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبه الحسينيه المقدسه أن تقرر العمل على هذا السفر الرائع من لثالىء العلامه بعد أن اطلعت على جواهره، والرؤى التى مزجت فلسفته مع

تفسيره الآيه بالآيه والحديث بالحديث، وجعل لواقح أفكاره عبقات زاخره بالنور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته معدن العلم عليهم السلام . ولما فى هذا الكتاب من عبره للإنسان وكشف الحجب عن الأذهان باليقين لما صار إليه السابقون وما هو كائن فيه بعدهم.

لذلك شرعنا بالتعليق على هذا الرحيق الرائق بعنايه نروم من خلالها تثبيت وتوثيق النصوص، وتعريف الاصطلاحات، وشرح الغريب.

هذه شذرات من فيض الجهود، نهلت إخلاصها من عشقها للعلم، ليخرج الكتاب برونقه الجديد، فتشرح به أفئده السالكين صراط النجاه، وتكتحل حدقات عيونهم بمعانيه التى تتلو ذكرها بصمت فى مسجد القلب.

العمل فى هذا الكتاب

١. تخريج الآيات، والأحاديث، والنصوص، والاقبسات، وغريب اللغة، وإرجاعها إلى مصادرها.

٢. الاعتماد على مراجع معتمده فى علوم القرآن، والحديث، والرجال، واللغه، والغريب، وقد ذكرناها مفصلا نهايه الكتاب.

٣. الاعتماد على كتب المدرستين الخاصه والعامه.

٤. بيان التفصيل فى الحاشيه للعنوان، بذكر الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحه والباب والفصل ورقم الحديث، وجميع الدلالات التى تيسر للباحث سرعه الوصول إلى المطلب ضمن أية طبعه للكتاب الذى اعتمدنا عليه فى الأخذ منه.

٥. عدم تكرار ترجمه العَلم، أو الغريب من اللغه في حال تكرر وروده.

٦. نذكر في بعض الموارد بعد ذكر المصدر نص الحديث، وهذه حسب أهميه البحث واعتماد المؤلف على النص للتحليل منه، وأحيانا لأهميه الحديث خلال البحث.

٧. إذا ورد في بدايه الصفحه نص أوله: (قال عليه السلام) نقول: (الإمام الصادق عليه السلام) مثلا، وإذا كان وسط الصفحه وليس في بدايتها، وقد ذكر في بدايتها قبله معصوم واسترسل المؤلف بالكلام قائلا: (وقال عليه السلام) عاطفا بقوله للمعصوم نكتب: (أى: الإمام الصادق عليه السلام) مثلا.

٨. نذكر المصدر مسبقا بكلمه (أنظر) تدل على اختلاف يسير في الحديث، أو يكون فيها النص مضمونا.

٩. اعتمدنا في التعليق على هذا الكتاب «حياه ما بعد الموت» للسيد محمد حسين الطباطبائي على النسخه المطبوعه في دار التعارف للمطبوعات بيروت والنسخه من مقتنيات مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه تحت الرقم ٩ ح ٢ ط / ١٠٤ BP، كربلاء المقدسه.

١٠. تم ذكر المراجع التي اعتمدنا عليها نهايه الكتاب مع بيان هويتها.

السيد على القصير

شعبه التحقيق

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العتبه الحسينيه المقدسه

ترجمه المؤلف

أشاره

السيد محمد حسين الطباطبائي

١٣٢١هـ ١٤٠٢هـ

اسمه وشهرته

السيد محمد حسين بن محمد بن محمد بن علي أصغر شيخ الإسلام القاضي الطباطبائي التبريزي (١).

أسرته ونسبه

قال الحسيني: نسب أستاذنا العلامة فإنه من جهة الأب يعود إلى الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وهو من سلاله إبراهيم بن إسماعيل الديباج.

١- المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي: ٤٧٢. وانظر: المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمه الجياشي: ٢٤.

ومن جهة الأم من أولاد الإمام الحسين عليه السلام .

ولهذا نجده في آخر كتبه التي ألفها في شاد آباد تبريز يختم الكلام بالتوقيع التالي: «السيد محمد حسين الحسنى الحسينى الطباطبائى».

فهو: السيد محمد حسين بن السيد محمد، بن السيد محمد حسين، بن السيد على الأصغر، بن السيد محمد تقى القاضى، بن الميرزا محمد القاضى، بن الميرزا محمد على القاضى، بن الميرزا صدر الدين محمد، بن الميرزا يوسف نقيب الأشراف، بن الميرزا صدر الدين محمد، بن مجد الدين، بن السيد إسماعيل بن الأمير على أكبر، بن الأمير عبد الوهاب بن الأمير عبد الغفار، بن السيد عماد الدين أمير الحاج بن فخر الدين حسن، بن كمال الدين محمد، بن السيد حسن، بن شهاب الدين على، بن عماد الدين على، بن السيد أحمد، بن السيد عماد بن أبى الحسن على، بن أبى الحسن محمد، بن أبى عبد الله أحمد، بن محمد الأصغر (المعروف بابن خزاعيه) بن أبى عبد الله أحمد، بن إبراهيم الطباطبائى، بن إسماعيل الديباج، بن إبراهيم الغمر، بن الحسن المثنى، بن الإمام أبى محمد الحسن المجتبى، بن الإمام الهمام على بن أبى طالب عليه وعليهم السلام.

ولأن أم إبراهيم الغمر هي فاطمة بنت الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام ، لهذا فإن الساده الطباطبائين الذين يرجعون إلى إبراهيم الطباطبائى الذى هو حفيد إبراهيم الغمر، جميعهم حسينيون من جهة الأم(١).

١- الشمس الساطعه، السيد محمد الحسين الحسينى: ٣٣٣١. وانظر: سيره العلامه الطباطبائى بقلم كبار العلماء والأعلام: ٨١.

وترجع نسبه (الطباطبائي) إلى أحد أجداده في السلالة الحسنيه المباركه إبراهيم المعروف بطباطبا بن إسماعيل الديباج، من أحفاد الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) وللعائله لقب آخر هو (القاضي)، توارثته عن جده السادس المعروف بالسيد الميرزا محمد علي القاضي قاضي القضاة في إحدى مناطق أذربيجان، وهو اللقب الذي كان يعرف به عند مجيئه إلى مدينه قم المقدسه، لكنه اختار بنفسه لقب الطباطبائي فيما بعد.

كان والده السيد محمد القاضي من علماء المنطقه حيث إن سلسله آباء وأجداد العلامه كانت من العلماء الأعلام المعروفه هناك.

أما الحسنى فهو نسبه لجهه الأب، وأما الحسينى فلأن جدته فاطمه بنت الإمام الحسين (عليه السلام) كما أشرنا.

ولاشك أن هذه البيئه العامره بالعلم إضافه إلى عوامل أخرى قد وفرت مناخات خصبه لنبوغ السيد العلامه (قدس سره)، رغم الظروف الصعبه التي رافقت طفولته وشبابه، بل لعل الصعوبات تتحول إلى حوافز للإبداع عند أمثاله (١).

قال ابن عنبه فى عمده الطالب: أما إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج، ولقب «طباطبا» لأن أباه أراد أن يقطع له ثوباً وهو طفل، فخيره بين قميص وقبا، فقال: طباطبا، يعنى قبا.

وقيل: بل أهل السواد لقبوه بذلك، وطباطبا بلسان النبطيه سيد السادات (٢).

١- نظريه المعرفه والإدراكات الإعتباريه عند العلامه الطباطبائي، على أمين جابر آل صفا: ١٩٢٠.

٢- عمده الطالب فى أنساب آل أبى طالب، ابن عنبه: ٢١٠ ٢١١. وانظر: الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمى: ٢/٤٤١.

قال العامري: الطباطبائي: إسم لجماعه من الهاشميين الكرام ينتسبون إلى جدهم العالى (إبراهيم طباطبا) بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام على ابن أبى طالب عليهم السلام ساده حسنيون هاشميون من أصول حجازيه وعراقيه فقط. من ذريه إبراهيم المذكور وقد تضمنت سلالته الزكيه عدداً عظيماً من العظماء والعلماء ونوابغ الشعراء وأكابر الأمراء ممن خدموا العلم والأدب وأقاموا شعائر الدين ودونوا لخلفهم تاريخاً مجيداً وتراثاً علمياً خالداً وشرفاً تالداً تعتز الأجيال بها عبر الأجيال.

وقد رزق الله إبراهيم طباطبا بركه فى النسل وانتشاراً فى الأعقاب فامتدت فروعهُ الأصلية من الحرمين المحترمين المكي والمدنى إلى ممالك الترك وبلاد الرى وفارس وأذربيجان وبلاد الأفغان والهند وتخوم الشرق الأقصى إلى جانب المدن العراقية والسوريه ومصر والمغرب الأقصى وبطن الجزيره العربيه والبلاد اليمانيه.

قد اعتزت بلقبها (طباطبا) اعتزازهم بجدهم الأعلى (إبراهيم طباطبا) وخاصه فى اليمن حيث منهم أسره ملكهم السابق (الإمام يحيى حميد الدين) التى حكمت ذلك القطر لعهده قرون.

و(الطباطبائيون) منتشرون فى جميع أرجاء العالم بعدد هائل ولانتشارهم بكرائم الشيم وجميل الخصال وحسن السمع بين الناس إلى جانب تحليهم بالشهامه والنبيل ونصره المظلوم وكرم النفس واليد والخلق انتسب إليهم كثيرون لمجرد صله من الأمهات بالمصاهره فتركوا ألقاب أسرهم وتلقبوا ب(الطباطبائيه) التى هى حسنيه النسب بينما هم حسينيون أو من أسر أخرى وفضلوا الاشتهار بهذا اللقب.

ومن أفضل مزايا هذه الأسره الجليله (بعد محافظتهم على أنسابهم وأعقابهم) وهو أمر جوهرى تمسكوا به من قبل وتسامح فيه سائر الأسر، هو الانتساب إلى الجد البعيد دون القريب، فبينما نرى أكثر الهاشميين يتعرفون بمن بينهم وبينه أقل من قرن أو قرنين كآل الحكيم وآل بحر العلوم وآل الحبوبى وآل الحيدرى وآل العطار وأمثالهم، نرى الطباطبائيه فى مختلف أنحاء الأرض يتعرفون بمن بينه وبينهم أكثر من ألف عام ليصونوا من كل غمز وهمز ويعزوا أسرتهم التى جاوزت بضعه ملايين نسمة فى مختلف أنحاء الأرض.

وقد سبقهم إلى هذه الميزه الحسنه الساده الحسينيون وشرفاء الحرمين حيث يتعرفون باسم أسمى آبائهم (هو الإمام الحسن المجتبى ربحانه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأكبر أشبال حيدر الكرار على بن أبى طالب عليه السلام).

أما (الطباطبائيه) فيعود الفضل فى حفظ أنسابهم وتعزيز أعقابهم إلى الشريف أبى الحسن محمد بن أحمد الشاعر أحد أعالى آبائهم الطاهرين.

فإنه بعد انتقاله من مدينه جده المدينه المنوره بالحجاز إلى أصفهان عاصمه بلاد فارس... أوصى بنيه بشده المحافظه على سجلات الأنساب والأعقاب والتمسك بصله الرحم وأكد عليهم حبس الأموال والأوقاف على بنيتهم وذرياتهم دفعا لعاديات الفقر وصونا لتسلسل نسله ظهراً بعد ظهر فأصبح لهم بتوالى الأوقاف كيان فخم ونسل متوفر وعظيم فى مختلف البقاع والضياع وانتشر نسله فى تلك الأصقاع(١).

ولادته

ولد في قرية تدعى (شادكان) القريه من مدينه تبريز في المنطقه التركيه شمال شرق إيران والمعروفه بأذربيجان، في التاسع والعشرين من ذى الحجه (١) لسنه ألف وثلاثمائة وإحدى وعشرين هجريه (٢٩ ذى الحجه ١٣٢١هـ)، المطابق مع ١٢٨١ هجرى شمسي، و١٩٠٣ ميلادي (٢).

نبذه من سيرته

تربيته ونشأته

لقد فقد العلامه الطباطبائي أمه في السنه الخامسه من عمره، ولم يصل إلى السنه التاسعه حتى فقد أباه أيضاً؛ ولم يكن له منهما إلا أخ واحد هو السيد محمد حسن.

وحفاظاً على حياتهما من التداعي، تابع وصيهما رعايتهما كسابق الحال؛ واستخدم لأجل ذلك خادماً وخادمه، وأشرفا بشكل مستمر على أمورهما بدقه. حتى كبرا وأنهيا دراستهما الابتدائيه وتابعا دراسه المقدمات في تبريز؛ وحصل كل واحد منهما على قدره فائقه وفن رائق في الخط.

١- في كتاب نظريه المعرفه، قال على أمين: (من ذى القعده) وانفرد به، ولعله خطأ من الناسخ.

٢- أنظر: تذكره الأعيان، السبجاني: ٤٣٣. الشمس الساطعه، السيد محمد الحسين الحسيني: ٢٤. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوى: ٤٧٢. من أعلام الفكر والقياده المرجعيه، عبد الكريم آل نجف: ٣٦٦. إيضاح الحكمه في شرح بدايه الحكمه، على رباني: ٧. المجتمع الديني عند العلامه الطباطبائي، محمود نعمه الجياشي: ٢٤. نظريه المعرفه والادراكات الاعتباريه عند العلامه الطباطبائي، على أمين: ١٩.

كان المرحوم الأستاذ يقول: كنت أخرج في أغلب الأيام أنا وأخى من تبريز إلى سفوح الجبال والتلال الخضراء، لتتسلى بكتابه الخط من الصباح إلى الغروب، ومن بعدها هاجرنا سوياً إلى النجف الأشرف.

وفي جميع المراحل وطى المنازل العلميه والعملية، لم يفارق أحدهما الآخر، وبقياً معاً رفيقين شفيقين في السراء والضراء، كأنهما حقاً روح واحده في جسدين.

كان آية الله الحاج السيد محمد حسن الطباطبائي يشبه أخاه من جميع الجوانب: في نهجه ومسلكه، وسعه صدره وعلو همته، وحياته العرفانية المليئه بالزهد الحقيقي، والبعد عن أبناء الزمان وأهل الدنيا مقرونه بالتفكر والتأمل، والإدراك والبصيره، والتعلق بحضرة الأحديه، والأنس والألفه في زوايا الخلوات.

ومن جهه أخرى فقد عرف بقدرته الفكرية الواسعه، وعشقه للشرع المطهر وأهل بيت العصمه، والإيثار والتجاوز والصبر على نهجهم؛ وإعلاء كلمه الحق، وخدمه الفقراء والمستضعفين.

كان أنموذجاً بارزاً مشهوراً في أنحاء تبريز وأذربيجان؛ وكانت قداسته وطهارته موضع حديث الخاص والعام في تلك المنطقه.

وحقاً، ما أجمل أن يقال بشأن هذين الأخوين ما أنشده أبو العلاء المعرى بحق السيد المرتضى وأخيه الرضى، في قصيدته الطويله في رثاء والدهما:

أبقيت فينا كوكبين سناهما *** في الصبح والظلماء ليس بخاف

متأنقين وفي المكارم أرتعا *** متألقين بسؤدد وعفاف

قدرين في الإرداء بل مطرين *** في الإجداء بل قمرين في الإسداف

رزقا العلاء فأهل نجد كلما *** نطقا الفصاحه مثل أهل ديارف

ساوى الرضى المرتضى وتقاسما *** خطط العلا بتناصف وتصاف

وقد أمضى كل منهما عشره سنوات فى النجف الأشرف، منشغلين فى تحصيل الكمال؛ واشتركا معاً فى الدروس الفقيهيه والأصوليه، والفلسفيه والعرفانيه والرياضيه.

وبسبب ضيق المعيشه، وعدم وصول الراتب المقرر من مزروعاتهما فى تبريز اضطررا للرجوع إلى إيران والاشتغال بالزراعه والفلاحه لمدته عشر سنوات فى قريه شاد آباد التبريزيه حتى تحسنت أوضاع الزراعه، فهاجر الأستاذ العلامه إلى قم لحفظ عقائد الطلاب من هجمات الحوادث، أما أخوه فقد اختار تبريز مسكناً له وانصرف إلى التدريس.

وفى حوزة تبريز قام آيه الله الحاج السيد محمد حسن الإلهى بتدريس الفلسفه من «الشفاء» و«الأسفار» وسائر مؤلفات الملا صدرا، وفى بعض الأحيان كان يأخذ بيد عاشقى طريق الله؛ ويقودهم إلى منزل المقصود.

لقد كان بدوره إنساناً بعيداً كل البعد عن التكلف، متواضعاً، وخلقوا، تملأ قلبه الأسرار الإلهيه، عالماً بالضمائر، ومرب عظيم.

كان أستاذاً يمتدحه كثيراً، ويظهر تعلقاً شديداً وحباً جماً له، وكان يقول: عندما كنا فى النجف الأشرف حصلنا على نسخه خطيه لمنطق «الشفاء» لابن سينا لم تكن قد طبعت بعد، فنسخناها معاً.

ولم تمض بضع سنوات حتى رحل إلى الرفيق الأعلى.

وقد شيعت جنازته فى قم حيث ورى الثرى فى جوار مرقد المعصومه المطهر فى المقبره المعروفه ب«أبو حسين» قرب الجسر الحديدى المعروف بجسر «آهنجى» وقد ترك رحيله أثراً فى نفس أستاذنا وأدى إلى نشوء أو اشتداد ضعف قلبه وأعصابه.

والسبب الآخر الذى ترك أثراً عميقاً فى نفسه كان الذبحه القلبيه التى أصابت زوجته وأودت بحياتها.

فقد كتب يقول: لكن برحيلها شطر خط البطلان للحياه السعيده والهادئه التى عشت معها.

وهذه السيده المؤمنه هى أيضاً من عائله الساده الأطهار، ومن بنات أعمامه، وهى ابنه المرحوم آيه الله الحاج الميرزا مهدي التبريزى الذى كان مع إخوته الخمسه: السيد الميرزا محمد آقا، والسيد الحاج الميرزا على أصغر آقا، والسيد الحاج الميرزا كاظم آقا (صهر مظفر الدين شاه) والسيد الحاج الميرزا رضا، وأخ آخر من العلماء وأبناء المرحوم آيه الله الحاج الميرزا يوسف التبريزى.

وكان يقول: عيالى كانت سيده مؤمنه وعظيمه، وعندما تشرفت بزياره النجف الأشرف لتحصيل العلم كانت برفقتى، وكنا أيام عاشوراء نذهب إلى كربلاء للزياره، وعندما انتهت مده تحصيلى رجعنا إلى تبريز.

ذات يوم كانت جالسه فى البيت ومشغوله بزياره عاشوراء وكما قالت:

أحسست فجأه أن قلبى انكسر؛ وقلت لى نفسى عشر سنوات كنا إلى جانب المرقد المطهر لحضره الإمام أبى عبد الله الحسين فى عاشوراء؛ والآن لقد أصبحنا محرومين من هذا الفيض. وفجأه وجدت نفسى فى الحرم المطهر فى زاويته مقابل

الضريح المطهر أقرأ الزيارة. وخصوصيات الحرم كما هي؛ ولأنه يوم عاشوراء، والناس عادة تذهب لرؤيه مواكب العزاء التي تقام مقابل الضريح وسائر الشهداء، كان بعض الأشخاص واقفون للزيارة مع بعض الخدم. وعندما انتبهت، وجدت نفسى جالساً فى البيت، أقرأ بقيه الزيارة!

نعم، هذه السيده العظيمه مدفونه كذلك فى جوار السيده المعصومه سلام الله عليها فى مقبره آيه الله الحائري اليزيدى (١) فى الجانب الأيسر من الجناح الملحق، فى إحدى المواقع الخاصه بالعوائل.

وكان أستاذنا يزور هذه المخدره أولاً ثم أخاه ضمن زياره أهل القبور كل عصر خميس بدون انقطاع (٢).

قال عبد الكريم: بدأ رحله العلم الطويله فى مسقط رأسه تبريز، وذلك على أيدي الأفاضل من أسرته، وقد باشر التحصيل بإشراف معلم خاص درّسه اللغه الفارسيه ثم درس العلوم العربيه والإسلاميه حتى أتم مرحله المقدمات.

ومن ذكريات علامه فى هذه الفتره ما تحدث عنه قائلاً: «عندما كنت طفلاً لم أجد رغبه فى التحصيل، ومضت أربع سنوات لم أفهم ماذا أقرأ ولكنى فجأه وجدت نفسى مطمئناً وكأنى أصبحت على غير ما كنت عليه أمس، ومنذ ذلك اليوم والحمد لله إلى أخريات أيام دراستى زهاء سبع عشره سنه، ما كسلت وما

١- الصحيح: اليزدى نسبه إلى مدينه يزد، ولعل الخطأ من الناسخ.

٢- الشمس الساطعه، السيد محمد الحسين الحسينى: ٣٤ ٣٩. وانظر: تذكره الأعيان، جعفر السبحانى: ٤٣٤. نظريه المعرفه، على أمين: ٢٠ ٢٤. سيره علامه الطباطبائى بقلم كبار العلماء: ٨٢ ٨٦.

توانيت فى طلب العلم، فقد نسيت حوادث الدهر وملذات الحياه وتعاستها، انقطعت عن كل احد، وكل شىء غير أهل العلم وأصحاب الفضيله، مقتصرأ على الحاجيات الأولى فى الليل والنهار، ووقفت نفسى للدرس والتعليم، وطالما قضيت الليل فى القراءه خاصه فى فصلى الربيع والصيف حتى تطلع الشمس وأنا مشغول بالمطالعاه».

وفى عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) هاجر إلى النجف الأشرف، وكان عمره آنذاك ثلاث وعشرين سنه وأقام فيها مده عشر سنوات انكب أثناءها على تحصيل مختلف العلوم الإسلاميه، عازفاً عن كل اهتمام آخر، حتى حاز بهذه الفتره الوجيهه درجه الاجتهاد.

يحدثنا العلامه الطباطبائى عن ذكرياته فى هذه الفتره أنه عندما وصل إلى النجف كان متحيراً فى أمر الدراسه، فى اختياره لنوعيه الدروس والأساتذه الذين يحضر عندهم، وذات يوم كان جالساً فى البيت يفكر فى هذه المسأله ملياً وإذا بالباب تطرق فخرج العلامه لفتح الباب فوجد عالماً ذا هيبة ووقار فرحب به وأدخله البيت ثم تحدث ذلك العالم إليه قائلاً: إن الطالب الذى يهاجر إلى النجف لابد له من التفكير أولاً بأمر التزكيه والتهديب ومراقبه النفس فضلاً عن الدراسه والعلم وبعد إتمام الحديث خرج من البيت ولكن حديثه ظل نافذاً فى قلب الطالب التبريزى الجديد محمد حسين الطباطبائى، الأمر الذى دفعه إلى ملازمه درس ذلك العالم الكبير الذى تعرف عليه وكان هو الميرزا على القاضى أحد أبناء عمومته ونتيجه لهذه الملازمه تأثر تأثراً عميقاً بفكر وشخصيه القاضى وكان يقول: «كل ما عندنا

من المرحوم القاضي»، بل وان مسلك تفسير القرآن بالقرآن كان العلامة الطباطبائي الذي اشتهر به قد تعلمه من درس المرحوم القاضي وجاراه فيه (١).

أخلاقه

إن الخصال الطيبة والأخلاق النبوية التي تحلى بها السيد الطباطبائي قد أدهشت كل من عرفه عن قرب.

فابنته السيدة نجمه السادات تصفه فتقول:

«كانت له أخلاق وسلوك محمدى، لم يكن ينفعل ولا يغضب أبداً، كما أنى لم أسمعته يتحدث بصوت عالٍ في أى وقت من الأوقات، ولكن في الوقت الذي كان فيه ليناً في طبعه وخلقه، كان حاسماً وحازماً أيضاً. على سبيل المثال كان مواظباً على أداء الصلاة أول وقتها ولا يتهاون في ذلك، كما كان يذكر الآخرين وينهاهم عن التهاون بشكل صريح جداً».

وقد بلغ تأثيره في تلامذته ومن عاشره حداً عجباً فيقول تلميذه المرحوم السيد محمد حسين الطهراني: «ما لم أكن أتصوره هو فقدان هذا الرجل، فموت هذا الرجل الرباني هو موت العالم، لأنه كان علامه العالم».

تواضعه

أنه كان يرفض الجلوس خلال إلقاء الدرس على فراش خاص يعطيه امتيازاً عن طلابه وحينما يعترض عليه يجيب:

١- من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: ٣٦٦ ٣٦٨.

«لو صرت أعلى منكم بمقدار سمك السجاده أو الفراش الإضافي لما استطعت أن أتحدث».

وحيثما لاحظ في أواخر حياته أن ابنه يتبعه وهو ذاهب إلى حرم السيدة فاطمه المعصومه عليها السلام خوفاً عليه. التفت إليه سائلاً: إلى أين؟ فأجابه ابنه: وأنا أريد الذهاب إلى الحرم أيضاً، فرد السيد قائلاً: «لم تعد صغيراً. إذهب إلى الحرم لوحدهك وليس ثمه ضروره بأن ترافقني!».

وما ذلك إلا حذراً من مرض خفق النعال خلف الرجال الذي يصيب الكثيرين.

زهده

إن المغريات المادية غالباً ما تعرض على الإنسان بعد بلوغه مرتبه علميه عاليه وخصوصاً الروحانيين منهم. وتأتي المغريات بصور مختلفه: حقوق شرعيه هدايا... لكن السيد الطباطبائي رفض أخذ شيء من سهم الإمام الذي يدفع عادة في الحوزات واقتصر في معيشته على نتاج أرضه الزراعيه في تبريز وعائدات كتبه التي طبعت، لزهده خاص في سجيته لا انتقاصاً من قدر من يأخذ.

وعندما حاول بعض الأغنياء أن يشتري له داراً من ماله الخاص بدل داره البسيطه والمتواضعه أبي إلا أن يرجع المال لصاحبه.

وهو بذلك مصداق قول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها»^(١).

١- نهج البلاغه، الشريف الرضى: ٣٠٤، الخطبه رقم ١٩٣.

قله الكلام

فى صمته تأمل وحكمه وسعى إلى التذكر الدائم، ولذا كان قليل الكلام، وهذا من وصاياه حيث يقول: «إن كثرة الكلام تبعث على قله الذاكره».

أب عطوف وزوج مثالى

فى حياه العظماء الربانيين بساطه عيش بليغه تذكر بقيمه الإنسان الحقيقيه التى تتجاوز المظاهر المصطنعه. فلم يكن السيد الطباطبائى ليجد فى مساعدته لأهله فى العمل المنزلى منقصه، ولا لتبسطه وملاعبته للأطفال منافاه لمقامه العلمى بل كان يقول بحكمته: «الله هو الذى يهب الشخصيه، أما الأمور الدنيويه فلا تمنح الإنسان الشخصيه أبداً».

أما علاقته بزوجه فتملؤها مشاعر الود والاحترام والمديح لصبرها وتضحيتها معه. وحينما مرضت مرض الموت طوال سبعة وعشرين يوماً عطل كل عمله وراح يبذل لها كل العنايه، وحينما توفيت واطب على زياره قبرها يوماً طيله سنوات عديده.

الاهتمام بالوقت

عرف عن السيد الطباطبائى اهتمامه الشديد بالوقت والحرص على تحصيل الاستفادة القصوى من فرصه العمر، وكذلك التنظيم الدقيق لأموره بحيث إنه كان يقول: «منذ ست وعشرين سنه وأنا ألتزم ببرنامج يومى لم يضطرب طوال هذه السنوات».

وتحدث عن ذلك ابنته فتقول: «كان يبدأ العمل منذ الصباح ويستمر فيه حتى الساعه الثانيه عشر ظهراً. وبعد أن يؤدي الصلاه ويتناول طعام الغداء ويستريح لمدته نصف ساعه، يستأنف العمل ويواصل السعي مجدداً حتى الغروب».

السيره الروحيه

إن الشخصيه العرفانيه الكبيره للسيد الطباطبائي تستدعي الوقوف قليلاً أمام ملامح سيرته الروحيه واستكشاف منابع عرفانه العملى التى صنعت أسوه حسنه ذكرت بالأنبياء والأولياء السابقين.

وتتمثل هذه الينابيع الروحيه بشكل رئيسى بأربعه هى:

علاقته بالله تعالى.

علاقته بالقرآن الكريم.

علاقته بأهل البيت (عليهم السلام).

وعلاقته بأساتذته ولاسيما الميرزا على القاضى.

فالسيد العلامه ينتمى إلى مدرسه عرفانيه كان من رموزها الكبار الميرزا السيد على القاضى، وتعرف بالمدرسه الهمدانيه نسبه إلى العارف المرحوم الآخوند حسين قلى الهمداني. وقد اشتهر عن هذه المدرسه التمسك والالتزام الشديد بالآداب الشرعيه إلى درجه تسمح للسالك فيها الوصول إلى مرتبه العصمه(١). فالسيد الطباطبائي مثلاً يوصف بأنه «لم يرتكب مكروهاً فى حياته».

١- المقصود ههنا هى: العصمه الصغرى.

فى حين كان أستاذة السيد على القاضى حريصاً على الالتزام بكل المستحبات والآداب الشرعيه وهكذا أيضاً تلميذه العارف السيد هاشم الحداد.

أسراره الروحيه

لا- غرابه أن يكون للسيد الطباطبائى أسراره الروحيه والتي تتوزع على مكاشفات وإلهامات وإشراقات روجيه شأنه شأن سائر العرفاء الكبار الذين لا يكشف الستار عن أسرارهم إلا بعد رحيلهم ولا يحدثون بشيء منها إلا لأخص خواصهم.

وينقل أحد تلامذته أن السيد الطباطبائى قال لهم ذات مره: إنى أعرف شخصاً لا ينام الليل لسماعه تسييح الأشياء من حوله، ويضيف هذا التلميذ: «إننا بعد مده أدركنا أن ذلك الشخص ليس سوى العلامه نفسه».

وتحكى ابنته زوجه الشهيد آيه الله الشيخ على قدوسى كيف أن والدها كان يتهاياً ويمضى الوقت فى انتظارها فى يوم زيارتها له قادمه من طهران دون أن تعلمه مسبقاً بذلك. وحينما كانت تسأله: «من أين تعرف أنى سأتى اليوم؟» لم يكن يرد جواباً.

ومن أبرز المكاشفات المنقوله ما حكاها السيد الطهرانى عنه أثناء تعبده فى مسجد الكوفه حينما شاهد حوريه تقدم نفسها مع كأس شراب إليه فأعرض عنها مستدكراً إرشادات أستاذة فتألمت وانصرفت.

وهذه دلالة على استحكام القوه الروحيه وعلو المرتبه العرفانيه للسيد الطباطبائى، فيتمكن من الإعراض عن الحور العين واستدكار صوت شيخه فى هذا الطريق الميرزا على القاضى، فى تواصل بين عالمى الغيب والشهاده ليصبح الكل شهوداً^(١).

١- نظريه المعرفه والإدراكات الاعتباريه عند العلامه الطباطبائى، على أمين آل صفا: ٢٣ ٣٢.

عبادته

لم يكن الصمت الذي اشتهر من السيد الطباطبائي سوى تفكير في الله سبحانه وتأملي في الحقيقه المطلقه وسير بالعقل والقلب للوصول إليها وهو أرقى ألوان العباده، رغم أنه كان كثير الصلاه وحريصاً على أداء الفرائض في أول الوقت، ومواظباً على صلاه الليل.

ويروى أولاده أنه كان «يشرع بالصلاه نافله حال خروجه من المنزل وينشغل بالصلاه إلى أن يبلغ المكان الذي يقصده، ولم يكن ثم من يعلم ذلك منا».

قارئ القرآن

شكل نص الوحي الإلهي المعجز مصدراً روحياً وفكرياً عظيماً للسيد الطباطبائي وارتبط به ارتباطاً يومياً وثيقاً فهم في تلاوته في كل وقت وكان يعجبه أن يقرأه بصوت عالٍ كما يذكر أهل بيته.

إن هذه المعايه اليوميه لآيات القرآن الكريم نغماً روحياً صوفياً^(١)، وتأملاً عقلياً، تمنح النفس صفاءً باطنياً تدرك بواسطته حقائق الغيب وتخرق الحجب لتصل إلى الحقيقه.

١- في اللغه، التصوف يعنى: ارتداء الصوف وهذا نتيجة الزهد وترك الدنيا، وفي نظر أهل العرفان: تطهير القلب من محبه ما سوى الخالق، وتقويم الظاهر من حيث العمل والاعتقاد بالتكليف أو المأمور به، والابتعاد عن المنهى عنه والالتزام بما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهؤلاء الجماعه المتصوفه المحقه. وتوجد جماعات أخرى متصوفه باطله، يحسبون أنفسهم من الصوفيه، ولكنهم ليسوا من الصوفيه الحقه وهم عدّه فرق. كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ١ / ٨٤١.

ويذكر السيد محمد باقر الموسوي الهمداني، تلميذ السيد الطباطبائي، والمترجم من العربية إلى الفارسية لمعظم أجزاء تفسيره الشهير «الميزان»، إن السيد كان إذا انشغل بالقرآن وتفسيره ذهل عن أي عمل آخر.

عاشق أهل البيت عليهم السلام

إن علاقه السيد الطباطبائي بأهل البيت النبوي عليهم السلام، وهي المكون الروحي الأساسي الثاني بعد القرآن الكريم، تنبع من ناحيتين تكمل إحداهما الأخرى وتلتقيان لإعطاء عرفانيته زخماً مميزاً:

الأولى: ذاته السيد الطباطبائي العاشقه والمتعلقه بأهل البيت عليهم السلام. حتى أن الشهيد مرتضى المطهري، وهو تلميذه المقرب إليه، يقول:

«لقد رأيت الكثير من الفلاسفه والعرفاء، بيد أن احترامي للعلامه الطباطبائي لم يكن بداعي كونه فيلسوفاً بل لأنه عاشق لأهل البيت ولهُ بهم».

ولذا كان ملتزماً بزياره عاشوراء خصوصاً في شهرى محرم وصفر، وبقراءه الزياره الجامعه الكبيره ودعاء التوسل ويحث على ذلك كله كما ينقل عنه صهره الشهيد على قدوسى.

والناحيه الثانيه تعود إلى المبنى العرفاني فى مدرسه العارف الهمداني والقائل بأن العرفان الحقيقى لا يمكن الوصول إليه بدون الولايه.

فالمرحوم الميرزا القاضى كان يرى بأن العارف الحقيقى لا بد وأن تنكشف له حقيقه الولايه وكان يقول: «إن الوصول إلى التوحيد ينحصر بالولايه؛ الولايه والتوحيد هما حقيقه واحده».

ويظهر فى بعض كلمات السيد الطباطبائى أن لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام خصوصيه فى هذه الرؤيه العرفانيه حيث يقول: «لم يقدر لأحد أن يبلغ أيه مرتبه من المراتب المعنويه وأن يصل إلى مرحله تفتح باب القلب إلا فى حرم الإمام الحسين (عليه السلام) أو من خلال التوسل به».

قيل له مره وهو يزور الإمام الرضا (عليه السلام) فى مدينه مشهد: هل تقبل ضريح الإمام كعامه الناس؟ فرد عليهم قائلاً: «ليس الضريح وحده، بل أئثم الأرض والخشب فى الحرم وكل ما يرتبط بالإمام».

منزلته العلميه

كان الأستاذ مفكراً عميقاً؛ لم يكن ليمر على المطالب العلميه بسهولة؛ فإذا لم يصل إلى عمق المطلب ويكشف جميع جوانبه لم يكن يرفع عنه أبداً.

وفى العديد من المرات عندما كان يسأل سؤالاً بسيطاً فى مسأله فلسفيه أو تفسيريه أو روائيه بحيث يمكن الإجابه عنها بعده كلمات مباشره وينهى الموضوع؛ كان يسكت ويتأمل ملياً ثم يبدأ بتقديم الاحتمالات وعرض جوانب القضيه وما قيل، فيكون ذلك عباره عن درس تعليمى.

لم يكن ليخرج عن دائره البرهان فى الأبحاث الفلسفيه؛ وكان يفصل جيداً بين المغالطه والجدال، والخطابه والشعر، وبين القياسات البرهانيه، لا يرفع يده إلا بعد انتهاء القضيه بأوليائها ونظائرها. ولم يخلط أبداً بين المسائل الفلسفيه والمسائل الشهوديه والعرفانيه والذوقيه ولا يدخل أيه مسأله شهوديه حين التدريس فى المسائل الفلسفيه؛ وبذلك كان يختلف عن صدر المتألهين وعن الحكيم السبزواري بشكل عام.

وكان يود كثيراً أن ينحصر البحث في كل فرع من العلوم حول مسائل ذلك العلم وعن موضوعاته وأحكامه، دون الخلط بين العلوم.

وكان ينزعج كثيراً من الذين يمزجون الفلسفه بالتفسير والأخبار؛ فإذا لم ينجحوا في البرهان وعجزوا عن الخروج من المسأله اعتمدوا على الروايات والتفسير في محاوله لإتمام برهانهم.

كان العلامه يمجّد ذكر المرحوم الملا محسن الفيض القاساني (١)، ويقول عنه: إنه رجل جامع للعلوم، أو يندر أن نجد مثيلاً له في الجامعيه داخل العالم الإسلامي؛ ومع ملاحظه أنه كان يرد في كل علم بصوره مستقله ولا يخلط بين أى واحد منها.

ففي تفاسيره «الصافي» و«الأصفي» و«المصفي» التي تنحو نحواً تفسيرياً روائياً، لم يدخل أبداً في المسائل الفلسفيه والعرفانيه والشهوديه.

والذي يطالع كتابه المسمى ب«الوافي» في الأخبار، يراه واحداً من الإخباريين الذين لم يدرسوا الفلسفه أبداً.

وهكذا كان في كتبه العرفانيه والذوقيه لا يمد عن هذا النهج أبداً؛ ولا يخرج عن الموضوع بتاتاً.

هذا، رغم أنه كان أستاذاً في الفلسفه وأحد أبرز تلامذه صدر المتألهين.

كان أستاذاً يجلل ابن سينا ويعتبره أقوى من صدر المتألهين في فن البرهان والاستدلال الفلسفي.

ولكنه كان معجباً جداً بصدر المتألهين ومنهجه الفلسفى فى هدم الفلسفه اليونانيه، والإتيان بأسلوب جديد وحديث ك أصاله الوجود والوحده والتشكيك فى الوجود، وإيجاد مسائل جديده كقضيه إمكان الأشرف، واتحاد العاقل والمعقول، والحركه الجوهرية، والحدوث الزمانى للعالم على هذا الأصل، وقاعده «بسيط الحقيقه كل الأشياء» ونظائرها.

كان العلامه الطباطبائى يرى فلسفه صدر المتألهين أقرب للواقع.

وكان يقدر خدمته لعالم العلم والفلسفه غايه التقدير، بسبب زياده عدد المسائل الفلسفيه. (فقد رفع عددها من مائتى إلى سبعمائه مسأله).

وكان يشيد بصدر المتألهين كثيراً، لأنه لم يندفع نحو المدرسه المشائيه فقط؛ بل جمع بين الفلسفه الفكرية الذهنيه والإشراق الباطنى والشهود القلبي، وطبقهما على الشرع الأنور.

وقد أثبت صدر المتألهين فى كتبه ك «الأسفار الأربعة» و«المبدأ والمعاد» و«العرشيه» والعديد من الرسائل الأخرى عدم وجود الاختلاف بين الشرع (الذى يحكى عن الواقع) وبين المنهج الفكرى، والشهود الوجدانى؛ وأن هذه الينابيع الثلاثه تنبع من منبع واحد؛ وكل واحد يؤيد الآخر ويعضده.

وكانت هذه أعظم خدمه قدمها هذا الفيلسوف إلى عالم الوجدان وعالم الفلسفه وعالم الشرع.

ولم يغلق باباً من أبواب الدخول أمام المؤهلين لنيل الكمال، وقبول الفيوضات الربانيه، بل فتح أمامهم جميع السبل المؤديه.

ومع أن أساس وجذور هذه النظرية مشهوده في كلمات المعلم الثانى أبو نصر الفارابى، وابن سينا، وشيخ الإشراق، والخواجه نصير الدين الطوسى وشمس الدين بن تركه، ولكن الذى نجح فى أداء هذا الأمر المهم بحيث أوصله المقصود إلى نهايته بأسلوب بديع وطريقه رفيعه، هو هذا الفيلسوف صاحب القلب الحى والمتشعر العظيم.

كان الأستاذ المرحوم يعتقد أن صدر المتألهين قد أخرج الفلسفه من الضياع والاندراس، ونفخ فيها روحاً جديده؛ ولهذا يمكن عده محى الفلسفه الإسلاميه.

وإذا تجاوزنا كل ما سبق فإن أستاذنا كان كثيراً ما يشيد بمقام الزهد وترك الدنيا، ومنهج التعلق بالله، وتصفيه الباطن، والرياضات الشرعيه، والعزله التى كان ينهاجها صدر المتألهين؛ وكان يمدح طريقته فى تصفيه السر وإبلاءه الاهتمام الأكبر لطهاره النفس فى «كهك» (١) قم.

وكان يعتقد: إن أغلب الإشكالات التى كانت ترد على صدر المتألهين وفلسفته، تعود إلى عدم الفهم وعدم الوصول إلى إدراك لب المسائل التى كان يطرحها.

ومع أنه كان يملك بعض التعليقات على بعض استدلالاته؛ ولكنه بشكل عام كان يعتبره مجدد الفلسفه الإسلاميه، وأحد فلاسفه الطراز الأول فى الإسلام كابن سينا والفارابى وكان يعتبر الخواجه نصير الدين وبهمنيار وابن رشد وابن تركه من فلاسفه الدرجه الثانيه.

١- كهك: إحدى قرى مدينه قم الطيبه.

كان أستاذنا يعتقد: بالوجود التشكيكي في أبحاث الوجود، وكان يؤمن بالوحده التي ينادى بها العرفاء، ولا- يراها منافيه للتشكيك؛ بل هي في الدرجه العليا والمقام الأرفع من التشكيك عند العارف؛ لأنه بوجود التشكيك يجد الوحده.

وقد درس في الحوزه العلميه لمدينه قم عدّه دورات في الفلسفه سواء من «الأسفار» أم «الشفاء» حتى عد الفيلسوف الأوحد في عالم الإسلام.

وفي السنوات الأخيره قام بتدريس بعض الطلاب الخواص دوره في مستوى بحث الخارج في الفلسفه، وكانت ثمرتها إعداد كتابي: «بدايه الحكمه» و«نهايه الحكمه» اللذين طبعا ونشرا ليستفيد منهما الجميع.

ولم يكن الصديق والعدو ليختلف على أنه الأخصائي الوحيد في الفلسفه الشرقيه في كل العالم(١).

قال عبد الكريم: يشتمل المشروع الفكري للعلامه الطباطبائي على جوانب متعدده هي:

١ . الاهتمام بالقرآن الكريم وطرح تفسير جديد له يحرص على الأصالة ويتسم بالعصريه والعمق والاستيعاب في آن واحد وبشكل يناسب مكانه القرآن الكريم كمصدر وحيد وخالد لهدايه الإنسان في الفكر والسلوك، وهذا ما أنجزه العلامه الطباطبائي من خلال تفسير «الميزان» الشهير، الذي اعتبره الشهيد آيه الله مرتضى المطهري بأنه أفضل تفسير كتبه المسلمون منذ صدر الإسلام وحتى

الآن، وان كثيراً من أبحاثه تعد إلهامات غيبية وإن المشاكل التي لم أجد مفتاح حلها في الميزان قليلة جداً.

٢ . صقل وتجذير الفلسفة الإسلامية وتمكينها من الوقوف على قدميها أمام تحديات الفكر الغربي وذلك من خلال التأكيد على درس الفلسفة في الحوزة وتربيته عدد من العلماء المتطلعين فيها، وتأليفه ما يزيد على العشرة كتب في الفلسفة والعقيدة يأتي في مقدمتها كتابه «أصول الفلسفة» الذي وضعه في خمسة أجزاء طبعت مع تعليقات قيمه لتلميذه البارز الشهير آية الله مرتضى المطهري.

٣ . التأليف حيث قدم العلامة الطباطبائي للمكتبة الإسلامية «٣٥» رساله وكتاباً ودوره ذات أجزاء عديده، كتفسير الميزان ذي العشرين جزءاً وذلك في عدة مجالات من المعرفة الإسلامية، كالتفسير والفلسفة، والعقائد والتاريخ والحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والعرفان والثقافة الإسلامية العامه إضافة إلى الرياضيات.

٤ . إيصال الفكر الإسلامي الأصيل إلى أوروبا كما في المحادثات التي أجراها سماحته مع المستشرق الفرنسي هنري كوربان والتي بدأت سنة ١٣٧٨هـ «١٩٥٨م» وتواصلت أكثر من عشرين عاماً، وكانت اللقاءات تجري في طهران وكان سماحته يسافر إليها من قم في الشهر مرتين وبفضلها اقترب كوربان من المذهب الإمامي ودون المحاورات ونشرها في بلاده كما نشر أفكار التشيع، حيث أصبح يعتقد إن المذهب الإمامي هو المذهب الحي الوحيد في العالم لأنه المذهب الذي يعتقد باستمرار العلاقة مع السماء عبر الإمام المهدي عليه السلام خلافاً لبقية

الأديان والمذاهب التي أنهت هذه العلاقة بوفاه نبيها أو إمامها، بل إن هنرى كوربان صار يقرأ الصحيفة السجادية ويبكي، وقد سأله العلامة الطباطبائي يوماً، إننا فى الإسلام نعتقد بأسماء حسنى نخاطب بها الله سبحانه وتعالى ونناجيه فى كل حاجه من خلال الإسم الذى يناسبها، فماذا يفعل المحتاج منكم؟.

فأجاب كوربان:

أنا أناجى بقراءه الصحيفة المهدويه وقد طبعت هذه المحاورات فى مجلدين وترجما إلى الإنكليزيه والفرنسيه والعربيه.

٥. تخريج جيل من العلماء والأساتذه والمفكرين والكتاب الذين لعبوا أدوارا فكرية وسياسيه رفيعه جداً، أمثال آيه الله الشيخ المنتظرى وآيه الله الشهيد المطهرى وآيه الله البهشتى، والإمام موسى الصدر وآيه الله ناصر مكارم الشيرازى والشيخ الشهيد محمد مفتح وآيه الله السيد عبد الكريم الأردبيلى والشيخ محمد تقى مصباح وآيه الله جوادى الآملى وآيه الله حسن زاده آملى وآخرون(١).

قال الفتلاوى:

تضلع فى علوم التفسير والفلسفه والحديث ودرس بها مده طويله تخرج عليه فيها جمع من النابهين وحمله العلم، عاد إلى تبريز سنه ١٣٥٤ واشتغل بها بالتدريس والتأليف ثم انتقل إلى مدينه قم سنه ١٣٦٥ وصار من أساتذتها وأركان الحوزه العلميه فى المعقول والمنقول إلى وفاته(٢).

١- من أعلام الفكر والقياده المرجعيه، عبد الكريم آل نجف: ٣٧١ ٣٧٣.

٢- المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوى: ٤٧٢.

قال على أمين آل صفا: تمتاز شخصيه السيد الطباطبائي بجامعيه علميه هي وليده المواهب المتعدده التي يملكها، فجمع بين المنقول والمعقول والمعنويات والعلوم الأخرى الغريبه كالرمل والجفر وحساب الجمل والأبجد بطرقه المختلفه، ولكنه لم يمارسها.

كما كانت له مهاره في علم الأعداد والجبر والمقابله والهندسه الفضائيه والسطحيه والرياضيات.

ومضافاً إلى ذلك كان أستاذاً في علم الهيئه القديمه والأدب العربى وعلوم البلاغه من المعانى والبيان والبديع.

لقد جمع السيد الطباطبائي كل ذلك إلى جانب فقاوته وأصوليته الحوزويه وتبحره في فهم القرآن الكريم وتفسيره.

وتحدث ابنته عن توق والدها إلى الرسم فقد «كان يبذل جميع ما يملكه في شراء الورق ومستلزمات الرسم ليمارس هوايته هذه».

ولقد أفادت مواهبه الفنيه الحوزه العلميه في قم بصوره مباشره، حينما عزم آيه الله حجت (رحمه الله) على بناء مدرسه دينيه كبيره ونموذجيه تعرف اليوم بمدرسه الحجتيه، وقام العديد من المهندسين في طهران بتقديم خرائط وتصاميم لم تحظ بموافقه آيه الله.

وصادف قدوم السيد الطباطبائي من تبريز فعرض تصميماً هندسياً للمدرسه نال موافقه آيه الله السريعه (١).

قال السبحاني وهو يعدد إنجازات العلامة العلميه:

تتجلى شخصيه الإنسان بأعماله وآثاره التي يتركها في جيله، وقد ترك السيد الطباطبائي بصمات واضحة على الفكر الشيعي وأوجد تحولاً جذرياً في الجامعه الإسلاميه ونحن نشير إلى أهمها:

١. وضع أسساً بديعه لتفسير القرآن الكريم حتى صار أسوه للآخرين.

٢. إشاعه التفكير الفلسفي في الأوساط العلميه.

٣. السعي في تبين المسائل الفلسفيه بصوره واضحه وملموسه.

٤. السعي في نشر آثار أئمه أهل البيت عليهم السلام والحث على مطالعتها بدقه وإمعان كما شارك في تحشيه «بحار الأنوار» في طبعتها الجديده إلى الجزء الخامس.

٥. الجمع بين الحقائق القرآنيه وما أثر عن أئمه أهل البيت في تفسير الآيات، فقد قام باستخراج ما جاء في الروايات حول تفسير الآيات بعد الإمعان فيها عن نفسها.

٦. إشاعه الفكر الشيعي في العالم، من خلال اللقاءات التي كان يجريها مع الشخصيات العالميه ومراسلتهم.

٧. صب الاهتمام لحل مشكلات الآثار.

٨. الحث على تهذيب النفس وتربيته جيل مؤهل إلى كسب الفضائل الأخلاقيه.

٩. تربيته شخصيات علميه وفكريه عديده بين مدرس ومفكر.

١٠. الآثار العلميه والتأليف القيمه وهي بين مطبوع وغير مطبوع (١).

قالوا فيه

١ . يقول أحد تلامذته: عاشرته السنوات الطوال فلم أجده يرتكب مكروهاً.

٢ . يذكر تلميذه الأستاذ إبراهيم الأميني إننى «لم أجده يوماً طيله أكثر من ثلاثين عاماً تشرفت بمعاشرته فيها قد غضب على أحد، أو تحامل عليه، ولو لمره واحده إذ كان وقوراً هادئاً متيناً دمث الأخلاق حتى مع أصغر وأبسط طلابه، يستمع إلى حديث الجميع ويظهر للجميع حبه على حد سواء وحينما كنا نخاطبه أحياناً ب«سماحه الأستاذ» كان يرد علينا قائلاً: «لا أحب هذا التعبير إننا تجمعنا هنا للتدبر فى أمور ديننا بالتعاون والتفاهم».

٣ . يقول الشيخ محمد تقى مصباح: «على مدى ثلاثين عاماً تشرفت خلالها بالاستزاده من علم العلامة الطباطبائى لم أكن اسمع منه كلمه أنا، بينما كثيراً ما كنت أسمع منه عباره لا أعلم».

٤ . آيه الله الشهيد مرتضى مطهرى فيقول عن أستاذه: «إننى اعتقد إن العلامة الطباطبائى قد بلغ فى مرتبه كماله الروحى والمعنوى درجه التجرد البرزخى بحيث يمكنه أن يطلع على كثير من الصور الغيبية التى يعجز الناس العاديون، عن تصورها أو مشاهدتها».

٥ . يقول تلميذه المرحوم السيد محمد حسين الطهرانى: «ما لم أكن أتصوره هو فقدان هذا الرجل، فموت هذا الرجل الربانى هو موت العالم، لأنه كان علامه العالم».

٦ . السيده نجمه السادات تصفه فتقول:

«كانت له أخلاق وسلوك محمدى، لم يكن يفعل ولا يغضب أبداً، كما أنى لم أسمعته يتحدث بصوت عالٍ فى أى وقت من الأوقات، ولكن فى الوقت الذى كان فيه ليناً فى طبعه وخلقه، كان حاسماً وحازماً أيضاً»^(١).

أولاده

لم نجد فى التراجم التى أوردت سيرته قدس سره ما فيه التفصيل حول ذريته سوى ما عثرنا عليه بين السطور، ومنها:

١. حديث ابنته السيده نجمه السادات أنه بقى فى النجف مده إحدى عشره سنه ونصف مات له خلالها ثمانيه أولاد بعد ولادتهم وكانت زوجته وحيدته فى البيت حين انشغاله بالدراسه مما يعنى أنه قد أنجب بعد عودته من النجف الأشرف إلى إيران وخلال إقامته فى «شاد آباد» تلك المده المديده.

٢. وحينما لاحظ فى أواخر حياته أن ابنه يتبعه وهو ذاهب إلى حرم السيده فاطمه المعصومه (عليها السلام) خوفاً عليه. التفت إليه سائلاً: إلى أين؟ فأجابه ابنه: وأنا أريد الذهاب إلى الحرم أيضاً، فرد السيد قائلاً: «لم تعد صغيراً. اذهب إلى الحرم لوحدهك وليس ثمه ضروره بأن ترافقنى»^(٢).

١- أنظر: من أعلام الفكر والقياده المرجعيه، عبد الكريم آل نجف: ٣٧٩ ٣٨٠. نظريه المعرفه والإدراكات الاعتباريه عند العلامه

الطباطبائى، على أمين آل صفا: ٢٣ ٢٤. المجتمع الدينى عند العلامه الطباطبائى، محمود نعمه الجياشى: ٢٨.

٢- نظريه المعرفه والإدراكات الإعتباريه عند العلامه الطباطبائى، على أمين آل صفا: ٢٢ و٢٤.

٣. وينقل عن العلامة قدس سره أنه قال: حل السيد القاضي ضيفا على وكانت بيننا وبينه صله رحم وقرابه، والتفت إلى عقيلتي التي لم ترزق طفلا إلا وقد مات، مخاطبا إياها قائلاً: يا ابنه العم: هذا الذي يحتضنه رحمك يبقى وهو ذكر سمّه «عبد الباقي»، قال ذلك ولم أكن أنا يومذاك مطلعاً على حملها، ثم إنه سبحانه تبارك وتعالى رزقنا ذكراً أسميناه عبد الباقي (١).

٤. وذكرنا تحت عنوان أسرار الروح حكاية ابنته زوجة الشهيد آية الله الشيخ على قدوسى.

إجازته بالاجتهاد والرواية

١. له إجازة الاجتهاد والرواية عن أستاذه الآيه العظمى النائنى.

٢. وإجازة الرواية عن الآيه الحاج شيخ على القمى (رحمه الله) عن شيخه النورى صاحب المستدرک.

٣. وعن الراوى المتضلع الحاج شيخ عباس القمى صاحب المفاتيح عن شيخه النورى صاحب المستدرک بجميع طرقه المذكوره فى آخر المستدرک.

٤. وعن الآيه العظمى البروجردى (رضى الله عنه) عن شيخه الخراسانى صاحب الكفايه بطرقه المتصله بالآيه السيد بحر العلوم.

٥. وعن الآيه السيد محمد الحججه (رضى الله عنه).

٦. وعن الآيه الحاج الميرزا على أصغر الملكى عن الآيه السيد حسن الصدر (رضى الله عنه).

٧. وعن رجال آخر غيرهم رضى الله عنهم. انتهى (١).

مشايخه

روافد كثيره صنعت من العلامه نهري الذي لا ينضب من العطاء نذكر منهم أشهر من فاح شذاه في روحه فأبدع:

١ السيد أبو الحسن الأصفهاني.

٢ السيد أبو القاسم الخونساري.

٣ الشيخ أحمد الأشتياني.

٤ السيد حسين البادكوبي (بادكوبه اي).

٥ الميرزا علي أصغر ملكي.

٦ الميرزا علي آقا التبريزي.

٧ الميرزا علي الإيرواني.

٨ السيد علي القاضي الطباطبائي.

٩ السيد محمد حجت.

١٠ الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني (٢).

١١ الشيخ محمد حسين النائيني (٣).

١- نظريه المعرفه والإدراكات الإعتباريه عند العلامه الطباطبائي، علي أمين آل صفا: ٣٦.

٢- قال عبد الكريم آل نجف في كتابه من أعلام الفكر: الشيخ محمد حسن الكمباني، وانفرد به ولعله خطأ من الناسخ.

٣- تم جمع أسماء المشايخ للسيد العلامه وأساتذته من المصادر التاليه: تذكره الأعيان، السبجاني: ٤٣٤ ٤٣٥. الشمس الساطعه،

محمد الحسين الحسيني: ٢٠ ٢١. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوي: ٤٧٢. من أعلام الفكر والقياده المرجعيه، عبد

الكريم آل نجف: ٣٦٧ ٣٦٨. إيضاح الحكمه في شرح بدايه الحكمه، علي رباني: ١ / ٩٨. نظريه المعرفه والإدراكات الاعتياريه

عند العلامه الطباطبائي، علي أمين آل صفا: ٢٨، و٣٦ ٣٥. المجتمع الديني عند العلامه الطباطبائي، محمود نعمه الجياشي: ٢٤ ٢٥.

سيره العلامه الطباطبائي بقلم كبار العلماء الأعلام: ٢١ ٢٦.

تلامذته

نجوم لمعت لا تحصى أعدادها شعت بينهم لفيف من الأسماء نذكر منها:

- ١ الشيخ إبراهيم الأميني.
- ٢ الشيخ أبو طالب تجليل التبريزي.
- ٣ الشيخ جعفر السبحاني.
- ٤ السيد جلال الدين الأشتياني.
- ٥ الشيخ حسن زاده الآملي.
- ٦ الشيخ حسين على المنتظري.
- ٧ الشيخ حسين النوري.
- ٨ الشيخ عباس اليزدي الأصفهاني.
- ٩ الشيخ عبد الحميد الشرياني.
- ١٠ السيد عبد الكريم الأردبيلي.
- ١١ الشيخ عبد الله جوادى الآملي.

١٢ السيد عز الدين الزنجاني.

١٣ الشيخ علي الدواني.

١٤ الشيخ علي الميانجي.

١٥ السيد محمد باقر الأبطحي.

١٦ السيد محمد البهشتي.

١٧ الشيخ محمد تقى مصباح اليزدى.

١٨ السيد محمد حسين الطهراني.

١٩ السيد محمد علي الأبطحي.

٢٠ الشيخ محمد فاضل اللنكراني.

٢١ الشيخ محمد المفتح.

٢٢ الشيخ مرتضى المطهرى.

٢٣ السيد مهدي الروحاني.

٢٤ السيد موسى الزنجاني.

٢٥ السيد موسى الصدر.

٢٦ الشيخ ناصر مكارم الشيرازى.

٢٧ الشيخ يحيى الأنصاري.

٢٨ الشيخ يحيى السدارابي(١).

١- تم جمع أسماء تلامذه العلامة من المراجع التاليه: تذكره الأعيان، السبحاني: ٤٥٦ ٤٥٧. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتاوى: ٤٧٢. من أعلام الفكر والقياده المرجعيه، عبد الكريم آل نجف: ٣٧٣. المجتمع الدينى عند العلامه الطباطبائي، محمود

تصنيفه ومؤلفاته

نتاجات علامه الطباطبائي تزخر في القلوب قبل المكتبات، وقد أولدت أفكاره كواكباً في سماء العلم، وتناثرت حروفه وأقواله بين مخطوط ومطبوع، وباللغتين العربية والفارسيه، وفي الصحف والمجلات، وأدركنا منها الآتي مع ذكر المراجع التي اعتمدنا عليها في جمعها:

١ إثبات الذات.

٢ أسرار الفلسفه.

٣ أسس الفلسفه والمذهب الواقعي (بالفارسيه) في أربع أجزاء، ترجم منها أول جزئين إلى العربية.

٤ الإسلام والإنسان المعاصر.

٥ الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي، بالفارسيه، ترجم إلى العربية.

٦ أصول الفلسفه: دراسه المسائل الفلسفيه مقارنه مع الفلسفه الغربيه في خمسہ أجزاء.

٧ الإعجاز.

٨ الأعداد الأولية في الرياضيات.

٩ الإنسان: كتاب يحتوى على ثلاث رسائل هي:

أ. الإنسان قبل الدنيا.

ب. الإنسان فى الدنيا.

ج. الإنسان بعد الدنيا.

١٠ بدايه الحكمة (بالعربيه): ألفه للمبتدئين فى دراسه الفلسفه.

١١ تعليقه على أصول الكافى للكلينى (بالعربيه).

١٢ تعليقه على بحار الأنوار للعلامة المجلسى (بالعربيه).

١٣ تعليقه على الحكمة المتعاليه (الأسفار) (بالفارسيه) إلا أن النسخه فى بيروت هي بالعربيه دون ذكر مترجم.

١٤ تعليقه على الكفايه: تعليقه موجزه على الجزئين منها، فرغ عنها ١٣٦٨هـ وهى مطبوعه.

١٥ الحكومه فى الإسلام.

١٦ حياه ما بعد الموت.

١٧ دروس من الإسلام على حلقتين (بالفارسيه).

١٨ رساله الأسماء (بالعربيه) (١).

١٩ رساله الأفعال (بالعربيه).

٢٠ رساله التشيع فى العالم المعاصر (بالفارسيه) ترجم إلى العربيه.

١- قال الجياشى فى المجتمع الدينى: رساله فى الأسماء والصفات.

٢١ رساله فى الاعتباريات (بالعربيه).

٢٢ رساله فى الإعجاز (بالفارسيه).

٢٣ رساله فى البرهان (بالعربيه).

٢٤ رساله فى التحليل (بالعربيه).

٢٥ رساله فى التركيب (بالعربيه).

٢٦ رساله فى التوحيد (بالعربيه).

٢٧ رساله فى علم الإمام (بالفارسيه) (١).

٢٨ رساله فى القوه والفعل (بالعربيه).

٢٩ رساله فى المبدأ والمعاد.

٣٠ رساله فى المشتق.

٣١ رساله فى المغالطه (بالعربيه).

٣٢ رساله فى المنامات والنبوات (بالعربيه).

٣٣ رساله فى الوحى (وحى يا شعور مرموز) (بالفارسيه).

٣٤ رساله فى الولاية (بالعربيه): تبرهن آخر السير الإنسانى فى حضره الأحديه وفناءه فى الذات، وحيازته على مقام العبوديه.

٣٥ رساله نظم الحكم (بالفارسيه)، ترجم إلى العربيه.

١- قال الفتلاوى فى كتابه المنتخب من أعلام الفكر: رساله فى علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام بالغيب.

٣٦ رساله الوسائط (بالعربيه) (١).

٣٧ سلسله آباء الطباطبائي في أذر بيجان.

٣٨ سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

٣٩ الشيعة (نص الحوار مع هنرى كوربان) (بالفارسيه)، ترجم إلى العربيه.

٤٠ الشيعة في الإسلام (بالفارسيه) ترجم إلى العربيه.

٤١ الشيعة في القرآن.

٤٢ الصفات الإلهيه.

٤٣ على والفلسفه الإلهيه (بالعربيه).

٤٤ القرآن في الإسلام (بالفارسيه) ترجم إلى العربيه.

٤٥ ماذا بعد الموت.

٤٦ مجموعه مقالات (برشها وباسخها)، (بالفارسيه).

٤٧ المحاكمات.

٤٨ محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مرآه الإسلام.

٤٩ المخلوقات الخفيه في القرآن (بالعربيه).

٥٠ مدرسه التشيع.

٥١ المذهب الواقعي (روش رئاليسم) (بالفارسيه).

٥٢ المرأه في الإسلام (بالعربيه).

٥٣ مرجعيت وروحانيت (باللغه الفارسيه) رساله فى الأسس الواقعيه للحكومہ الإسلاميه.

٥٤ مسائل إسلاميه.

٥٥ معنويه التشيع (بالفارسيه).

٥٦ من روائع الإسلام (بالفارسيه).

٥٧ منتخبات أز نهج البلاغه (بالفارسيه).

٥٨ منظومه فى قواعد الخط الفارسى.

٥٩ الميزان فى تفسير القرآن (بالعربيه: فى عشرين جزءا، وقد ترجم إلى اللغه الفارسيه فى ٤٠ جزءا كما ترجم إلى لغات أخرى).

٦٠ النبوه والإمامه: رساله.

٦١ النبوه والمقامات.

٦٢ نظريه السياسه والحكم فى الإسلام (بالفارسيه) وقد ترجم إلى العربيه.

٦٣ نهايه الحكمه (بالعربيه)، جامع للمسائل الفلسفيه بأحدث أسلوب (١).

١- إعتمدنا فى جمع تصانيف العلامه الطباطبائى على المراجع التاليه: تذكره الأعيان، السبحانى: ٤٣٦، و ٤٥١، و ٤٥٥ ٤٥٦. الشمس الساطعه، محمد الحسين الحسينى: ٦٧ ٦٨، و ٧٣ ٧٤. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوى: ٤٧٢ ٤٧٣. نظريه المعرفه والإدراكات الاعتباريه عند العلامه الطباطبائى، على أمين آل صفا: ٤٤ ٤٦. المجتمع المدنى عند العلامه الطباطبائى، الجياشى: ٢٩ ٣٢. سيره العلامه الطباطبائى بقلم كبار العلماء والأعلام: ٣٩ ٤٠، و ١٠٧.

وفاته

قال السبحاني: عاش ثمانين سنة وثمانية عشر يوماً، وخلف تراثاً علمياً ضخماً، وربى جيلاً كبيراً من المفكرين أوجد من خلالها تحولات عظيمة في العلوم الإسلامية، ولقى ربه بنفس مطمئن يوم الأحد الثامن عشر من محرم الحرام من شهر عام ١٤٠٢هـ، (١٩٨١م) قبل الظهر بثلاث ساعات وورى جثمانه الطاهر في حرم السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام تجد صخره قبره إلى جنب قبر السيد النقي الورع السيد أحمد الخونساري قدس الله سرهما فاقترا الكوكبان في مضجعهما كما كان بينهما ألفه في حال حياتهما(١).

قال السيد محمد الحسين الحسيني: المدهش تساوى عمر العلامة مع أستاذه القاضي، فقد عاش كل منهما ٨١ سنة.

كما في حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فقد عاش كل منهما ٦٣ سنة(٢).

١- تذكره الأعيان، السبحاني: ٤٣٣.

٢- الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني: ٢٣ ٢٤.

مقدمه المترجم

يشغل الحديث عن الموت، والدعوه إلى استذكاره، حيزاً كبيراً في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وعلماء الأخلاق، باعتبار الموت، يمثل حداً فاصلاً بين عالمين: الدنيا التي يحيا فيها الإنسان، والآخرة التي يحاسب فيها على ما عمله في حياته، ليؤول بعدها إلى المصير الخالد، أما في جنات النعيم أو في سعي جهنم.

وعند ما يتذكر الإنسان الموت، فإنه يستحضر المراحل التي ستبدأ بعده، بدءاً بالقبر ومروراً بالبرزخ، وانتهاء بيوم الحساب وما يترتب عليه من تحديد المصير النهائي للإنسان. وفي كل مرحلة من هذه المراحل، يتحدد وضع الإنسان فيه، شقاءً أو سعادة، عذاباً أو تكريماً، على أساس ما قدم في حياته.

من هنا فإن في ذكر الموت، تحذير للإنسان، من عواقب السوء من أعماله، فيتجنبه، والصالح منها، فيزيد منه ما استطاع. لا أن يتحول ذكر الموت إلى عامل سلبي، يغرس الحزن والهلع واليأس في النفوس، فتشل حركة الإنسان ويتراجع نشاطه وتبرد همته.

الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ يضم بين دفتيه بحثاً (أو رساله كما يسميها المؤلف) يخوض فى تفاصيل أحوال مرحله ما بعد الموت، من القبر وحتى قيام الساعة، وحال الإنسان فى كل منها، وقد اعتمد المؤلف المفسر الكبير والفيلسوف الربانى السيد الطباطبائى Kعلى الآيات القرآنيه فى وصفه لتلك «الحياه»، وما يجرى فيها، متبعاً أسلوبه الشهير القائم على تفسير القرآن بالقرآن والبرهان على آيه، بآيه أخرى. وبدورنا حاولنا خلال الترجمة تبسيط ما أمكن من العبارات معقده الأسلوب، مع المحافظه على المعنى، لتكون فى متناول إدراك عامه القراء. سائلين المولى أن يجعلنا جميعاً من أهل السعاده، بعد الموت، إنه سميع مجيب.

سالم مشكور

شوال ١٤١٣

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على أوليائه المقربين محمد وآله الطاهرين.

هذا الكتاب يتضمن رساله كتبناها فى موضوع المعاد(١)، نخوض فيها بعون من الله سبحانه وتعالى بحال الإنسان فى مرحله ما بعد الحياه الدنيا، استناداً إلى ما

١- قال الجوهرى: المعاد: المصير والمرجع. الصحاح، الجوهرى: ٢ / ٥١٤، ماده «عود». قال الطريحي: المعاد، هو: بعث الأجسام البشريه، وتعلق أنفسها بها للنفع، أو الانتصاف والجزاء. مجمع البحرين، الطريحي: ٣ / ٢٧٢، ماده «عود». قال الشيخ كاشف الغطاء: المعاد، هو: الشخص بعينه وبجسده وروحه، بحيث لو رآه الرائي لقال: هذا فلان. أصل الشيعه وأصولها، كاشف الغطاء: ٢٣٢، المعاد. قال الطباطبائي فى تفسيره الميزان: «المعاد، هو: رجوع الإنسان بشخصه وعينه لا بمثله فإن مثل الشىء غيره». الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٤ / ٨٧، تفسير سوره مريم.

يوصلنا إليه البرهان(١)، وما يقدمه لنا القرآن والسنة في هذا المجال. وقد آثرنا الاختصار والاقتصار على المفاهيم العامه. ذلك أن المنهج(٢) الذى نتبعه، والقائم على تفسير الآيه بآيه أخرى، والروايه بروايه أخرى(٣)، منهج عميق ليس من السهل بلوغ مداركه(٤).

وطبيعى أن الاكتفاء فى هذا الموضوع، بذكر نموذج واحد من بين النظائر(٥) المتعدده، لن يساعدنا على بلوغ الفائده الكامله. وسيقف القارئ على صحه قولنا خلال قراءته لهذا البحث.

١- البرهان: بيان الحجه وإيضاحها. كتاب العين، الفراهيدى: ٤ / ٤٩، ماده «بره».

٢- المنهج والمنهاج: الطريق الواضح. الفروق اللغويه، أبو هلال العسكري: ٢٩٨ / الرقم ١١٩٦ الفرق بين الشرعه والمنهاج.

٣- أشار السيد المؤلف قدس سره فى مقدمه تفسيره الميزان حول أسلوبه ومنهجه التفسيرى للقرآن، فقال: «نفسر القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآيه من نظيرتها، بالتدبر المندوب إليه فى نفس القرآن، ونشخص المصاديق، ونتعرفها بالخواص التى تعطىها الآيات». الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١ / ١١.

٤- الدرک: إدراك الحاجه والطلبه. كتاب العين، الفراهيدى: ٥ / ٣٢٧، ماده «درک».

٥- نظير الشيء: مثله، لأنه إذا نظر إليها كأنهما سواء فى المنظر، وفى التأنيث نظيره، وجمعه: نظائر. كتاب العين، الفراهيدى: ٨ / ١٥٦، ماده «نظر».

ولابد من القول هنا أن مفسرى الأخبار والروايات لم يعتمدوا الأسلوب السالف (١) الذكر، لاستنباط (٢) معانى الآيات والروايات ومكنوناتها (٣). وبالتتبع، لم يتركوا لنا حتى القليل من الآثار فى هذا المجال.

من هنا، فإن من يريد اعتماد هذا الأسلوب سيواجه صعوبه بالغه، وسيكون كالذى يدخل ساحه القتال دون سلاح، والله المستعان.

محمد حسين الطباطبائى

١- سلف: سلف يسلف سلفا وسلوفا: تقدم. السالف: المتقدم. لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ١٥٨، ماده «سلف».

٢- استنبط الفقيه، أى: استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده. تاج العروس، الزبيدى: ٥/ ٢٣٠.

٣- الكن والكنه والكنان: وقاء كل شىء وستره، والجمع أكنان وأكنه. كن الشىء يكنه كنا وكنونا وأكنه وكنه: ستره. لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٣٦٠، ماده «كنن». الكن: الستره. أكننته فى نفسى أسررته. اكنن واستكن أى: استتر. مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٧٧، ماده «كنن».

ص: ٥٩

الفصل الأول: الموت والأجل

إشاره

الموت و الأجل

إشارة

الموت (١) والأجل (٢)

١- قال ابن الأثير: الموت: النوم الثقيل. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤ / ٣٦٩، مادة «موت». قال الجرجاني: الموت: صفه وجوديه خلقت ضدا للحياه. التعريفات، الجرجاني: ١٢٩، باب الميم، الموت. قال الزبيدي: الموت: السكون، يقال مات سكون، وكل ما سكن فقد مات. تاج العروس، الزبيدي: ١ / ٥٨٦. قال الطباطبائي: الموت: زهاق الروح وبطلان حياه البدن. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٤ / ٣٧، تفسير سوره آل عمران، كلام في الامتحان وحقيقته. وقال الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا: الموت: انتقال من عالم إلى آخر. وقال أيضا، الموت: هو الخروج من النشأ الأولى (الدنيا)، ودخول النشأ الأخرى (الآخرة). وقال أيضا: الموت: الأجل الثابت الذي هو حق إلهي. وقال أيضا: الموت: جسر ينقلكم من عالم الشدائد والمصاعب إلى الجنة الواسعه والنعيم الدائم. وقال أيضا: الموت: هو يوم العوده إلى الله سبحانه وتعالى. وقال أيضا: الموت: جسر يوصل المؤمنين إلى الجنة والكافرين إلى جهنم. أنظر: الفصل الأول، الموت انتقال من عالم إلى آخر.

٢- عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: (قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى) سوره الأنعام / ٢، قال: فقال: هما أجلان، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء، وأجل محتوم. تفسير العياشي، العياشي: ١ / ٣٥٤ ٣٥٥، تفسير سوره الأنعام / ح ٧. عن أبي عبد الله عليه السلام في توضيح قوله تعالى: (قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سوره الأنعام/٢، قال: الأجل الأول هو ما نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره الله عن الخلائق. تفسير العياشي، العياشي: ١ / ٣٥٥، تفسير سوره الأنعام / ح ٩. قال الفراهيدي: الأجل: غايه الوقت في الموت. كتاب العين، الفراهيدي: ٦ / ١٧٨، مادة «أجل». قال الطباطبائي: أن المراد بالأجل والأجل المسمى، هو: آخر مده الحياه لإتمام المده كما يفيدته قوله: (فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ) سوره العنكبوت / ٥. الأجل: أجلان: الأجل على إبهامه، والأجل المسمى عند الله تعالى، وهذا هو الذي لا يقع فيه تغير لمكان تقييده. إن الأجل المسمى هو: الذي وضع في أم الكتاب، وغير المسمى من الأجل هو المكتوب فيما نسميه بلوح المحو والإثبات. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٧ / ٩، تفسير سوره الأنعام. وقال الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا في الفصل الأول الموت والأجل: الأجل نوعان، الزماني الدنيوي، والأمر الإلهي.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) (١).

وهذه الآيه توضح أن لكل موجود، من السماء وحتى الأرض وما يوجد بينهما، أجلٌ وصفه البارئ عز وجل بأنه «مسمى» أى محدد ومقدر بحيث لا يتعداه أى موجود(١)، كما يتضح من الآيه الكريمه:

(وَلِكُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (٢).

وكذلك الآيه:

(مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّهٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) (٣).

والكثير من الآيات الأخرى المنطويه على نفس المعنى(٤).

١- قال مغنيه: الأجل المسمى: الأمد المعلوم. التفسير الكاشف، ابن مغنيه: ٣ / ٢٠٠، تفسير سورة الأنعام. وقال أيضا: الأجل المسمى: العمر المقدر. التفسير الكاشف، ابن مغنيه: ٤/٢٠٣، تفسير سورة هود. وقال الطباطبائي أيضا، الأجل المسمى: هو الوقت المعلوم عند الله الذى لا يتخطاه حياه الإنسان الدنيويه. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٣٠ / ٧ / ١٣١، تفسير سورة الأنعام. قال الطباطبائي: الأجل المسمى: هو الوقت الذى ينتهى إليه الحياه لا تتخطاه البته. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٠ / ١٤١، تفسير سورة هود. وقال الطباطبائي فى كتابه هذا الذى بين أيدينا فى الفصل الأول الموت والأجل، الأجل: هو من عند الله وهو أمر إلهى، و(عند الله)، يعنى: أنه ثابت ومصون من كل تأثير.

٢- سورة الأعراف / ٣٤.

٣- سورة الحجر / ٥.

٤- ورد ذكر الأجل مكررا فى الكتاب العزيز، ومن الآيات أوردنا ما يلى: سورة الأنعام / ٢، ونصها: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلًا مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) سورة الأعراف / ٣٤، ونصها: (وَلِكُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ). سورة يونس / ٤٩، ونصها: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ). سورة غافر / ٦٧، ونصها: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

إن «أجل» الشىء، هو الزمان الذى ينتهى عنده (١)، ولهذا يستخدم هذا المصطلح فى موضوع الدِّين، الذى يحدد له «أجل مسمى» (٢). وفى الآية:

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣)؛

ورد ال «يوم» للدلالة على «الأجل» (٤).

١- الأجل: مده الشىء. الصحاح، الجوهري: ٤ / ١٦٢١، ماده «أجل».

٢- إشاره إلى قوله تعالى فى سورة البقره/ الآية ٢٨٢، ونصها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ..).

٣- سورة سبأ / ٣٠.

٤- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) سورة سبأ/ ٣٠، أى: لا- تتأخرون عن ذلك اليوم، ولا- تتقدمون عليه بان يزداد فى آجالكم، أو ينقص منها. تفسير مجمع البيان، الطبرسى: ٨ / ٢١٧، تفسير سورة الأحزاب. وقال القرطبي: فى تفسير قوله تعالى: (لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) سورة سبأ / ٣٠، وقت حضور الموت، أى: لكم قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقه قولى. تفسير القرطبي، القرطبي: ١٤ / ٣٠١، تفسير سورة سبأ.

وفى الآيه الكريمة:

(الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) (١).

يخبرنا البارى عز وجل أن «الأجل المسمى» هو عنده (٢).

ثم نقرأ فى آيه كريمة أخرى:

١- سورة الأنعام / ٢.

٢- عن حصين عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله: (قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سورة الأنعام/٢، قال: الأجل الأول هو ما نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذى ستره الله عن الخلائق. تفسير العياشى، العياشى: ١/٣٥٥، تفسير سورة الأنعام / ح ٩. قال ابن شهر آشوب فى قوله تعالى: (ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سورة الأنعام / ٢، الظاهر أنه قضى أجلا وأن عنده أجلا مسمى. متشابه القرآن، ابن شهر آشوب: ٢ / ٩٣، باب المفردات. قال الطباطبائى: الأجل المسمى: هو الذى لا يقع فيه تغير لمكان تقيده بقوله: (عِنْدَهُ) سورة الأنعام/٢. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٩ / ٧، تفسير سورة الأنعام.

(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) (١)، أى أن الذى عنده، خالد وثابت لا يتأثر بعوامل الدهر وظروف الزمان (٢).

يقول الله تعالى:

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ) (٣).

فهو يخبرنا أنه حدد أجلاً لزينه الأرض، وأن هذا الأجل، إنما هو بأمره، وكذا الحال بالنسبة للحياه الدنيا، أى أن الأجل الدنيوى إنما هو محدد بأمر الله.

إذن، فإن الأجل نوعان، أو على الأقل نوع واحد له وجهان: الأجل الزمانى الدنيوى، والأمر الإلهى (٤)، وهما ما تشير إليهما الآيه:

١- سورة النحل / ٩٦.

٢- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) سورة النحل / ٩٦، إن ما عنده ثابت لا يزول ولا يتغير عما هو عليه، فهذه الخزائن كائنه ما كانت أمور ثابتة غير زائله ولا متغيره. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٢ / ١٤٥، تفسير سورة الحجر.

٣- سورة يونس / ٢٤.

٤- عن قتاده والحسن فى تفسير قوله تعالى: (قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلًا مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سورة الأنعام / ٢، قضى أجل الدنيا من يوم خلقك إلى أن تموت، وأجل مسمى عنده: يوم القيامة. تفسير القرآن، الصنعانى: ٢ / ٢٠٣، تفسير سورة الأنعام. عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: (ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلًا مُّسَمًّى عِنْدَهُ) سورة الأنعام / ٢، يعنى: أجل الموت. والأجل المسمى: أجل الساعة، الوقوف عند الله. جامع البيان، ابن جرير: ٧ / ١٩٦، تفسير سورة الأنعام / ح ١٠١٧٧.

(ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) (١).

من هنا يمكن إدراك حقيقته أن «الأجل المسمى» هو من عند الله وهو أمر إلهي، و«عند الله» يعنى أنه ثابت ومصون من كل تأثير. وهذا ما يتضح فى الآيه الشريفه:

(مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ) (٢).

ولهذا فإن البارى عز وجل عبر عن «الأجل» فى العديد من الآيات بعبارات «العودة إلى الله» (٣) و«لقاء الله» (٤).

١- سورة الأنعام / ٢.

٢- سورة العنكبوت / ٥.

٣- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى) سورة الأنعام / ٦٠، وهو الأجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجرائهم على أعمالهم. تفسير جوامع الجامع، الطبرسى: ١/ ٥٧٧، تفسير سورة الأنعام. والآيه ٦٠ من سورة الأنعام فيها إشاره إلى العوده إلى الله عز وجل، ونصها: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

٤- ومضات حول لقاء الله فى القرآن الكريم: سورة البقره / ٢٢٣، ونصها: (نَسَاؤُكُمْ حَزْتُ لَكُمْ فَأَتُوا حَزَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ). سورة يونس / ١٥، ونصها: (وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا). سورة الكهف / ١١٠، ونصها: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا). سورة العنكبوت / ٥، ونصها: (مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). سورة فصلت / ٥٤، ونصها: (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيئِهِ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ). سورة الإنشاق / ٦، ونصها: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ).

الموت انتقال من عالم إلى آخر

العودة هي الخروج من النشأ الأولى (الدنيا) (١)، ودخول النشأ الأخرى

١- قال الشوكاني: النشأ الأولى: هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداء واختراعاً. فتح القدير، الشوكاني: ٣ / ٣٤٣، تفسير سورة مريم. عن قتاده في قوله: (عَلِمْتُمْ النَّشْأَةَ الْأُولَى) سورة الواقعة / ٦٢، قال: هو خلق آدم. تفسير القرآن، الصنعاني: ٣ / ٢٧٢، تفسير سورة الواقعة. أنشأ الله: خلقه. أنشأ الله الخلق، أي: ابتداء خلقهم. لسان العرب، ابن منظور: ١ / ١٧٠، مادة «نشأ».

(الآخِرهُ) (١)، إنه الموت الذى يصفه البارى عز وجل، وليس الذى يعنى التوقف عن الحركة والإحساس، وزوال الحياه الظاهريه.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (٢).

إذ وصف الموت ب«الحق» (٣) فى إشاره إلى الأجل الثابت الذى هو حق إلهى. وكذلك يقول:

١- قال الطبرسى فى قوله تعالى: (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى) سورة النجم / ٤٧، أى: الخلق الثانى للبعث يوم القيامة، يعنى عليه أن يبعث الناس أحياء للجزاء. مجمع البيان، الشيخ الطبرسى: ٣٠٤ / ٩، تفسير سورة النجم. قال القرطبى فى قوله تعالى: (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى) سورة النجم / ٤٧، أى: إعادته الأرواح فى الأشباح للبعث. تفسير القرطبى، القرطبى: ١١٨ / ١٧، تفسير سورة النجم. قال ابن منظور: (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى) سورة النجم / ٤٧، أى: البعثه. لسان العرب، ابن منظور: ١ / ١٧٠، ماده «نشأ».

٢- سورة ق / ١٩.

٣- فى المجمع: فى تفسير قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) سورة ق / ١٩، قيل، معناه: جاءت سكره الموت بالحق الذى هو الموت. مجمع البيان، الطبرسى: ٢٤٠ / ٩، تفسير سورة ق. قال القرطبى: فى تفسير قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) سورة ق / ١٩، قيل: الحق هو الموت، سمي حقاً إما لإستحقاقه وإما لإنتقاله إلى دار الحق. تفسير القرطبى، القرطبى: ١٢ / ١٧، تفسير سورة ق.

(كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ) إلى أن يقول: (وَأَلْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) (١).

وهي إشارة صريحة إلى أن الموت هو يوم العوده إلى الله سبحانه وتعالى (٢).

وينقل الشيخ الصدوق (٣) وآخرون (٤) روايه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد فيها أن الإنسان خلق للبقاء وليس للفناء، وإنما الموت، انتقال من عالم إلى آخر (٥).

كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام وصفه للإنسان بأنه خلق بشأئين: الدنيا والآخرة، فجعل الله سبحانه وتعالى، حياه الإنسان على الأرض، بعدما أنزل هذه

١- سورة القيامة / ٢٦ - ٣٠.

٢- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) سورة القيامة / ٣٠، المساق مصدر ميمي، بمعنى السوق، والمراد بكون السوق يومئذ إليه تعالى انه الرجوع إليه. فهو مسوق مسير من يوم موته، حتى يرد على ربه يوم القيامة. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١٣ / ٢٠، تفسير سورة القيامة.

٣- محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، يكنى أبا جعفر، كان جليلا حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال، ناقدا للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثره علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف. الفهرست، الطوسي: ١٥٦ / ١٥٧، باب الميم / الرقم ٦٩٥ محمد بن علي بن الحسين.

٤- ذكر المعنى الشيخ الصدوق في المعاني، والشيخ المفيد في الإرشاد والشيخ الطوسي في أماليه.

٥- قد أورد مضمون الحديث الشيخ الصدوق كما أشار إلى ذلك المؤلف في معاني الأخبار. أنظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٨ / ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٣. الإرشاد، الشيخ المفيد: ١ / ٢٣٨، باب طرف من أخبار أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله. الأمالي، الطوسي: ٢١٦، المجلس الثامن / ح ٢٩.

الحياه من السماء إلى الأرض، وعندما يوجد البارى عز وجل الفراق بين هذين الشأين، يحدث الموت، وعند ذاك يعود شأن الآخرة إلى السماء. إذن فالحياه هى على الأرض، والموت فى السماء، ذلك أن الموت يعنى الفصل بين الروح والجسد. فتعود الروح إلى القدس الأول(١)، ويبقى الجسد على الأرض لكونه من شأن الدنيا(٢).

ينقل عن الإمام الحسن العسكرى قوله عن الإمام على الهادى عليهما السلام أنه دخل على أحد أصحابه وكان مريضاً يبكى خوفاً من الموت. فقال له الإمام:

أنت تخاف الموت لأنك لا تعرفه. أخبرنى لو كان بدنك مليئاً بالجراح والجرب وتعلم أن علاجه يكمن فى استحمامك فى حمام معين يريحك من كل ما يؤلمك، أكنت تكره دخول هذا الحمام، وتفضل البقاء على معاناتك؟.

فقال الرجل: كلا، بل أفضل الحمام يا ابن رسول الله، فرد عليه الإمام:

إذن، أعلم أن الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر فرصه لتطهر نفسك من ذنوبها وذاتك مما علق بها من سيئات، فإن وردت على الموت، ستنجو من كل هم

١- قال المجلسى: القدس الأولى وهو: عالم الأرواح التى هى أولى مخلوقاته تعالى، وهى القدره الأولى، أى: جوهره الأول قبل الامتزاج لكل من الروح والجسد. بحار الأنوار، المجلسى: ٢٩٧ / ٥٨، كتاب السماء والعالم، باب ٤٧ ما به قوام بدن الإنسان وأجزائه، بيان حديث رقم / ٦.

٢- أنظر: تحف العقول، الحرانى: ٣٥٥، روى عن الإمام الصادق أبى عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليهم أجمعين فى طوال هذه المعانى، كلامه عليه السلام فى خلق الإنسان وتركيبه. بحار الأنوار، المجلسى: ٢٩٥ / ٥٨، ٢٩٦، كتاب السماء والعالم، باب ٤٧ ما به قوام بدن الإنسان.

وغمّ، وستبلغ الفرح والبهجه. هنا أحس المريض بالسكون والاطمئنان واستسلم للموت، وأغمض عينيه وودع الدنيا(١).

وفى روايه أخرى، ينقل الإمام الجواد عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن الإمام على بن الحسين عليه السلام أن الأمر لما اشتد على الإمام الحسين بن على عليه السلام فى كربلاء(٢). نظر إليه أصحابه، فوجدوه فى وضع يختلف تماماً عما هم فيه من قلق

١- أنظر: معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٩، باب معنى الموت / ح ٩.

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبر ابنى بأرض يقال لها كربلاء هى البقعه التى كانت فيها قبه الإسلام التى نجا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح فى الطوفان. كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢٦٩، الباب الثامن والثمانون فضل كربلاء وزياره الحسين عليه السلام / ح ٨. قال الحموى كربلاء بالمد: وهو الموضع الذى قتل فيه الحسين بن على رضى الله عنه ، فى طرف البريه عند الكوفه، فا لكربله رخاوه فى القدمين. فيجوز على هذا أن تكون ارض هذا الموضع رخوه فسميت بذلك. ويجوز أن تكون هذه الأرض منقاه من الحصى والدغل فسميت بذلك. معجم البلدان، الحموى: ٤٤٥ / ٤، كربلاء. قال الخليلي: ذكر السيد العلامة هبه الدين الشهرستاني: ان (كربلاء) منحوتة من كلمتى (كور بابل) بمعنى مجموعه قرى بابلية، وقال الأب اللغوى أنستاس الكرملي: (والذى نتذكره فيما قرأناه فى بعض كتب الباحثين أن كربلاء منحوتة من كلمتين من (كرب) و(إل) أى حرم الله أو مقدس الله). موسوعه العتبات المقدسه، الخليلي: ٨ / ٩، ١٠، كربلاء قديما، معنى كربلاء. وقال الخليلي أيضاً: تصف دائره المعارف البريطانيه كربلاء فتقول: إنها بلده من بلدان العراق الشهيره تقع على درجه ٣٢ و ٤٠ ثانيه شمالاً، و٤٤ ثانيه شرقاً، وتبعد عن بغداد بمسافه ستين ميلاً فى اتجاه جنوبى غربى وعن فرع الهنديه من الفرات بعشرين ميلاً، على حاشيه باديه الشام. وسكانها كلهم من المسلمين الشيعه. موسوعه العتبات المقدسه، الخليلي: ٨ / ٣٨٣ ٣٨٤، كربلاء فى المراجع الغربيه، كربلاء فى دائرتى المعارف البريطانيه والإسلاميه. قال أبو لحمه: تقع مدينه كربلاء فى جنوب غربى نهر الفرات وتبعد عن بغداد حوالى (١٠٥ كم) والفرق الزمنى بينهما أربع دقائق، وتقع على خط الطول ٤٣ درجه و ٥٥ دقيقه شمال خط الاستواء فى المنطقه المعتدله الشماليه، وكما تقع على خط العرض ٣٤ درجه و ٤٥ دقيقه. كربلاء منذ العهد البابلى حتى استشهاد الإمام الحسين، على أبو لحمه: ١٠، الموقع الجغرافى لمدينه كربلاء. قال عامر الكربلائي: كربلاء: إحدى مدن العراق، تقع جنوب بغداد، تتصف بنقاوه هوائها وسماحه نفوس أهلها، وتشغلها عدّه أفضيه ونواحي، وفيها عدّه من الأحياء السكنيه والمناطق الخصبه بالزراعه، حيث يجرى فى وسطها نهر الفرات الذى جعله الله شفاء من كل داء. مزارات الأولياء فى ارض كربلاء، عامر الكربلائي: ١٢، كربلاء.

واضطراب. فكلما كان الأمر يشتد عليهم، كانوا يصابون بالذعر، وترتجف أرجلهم (١)، أما الحسين عليه السلام، وبعض المقربين والقريبين منه، فكانوا على العكس

١- هذه نخبه من الكلمات التي ذكرت أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وفيها بيان حالهم المشهود لهم به: حدثنا محمد بن ابراهيم بن اسحاق رضى الله عنه قال: حدثنا عبد العزيز ابن يحيى الجلودى قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا جعفر بن محمد ابن عماره عن أبيه عن ابي عبدالله عليه السلام قال: قلت له اخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام واقدامهم على الموت فقال انهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنه فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها والى مكانه من الجنه. علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١/٢٢٩ باب ١٦٣ عله إقدام أصحاب الحسين عليه السلام على القتل/ح ١. ورد في زياده عاشوراء المرويه عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: اللهم لك الحمد حمد الشاكرين على مصابهم، الحمد لله على عظيم رزيتي، اللهم ارزقني شفاعه الحسين يوم الورود، وثبت لى قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام. مصباح المتعجب، الشيخ الطوسي: ٧٧٦. قال ابن طاووس: إن الحسين يوم الطف ثبت هو وأصحابه على القتل فى الله ومكابده الموت وتقطيع الأعضاء فى ذات الله وما كان دون بعض من سماه وغيرهم من الصحابه والتابعين والصالحين قطعوا أعضاء وعذبوا أحياء وما ردهم ذلك عن الإيمان ولا ظهر عليهم ضعف فى قلب ولا لسان ولا جنان. سعد السعود، ابن طاووس: ١٣٦، الباب الثانى فيما وقفناه من كتب تفاسير القرآن الكريم. سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازي، عن النصر، عن عاصم بن حميد، عن الثمالى قال: قال على بن الحسين عليه السلام: كنت مع أبى فى الليله التى قتل فى صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جنه فان القوم إنما يريدوننى، ولو قتلونى لم يلتفتوا إليكم وأنتم فى حل وسعه، فقالوا: والله لا يكون هذا أبدا فقال: إنكم تقتلون غدا كلكم ولا يفلت منكم رجل، قالوا: الحمد لله الذى شرفنا بالقتل معك. ثم دعا فقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنه، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدرة ووجهه ليصل إلى منزلته من الجنه. بحار الأنوار، العلامة المجلسى: ٢٩٨/٤٤. قال الإمام الحسين عليه السلام يصف أصحابه: أما والله لقد نهرتهم وبلوتهم وليس فيهم الأشوس الأفس يستأنسون بالمنيه دونى أستئناس الطفل بلبن أمه. الدمعه الساكبه، البهبهاني: ٤/٢٧٣، الفصل الحادى عشر فيما وقع بعد نزوله عليه السلام كربلاء. حمل شمر بن ذى الجوشن فى المسيره على أهل الميسره فثبتوا له فطاعنوه وأصحابه وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب فقتل الكلبى وقد قتل رجلين بعد الرجلين الاولين وقاتل قتالا شديدا فحمل عليه هانئ بن ثبيت الحضرمى وبكير بن حى التيمى من تيم الله بن ثعلبه فقتلاه وكان القتل الثانى من أصحاب الحسين وقاتلهم أصحاب الحسين قتالا شديدا وأخذت خيلهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارسا وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفه إلا كشفته فلما رأى ذلك عزره بن قيس وهو على خيل أهل الكوفه أن خيله تنكشف من كل جانب بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن فقال أما ترى ما تلقى خيلى مذ اليوم من هذه العده اليسيره ابعث إليهم الرجال والرماه فقال لشيث بن ربيعى ألا تقدم إليهم فقال سبحان الله أتعمد إلى شيخ مصر وأهل مصر عامه تبعته فى الرماه لم تجد من تندب لهذا ويجزى عنك غيرى. تاريخ الطبرى، الطبرى: ٤ / ٣٣٢. فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسينا ولا أنفسهم تنافسوا فى أن يقتلوا بين يديه فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزره الغفاريان فقالا يا أبا عبد الله عليك السلام حازنا العدو إليك فأحبنا

أن نقتل بين يديك نمنعك وندفع عنك قال مرحبا بكما ادنوا مني فدنوا منه فجعلنا يقاتلان قريبا منه. تاريخ الطبري، الطبري: ١٤

من ذلك(١)... تعلق وجوههم علامات السكون والاطمئنان(٢)، وكان الأصحاب يقولون: إنه لا يخاف أبداً، فيجيبهم الإمام الحسين عليه السلام:

أيها العظام، عليكم بالصبر، فما الموت إلا- جسر ينقلكم من عالم الشدائد والمصاعب إلى الجنة الواسعة والنعم الدائمة.. إنه ينقلكم من السجن إلى قصر كبير، واعلموا أن الموت لأعدائكم ليس إلا جسراً ينقلهم من القصر

-
- ١- قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناحاً منه عليه السلام... الحديث. الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١١، باب ذكر الإمام بعد الحسن بن علي عليهما السلام.
 - ٢- اطمأن الرجل، واطمأن قلبه، واطمئنت نفسه: إذا سكن واستأنس. كتاب العين، الفراهيدي: ٧ / ٤٤٢، مادة «طمن».

١- معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٨ ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٣، وفيه النص: «قال على بن الحسين عليهما السلام: لما اشتد الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجبت قلوبهم وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدي جوارحهم وتسكن نفوسهم فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت فقال لهم الحسين عليه السلام: صبرا بنى الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب إن أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدنيا سجن المؤمن وجهه الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كذبت». سند الرواية التي أوردها العلامة الطباطبائي هو الآتي: حدثنا محمد بن القاسم المفسر الجرجاني رحمه الله، قال: حدثنا أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي الناصري، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه محمد بن علي بن الحسين: وقد أوردنا فيما يلي ترجمه المفسر الجرجاني محمد بن القاسم، لبيان حال الرواية، وفيما جمعه السيد الخوئي قدس سره الكفاية في بيان ما أوردنا بيانه. محمد بن القاسم الاسترآبادي: من مشايخ الصدوق قدس سره، ذكره في المشيخة، وفي باب التلبيه. الفقيه: الجزء ٢، الحديث ٩٦٧. وذكره مترضيا عليه في العيون: الجزء ١، الباب ٢٨، فيما جاء عن الامام علي بن موسى عليهما السلام من الاخبار المتفرقة، الحديث ١٩. أقول: هذا هو محمد بن القاسم المفسر الاسترآبادي، الذي روى عنه الصدوق كثيرا، ففي بعض الموارد عبر عنه بمحمد بن القاسم الاسترآبادي كما تقدم، وفي بعض الموارد عبر عنه بمحمد بن القاسم المفسر. العيون الجزء ١، الباب ١١، فيما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام، في التوحيد، الحديث ٣٦. وقد يجمع بين الامرين فيعبر عنه بمحمد بن القاسم الاسترآبادي المفسر. العيون: الجزء ١، الباب ٢٨، الحديث ٣٠. وقد يعبر عنه بمحمد بن القاسم المفسر، المعروف بأبي الحسن الجرجاني. العيون: الجزء ١، الباب ٢٦، فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار النادرة في فنون شتى، الحديث ٤، وقد جمع بين الجمع، وقال: حدثنا محمد بن القاسم الاسترآبادي المعروف بأبي الحسن الجرجاني المفسر (رضى الله عنه). المعاني: باب معنى الحروف المقطعة ١٦، الحديث ٤. ووصفه بالخطيب، كما هو مذكور في أول التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام. وقال ابن الغضائري: «محمد بن القاسم المفسر الاسترآبادي: روى عنه أبو جعفر بن بابويه، ضعيف كذاب، روى عنه تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين، أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر علي بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي، عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير». (إنتهى). وذكر العلامة مثل ذلك في (٦٠) من الباب (١). من حرف الميم، من القسم الثاني، وقال: «محمد بن القاسم، وقيل: ابن أبي القاسم المفسر الاسترآبادي...» (إلى آخر ما ذكرناه). بقي هنا أمور: الاول: ان محمد بن القاسم تكرر ذكره في روايه الصدوق قدس سره عنه في كتبه، وليس في شيء من هذه الموارد التعبير عنه بمحمد بن أبي القاسم، فلم يظهر وجه لما ذكره العلامة، وقيل: ابن أبي القاسم. الثاني: أن محمد بن القاسم هذا لم ينص على توثيقه أحد من المتقدمين، حتى الصدوق قدس سره الذي أكثر الرواية عنه بلا واسطه. وكذلك لم ينص على تضعيفه، إلا ما ينسب إلى ابن الغضائري، وقد عرفت غير مره أن نسبه الكتاب إليه لم تثبت، وأما

المتأخرون فقد ضعفه العلامة، والمحقق الداماد، وغيرهما، ووثقه جماعه آخرون على ما نسب إليهم، والصحيح أن الرجل مجهول الحال، لم تثبت وثاقته، ولا ضعفه، وروايه الصدوق عنه كثيرا لا- تدل على وثاقته، ولا سيما إذا كانت الكثرة في غير كتاب الفقيه، فإنه لم يلتزم بأن لا- يروى إلا- عن ثقه، نعم لا- يبعد دعوى أن الصدوق كان معتمدا عليه لروايته عنه في الفقيه، المؤيد بترضيه وترحمه عليه كثيرا، ولكن اعتماد الصدوق لا يكشف عن الوثاقه، ولعله كان من جهه أصاله العداله، وعلى كل حال فالتفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام بروايته لم يثبت، فإنه رواه عن رجلين مجهول حالهما، وقد أشرنا إلى ذلك في ترجمه على بن محمد بن يسار. الثالث: أن المذكور في كلام ابن الغضائري، والعلامة، أن التفسير رواه يوسف بن محمد بن زياد، وعلى بن محمد بن يسار (سيار)، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، وفي هذا سهو من جهتين: الاولى: أن الرجلين روي هذا التفسير عن الامام عليه السلام، بلا واسطه، لا بواسطه أبيهما، وإنما ذكر الصدوق أنهما كانا من الشيعة، عن أبيهما، كما تقدم في ترجمه على بن محمد بن يسار، وصرح بذلك في أول التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام. نعم ورد في موارد روايه الصدوق، عن محمد بن القاسم الاسترآبادي، عن يوسف بن محمد بن زياد، وعلى بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن الحسن بن علي الامام العسكري عليه السلام، كما في الحديثين المتقدمين من الفقيه والمعاني، وكما في الحديث ١، من الباب ٢٧، فيما جاء عن الرضا عليه السلام، في هاروت وماروت من العيون: الجزء ١، وغير بعيد أن تكون كلمه عن أبيهما، في هذه الموارد من زياده النساخ، أو أن جمله: وكان من الشيعة، ساقطه قبل كلمه: عن أبيهما. الثانيه: أنهما نسبا التفسير إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام، مع أنه منسوب إلى أبي محمد العسكري عليه السلام. الرابع: أن المذكور في كلام ابن الغضائري، والعلامة، أن التفسير موضوع عن سهل الديباجي، عن أبيه، بأحاديث من هذه المناكير، وهذه العبارة لا نعرف لها معنى محصلا، فإن سهلا لم يقع في سند هذا التفسير، وإنما رواه الصدوق قدس سره، عن محمد بن القاسم، عن يوسف بن محمد بن زياد، وعلى بن محمد بن يسار، عن الإمام العسكري عليه السلام، وغير بعيد أن تكون في العبارة تحريف، أو سقط من النساخ. معجم رجال الحديث، الخوئي: ١٨ / ١٦١ ١٦٤ / الرقم ١١٦١٣ محمد بن القاسم الاسترآبادي. راجع المقدمه والرساله الرجاليه في نهايه التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام طبعه مدرسه الإمام المهدي عليه السلام الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ قم المقدسه. إذ ورد فيها تحليل وتفصيل مستند حول تفسير الإمام العسكري عليه السلام وروايته لم نذكره لعدم ارتباطه في بحثنا وتجنباً للإطاله. ونكتفي بهذا القدر من الإيضاح للتوقف في الروايه؛ لعله راويها دون احتمال الأصاله في العداله، مع التواتر في جرحه على لسان جهابذه علماء الرجال.

ويورد الإمام الحسين لأصحابه ما نقله له أبوه الإمام على عليه السلام عن رسول الله من إن الدنيا سجن المؤمن وجن الكافر، والموت، جسر يوصل المؤمنين إلى الجنة والكافرين إلى جهنم (١).

وينقل الإمام الباقر عليه السلام أن الإمام السجاد عليه السلام سئل عن الموت فقال بأنه للمؤمن كخلع ملابس قدره وفك قيود وسلاسل ثقيله، والاستعاذه عنها بملابس نظيفة معطره ومراكب مريحه ومساكن واسعه. وأنه بالنسبة للكافر، كخلع الملابس الفاخرة وترك المسكن النظيف الواسع، إلى مسكن بعيد قدر حيث العذاب واللباس القذر (٢).

وعندما يُسأل الإمام الباقر نفسه عن الموت، يجيب بأنه النوم الذي يأتي الإنسان كل ليلة، إلا أنه أطول منه مدة، بحيث لا يفيق منه الإنسان إلا يوم القيامة ويشبه الإمام، الموت، بما يراه الإنسان في منامه من أحلام جميلة أو كوابيس مرعبة، ثم يدعو الناس إلى التهيؤ له (٣).

١- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٨ ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٣.

٢- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٤، وفيه النص «وقال محمد بن علي عليهما السلام قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام ما الموت قال: للمؤمن كنز ثياب وسخه قمله وفك قيود وأغلال ثقيله والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب وآنس المنازل والكافر كخلع ثياب فاخره والنقل عن منازل أنيسه والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب».

٣- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٥، وفيه النص: «وقيل لمحمد بن علي عليهما السلام ما الموت قال: هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة إلا أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه هذا هو الموت فاستعدوا له».

الروح تنتقل مع الموت

إن تشبيه الإمام الباقر عليه السلام للموت، بالنوم، مستوحى من الآية الكريمة:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ) (١).

إذ نلاحظ أن الله عز وجل وصف الحاليتين بـ«الوفاه»، ثم استخدم «الإمساك» للتعبير عن الأولى، أى التى تعود فيها الروح إلى ربها، ونلاحظ أنه لم يقل «يقبض» بدلاً عن «يمسك» (٢).

١- سورة الزمر / ٤٢.

٢- قال القشيري فى قوله تعالى: (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) سورة الزمر / ٤٢، يقبض الله الروح فى حالين، فى حالة النوم وحاله الموت، فما قبضه فى حال النوم فمعناه أنه يغمره بما يجبسه عن التصرف فكأنه شىء مقبوض، وما قبضه فى حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله إلى يوم القيامة. وقوله: (وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ) سورة الزمر / ٤٢، أى: يزيل الحابس عنه فيعود كما كان. فتوفى الأنفس فى حال النوم بإزالة الحس وخلق الغفلة والآفه فى محل الإدراك. وتوفىها فى حاله الموت بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية. تفسير القرطبي، القرطبي: ١٥ / ٢٦١، تفسير سورة الزمر.

أما قول الأئمة الأطهار أن الروح، تفارق الجسد عند الموت، فهو مستوحى من الآية الكريمة:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمَآئِئَةَ حِينَ مَوْتِهَا) (١)، ذلك أن الباري عز وجل نسب «التوفى» إلى «الأنفس» باعتبار ذلك، استيفاءً كاملاً للحق المطلوب، وكذلك في الآية: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ) (٢)، نسب «التوفى» ل«كم»، وهى الضمير المعبر عن الأنفس والتي يذكرها الإنسان بكلمات «أنا» و«نحن» (٣). إذن فالذى ينتقل من الإنسان إلى النشأة (٤) الأخرى (٥) هو الروح (٦) والآية الكريمة:

١- سورة الزمر / ٤٢.

٢- سورة الأنعام / ٦٠.

٣- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا..) إلى قوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) السجده / ١٠ ١١، يقول إنكم بالموت لا تصلون في الأرض ولا تعدمون بل الملك الموكل بالموت يأخذ الأمر الذى تدل عليه لفظه (كم) و(نا)، وهى: النفوس. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١ / ٢٩٩، تفسير سورة الرعد.

٤- أنشأه الله: خلقه. وأنشأ الله الخلق أى: ابتداء خلقهم. لسان العرب، ابن منظور: ١ / ١٧٠، ماده «نشأ».

٥- النشأة الأخرى: مر تعريفها فى الفصل الأول، الموت انتقال من عالم إلى آخر.

٦- قال عبد الغفار الأسلمى فى قول الله عز وجل: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ... أَجَلٍ مُّسَمًّى) سورة الزمر / ٤٢، فليس ترى الأرواح كلها تصير إليه عند منامها فيمسك ما يشاء ويرسل ما يشاء، فقال له أبو الحسن عليه السلام: إنما يصير إليه أرواح العقول فأما أرواح الحياه فإنها فى الأبدان لا تخرج إلا بالموت ولكنه إذا قضى على نفس الموت فقبض الروح الذى فيه العقل... الحديث. جامع الأخبار، الشعيرى: ١٧١، الفصل ١٣٦ فى الروح. قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) سورة الزمر / ٤٢، التى تتوفى عند الموت هى نفس الحياه التى إذا زالت زال معها النفس. وقال أيضا: قبض النوم يكون الروح معه وقبض الموت يخرج الروح من البدن. تفسير مجمع البيان، الطبرسى: ٨ / ٤٠٣ ٤٠٤، تفسير سورة الزمر. قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) السجده / ١١، أن الروح عند الموت مأخوذ من البدن والبدن على حاله من غير أن ينقص منه شىء. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢ / ١٥٤، تفسير سورة الحجر. وقال الطباطبائي أيضا فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمَآئِئَةَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / ٤٢، المراد بالأنفس الأرواح المتعلقة بالأبدان لا- مجموع الأرواح والأبدان لأن المجموع غير مقبوض عند الموت وإنما المقبوض هو الروح. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧ / ٢٦٩، تفسير سورة الزمر.

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) (١).

تشير إلى هذا الأمر بوضوح، فالكدح هو السعي باتجاه شيء، والإنسان هو الساعي إلى الله، وهو الذي يسير إليه منذ بدء خلقه (٢)، ولهذا فإن آيات عده

١- سورة الإنشقاق / ٦.

٢- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) سورة الإنشقاق / ٦، قال الراغب: الكدح السعي والعناء. ففيه معنى السير، وقيل: الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها. وعلى هذا فهو مضمن معنى السير بدليل تعديده بإلى، ففي الكدح معنى السير على أى حال. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠ / ٢٤٢، تفسير سورة الإنشقاق. قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: (إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا) سورة الإنشقاق / ٦، الكدح في كلام العرب السعي في الشيء بجهد من غير فرق بين أن يكون ذلك الشيء خيرا أو شرا، والمعنى أنك ساع إلى ربك في عملك أو إلى لقاء ربك. فتح القدير، الشوكاني: ٥ / ٤٠٦، تفسير سورة الإنشقاق.

تحدث عن إقامه الإنسان في الدنيا بكلمات «لبث» (١) أو «مكث» (٢) كما في الآية:

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (٣).

١- وردت في القرآن كلمه (لبث) فى أكثر من ثلاثين موضعا، نذكر منها الآتى: سورة البقره / ٢٥٩، ونصها: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ تَمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِثَّةَ عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لِمَ يَتَسَنَّهٖ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). سورة يونس / ١٦، ونصها: (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ). سورة العنكبوت / ١٤، ونصها: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) .

٢- وردت كلمه (مكث) فى كتاب الله العزيز فى موارد عدده، نذكر منها ما له علاقة بإقامه الإنسان فى الأرض: سورة طه / ١٠، ونصها: (إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى). سورة النمل / ٢٢، ونصها: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ).

٣- سورة المؤمنین / ١١٢.

من الذى يتوفى الأنفس؟

يقول البارى عز وجل:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) (١) وهى إشارة صريحه إلى أن «لتوفى» منسوب إليه (٢). وفى آيه أخرى:

(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) (٣).

نجد أن «لتوفى» منسوب إلى ملك الموت (٤).

١- سورة الزمر / ٤٢.

٢- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) سورة الزمر / ٤٢، انه تعالى يتوفى الأنفس التى لم تمت. مجمع البيان، الطبرسى: ٣ / ٤٦١، تفسير سورة المائدة. قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / ٤٢، أى: يقبضها عند فناء آجالها. تفسير القرطبى، القرطبى: ١٥ / ٢٦٠، تفسير سورة الزمر.

٣- سورة السجده / ١١.

٤- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ) سورة السجده / ١١، إن الذى يتولى قبض الأرواح ملك الموت بأمر الله. التبيان، الطوسى: ٩ / ٣١، تفسير سورة الزمر. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) سورة السجده / ١١، فنسبه (الموت) إلى ملك الموت. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٣ / ١٩١، تفسير سورة آل عمران. وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى: (مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) سورة السجده / ١١، أى: وكل بإماتتكم وقبض أرواحكم، وقد نسب التوفى فى الآية إلى ملك الموت. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٦ / ٢٥١، تفسير سورة السجده.

وفى آيه ثالته: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَمَّا يُفَرِّطُونَ) (١) نجد أن «لتوفى» نسب إلى «الملائكة المرسلين» (٢).

طبيعى أن المرجع والمصدر لكل هؤلاء واحد، ذلك أن جميع ذلك يتم بإرادة الله وأمره، لكن التنفيذ يتم على مستويات متعدده، طبقاً لمستوى الفئه التى تجرى بحقها عمليه «الوفاه» (٣).

١- سورة الأنعام / ٦١.

٢- قال القمى فى تفسير قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) سورة الأنعام/٦١، هم الملائكة. تفسير القمى، القمى: ١ / ٢٠٣، تفسير سورة الأنعام. قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) سورة الأنعام/٦١، يعنى: وقت الموت، (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) سورة الأنعام / ٦١، يعنى: قبضت الملائكة روح المتوفى، وهم رسل الله الذين عناهم الله. التبيان، الشيخ الطوسى: ٤ / ١٥٨، تفسير سورة الأنعام. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) سورة الأنعام/٦١، فنسبه (الموت) إلى جمع من الملائكة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٣ / ١٩١، تفسير سورة آل عمران.

٣- الوفاة: المنية. وتوفى فلان، وتوفاه الله: إذا قبض نفسه. كتاب العين، الفراهيدى: ٨ / ٤١٠، ماده «وفى». الوفاة: الموت. لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٤٠٠، ماده «وفى».

وهناك العديد من الروايات والأخبار التي تؤيد ذلك، فقد نقل عن الإمام الصادق أن ملك الموت سُئِلَ كيف يستطيع قبض أرواح أناس متوزعين على مشارق الأرض ومغاربها فأجاب بأنه يستدعى هذه الأرواح، وهي تستجيب له.

ثم قال (١) أن الدنيا بين يديه، كما الإناء بيد الإنسان يأكل من أى جانب منه يشاء، وأن الدنيا بين يديه (أى: ملك الموت) كما الدرهم بيد الإنسان يديره كيفما يشاء (٢).

وفى روايه أخرى أن جماعه من المؤمنين سألوا الإمام الصادق عليه السلام عن الآيات التاليه:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) (٣) و(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) (٤) و(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) (٥) و(تَوَفَّاهُمْ رُسُلْنَا) (٦) و(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ) (٧)

١- أى: «الإمام الصادق عليه السلام».

٢- أنظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٣٤، باب غسل الميت / ح ١٢.

٣- سورة الزمر / ٤٢.

٤- سورة السجده / ١١.

٥- سورة النحل / ٣٢.

٦- سورة الأنعام / ٦١.

٧- سورة الأنفال / ٥٠.

سألوه: كيف يمكن أن تكون هذه الآيات صحيحة، بينما نحن نعرف أنه قد يموت عدد كبير من الناس، من أنحاء العالم، وفي آن واحد، فأجاب:

بأن الله تبارك وتعالى، جعل لملك الموت مساعدين من الملائكة، يتولون قبض الأرواح مثلما يتخذ قائد الحرس، أفراداً مساعدين له.

فالملائكة المساعدون يقومون بتوفى الأشخاص المختلفين، ثم يقوم ملك الموت باستلامهم إلى جانب الذين يتوفاهم بنفسه، ثم يتوفاهم الله عز وجل جميعاً (١).

وقد وردت روايه أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام تتضمن نفس هذا المعنى، وورد في نهايتها تأكيد من الإمام بأنه لا يمكن لكل صاحب علم أن يعطى علمه ويشرحه لكل الناس، لأنهم مختلفين في استيعابهم لبعض العلوم وإدراكهم لها، لأن بعض هذه العلوم والحديث للإمام على لا- يقوى على تحملها إلا من أوتى عوناً إلهياً خاصاً لإدراكها وفهمها. ثم يقدم الإمام على عليه السلام نصيحته فيقول بأنه يكفي للإنسان أن يعرف أن الله هو المحيى والمميت (٢)، وأنه يتوفى الأنفس (٣)، على يد من يريد، سواء كانوا ملائكة أو غير الملائكة (٤).

١- أنظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١ / ١٣٦ ١٣٧، باب غسل الميت / ح ٢٦.

٢- إشاره إلى قوله تعالى من سوره آل عمران / ٢٧. ونصها: (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ).

٣- إشاره إلى قوله تعالى من سوره الزمر / ٤٢. ونصها: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

٤- أنظر: التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٦٨ ٢٦٩، باب ٣٦ الرد على الثنويه والزنادقه / قطعه من الحديث رقم ٥.

وللوهله الأولى يفهم السامع من عبارته «غير الملائكة» الواردة في كلام الإمام عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يتوفى بعض الأنفس أحياناً على يد غير الملائكة، وهذا يحمل علامات استفهام واستغراب.

فقد يكون المقصود بـ«غير الملائكة» هم بعض الأولياء المقربين الذين يتمتعون بمرتبه أعلى من الملائكة(١). وقد يكون المقصود بذلك، أولئك الذين يتوفاهم الله مباشرة دون وساطة الملائكة، هذا مع أن خلفيه هذين الاحتمالين واحده.

لقد ورد في «الكافي» روايه عن الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها أن الإمام على بن الحسين عليه السلام كان يقول دائماً أن كلام البارى عز وجل:

(أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) (٢) يقصد به موت العلماء(٣). وقال بعض العلماء أن «أطراف» التى هى جمع «طرف»، يقصد بها العلماء والأشرف(٤).

١- عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: (تَوَفَّيْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) سورة الأنعام / ٦١، قال: الرسل توفى الأنفس، ويذهب بها ملك الموت. جامع البيان، ابن جرير الطبرى: ٢٨٣ / ٧، تفسير سورة الأنعام / ح ١٠٣٨٦. وعن قتاده فى تفسير قوله تعالى: (تَوَفَّيْتَهُ رُسُلُنَا) سورة الأنعام / ٦١، قال: يلى قبضها الرسل، ثم يدفونها إلى ملك الموت. جامع البيان، ابن جرير الطبرى: ٢٨٤ / ٧، تفسير سورة الأنعام / ح ١٠٣٨٨.

٢- سورة الرعد / ٤١.

٣- أنظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣٨، كتاب فضل العلم، باب فقد العلماء / ح ٦.

٤- قال الأزهرى: أطراف الرجال: أشرفهم. لسان العرب، ابن منظور: ٩ / ٢١٨، ماده «طرف». قال الفيض الكاشانى فى تفسير قوله تعالى: (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) سورة الرعد / ٤١، الأطراف: جمع طرف، أو طرف بالتسكين: بمعنى العلماء والأشرف. تفسير الصافى، الفيض الكاشانى: ٣ / ٧٦، تفسير سورة يوسف.

وعموماً، فكما أنَّ ل «الأنفس» (١)، مراتب ودرجات حقيقته بلحاظ قربها من

١- عن أمير المؤمنين عليه السلام انه سأله إعرابي عن النفس فقال عليه السلام: «أى الأنفس تسأل؟ فقال: يا مولاي هل النفس أنفس عديده؟ فقال عليه السلام: نفس ناميه نباتيه وحسيه حيوانيه وناطقه قدسيه وإلهيه كليه ملكوتيه، قال: يا مولاي ما الناميه النباتيه؟ قال عليه السلام: قوه أصلها الطبايع الأربع، بدو إيجادها عند مسقط النطفه مقرها الكبد مادتها من لطايف الأغذيه فعلها النمو والزياده سبب افتراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود ممازجه لا عود مجاوره، فقال: يا مولاي ما النفس الحيوانيه؟ قال عليه السلام: قوه فلكيه وحراره غريزيه أصلها الأفلاك بدو إيجادها عند الولاده الجسمانيه فعلها الحياه والحركه والظلم والغلبه واكتساب الشهوات الدنيويه مقرها القلب سبب افتراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود ممازجه لا عود مجاوره فتتعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها، فقال: ما النفس الناطقه القدسيه؟ قال عليه السلام: قوه لاهوتيه بدو إيجادها عند الولاده الدنيويه مقرها العلوم الحقيقيه موادها التأييدات العقليه فعلها المعارف الربانيه سبب فراقها تحلل الآلات الجسمانيه فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود مجاوره لا عود ممازجه، فقال: ما النفس الإلهيه الملكوتيه الكليه؟ فقال عليه السلام: قوه لاهوتيه وجوهره بسيطه حيه بالذات أصلها العقل منه بدت وعنه دعت واليه دلت وأشارت وعودها إليه إذا كملت وشابهت ومنها بدت الموجودات واليه تعود بالكمال وهي ذات العليا وشجره طوبى وسدره المنتهى وجنه المأوى من عرفها لم يشق أبداً ومن جهلها ضل وغوى... الحديث». شرح الأسماء الحسنی، هادی السبزواری: ٢/ ٤٥ ٤٦. وأنظر: التعليقه على الفوائد الرضويه، القاضي سعيد القمي: ١٠٥ ١١٥.

البارى عز وجل(١)، فإن الوفاة تتناسب ودرجه كل نفس، فبعضها يتوفاها الله تعالى بنفسه(٢)، ولذا فإن هذه النفس لا تدرك غير الله، وهناك أنفس يتوفاها ملك الموت، وهذه لا- تدرك الملائكة الذين هم دون ملك الموت، أما القسم الثالث فيتوفاها الملائكة المساعدون لملك الموت(٣).

وبغض النظر عمن يتوفى الأنفس، فإن المهم أن الذى «يتوفى» هو «النفس» وليس البدن(٤)، فالله أقرب للنفس، من النفس ذاتها، والملائكة يأتمرون بأمره، وينفذون ما يريد. وكذلك النفس، فهى من عالم الأمر(٥)، وليس فى عالم الأمر

١- حسب ترتيب الأمام أمير المؤمنين عليه السلام ووصفه للأنفس، تعتبر النفس الإلهية أفضلها وأقربها إلى العلو والكمال والقرب من الله، ثم النفس الناطقه، ثم النفس النباتيه، وأخيرا الحيوانيه.

٢- أنظر: البحث المتقدم «من الذى يتوفى الأنفس».

٣- راجع البحث السابق.

٤- قال الطبرسى فى قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / ٤٢، أى: يقبضها إليه وقت موتها وانقضاء آجالها. التى تتوفى عند الموت هى نفس الحياه التى إذا زالت زال معها النفس. مجمع البيان، الطبرسى: ٤٠٣ / ٨، تفسير سورة الزمر. قال الشوكانى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / ٤٢، أى: يقبضها عند حضور أجلها ويخرجها من الأبدان. فتح القدير، الشوكانى: ٤/٤٦٥، تفسير سورة الزمر.

٥- عالم الأمر: ما وجد عن الحق من غير سبب، ويطلق بإزاء الملكوت. نصوص المصطلح الصوفى فى الإسلام، نظله الجبورى: ١٥٠. قال المازندرانى: عالم الأمر: وهو عالم الروح والروحانيات. شرح أصول الكافى، المازندرانى: ٣/ ١٢٤.

حجاب (١) زمانى (٢) أو مكانى (٣). إذن فالتوفى يتم من داخل النفس وليس من

١- الحجاب: الستر. الصحاح، الجوهري: ١٠٧/١، ماده «حج» الحجاب: كل ما يستر مطلوبك. وهو عند أهل الحق: انطباع الصور الكونية فى القلب المانع لقبول تجلى الحق. التعريفات، الجرجاني: ٥٠، باب الحاء، الحجاب. الحجاب: حائل يحول بين الشيء المطلوب المقصود وبين طالبه وقاصده. نصوص المصطلح الصوفى فى الإسلام، نظله الجبورى: ٤٠.

٢- الزمان عند المتكلمين: زعموا أن الزمان أمر اعتبارى موهوم. وعرفه الأشاعره بقولهم: إنه متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم. وقال الرازى: إن للزمان كالحركه معينين: أحدهما أمر موجود فى الخارج، غير منقسم، وهو مطابق للحركه، وثانيهما أمر متوهم لا وجود له فى الخارج. والزمان عند بعض الفلاسفه إما ماض أو مستقبل. وليس عندهم زمان حاضر، بل الحاضر هو الآن الموهوم المشترك بين الماضى والمستقبل. ومن معانى الزمان فى الفلسفه الحديثه أنه وسط لا نهائى غير محدود، شبيه بالمكان، تجرى فيه جميع الحوادث، فيكون لكل منها تاريخ، ويكون هو نفسه مدركاً بالعقل إدراكاً غير منقسم، سواء كان موجوداً بنفسه كما ذهب إلى ذلك «نيوتون» و«كلارك»، أو كان موجوداً فى الذهن فقط كما ذهب إلى ذلك «لينينز» و«كانت». قال «لينينز»: الزمان تصور مثالى. وقال «كانت»: إن الزمان صورته قبله محيطه بالأشياء الحدسيه، وإن المقادير المحدوده من الزمان ليست سوى أجزاء لزمان لا نهائى واحد. فكأن الزمان إطار محيط بالأشياء، إلا أنه ذو بعد واحد وهو الطول. وأكثر العلماء يرمزون إلى الزمان بخط مستقيم غير محدود، كل نقطه من نقاطه مجانسه للأخرى. المعجم الفلسفى، صليبا: ١/٦٣٧، باب الزاى، الزمان.

٣- قال الجرجاني: المكان عند المتكلمين: «الفراغ المتوهم الذى يشغله الجسم، وينفذ فيه أبعاده». التعريفات، الجرجاني: ١٢٥، باب الميم، المكان. والمكان عند الحكماء الاشرافيين هو: البعد المجرد الموجود، وهو أطف من الجسمانيات، وأكثر من المجردات، ينفذ فيه الجسم، وينطبق البعد الحال فيه على ذلك البعد فى أعماقه وأقطاره، فعلى هذا يكون المكان بعداً منقسماً فى جميع الجهات، مساوياً للبعد الذى فى الجسم، بحيث ينطبق احدهما على الآخر، سارياً فيه بكليته. والمكان عند المحدثين: وسط مثالى غير متداخل الأجزاء، حاو للأجسام المستقره فيه، محيط بكل امتداد متناه. وهو متجانس الأقسام. متشابه الخواص فى جميع الجهات، متصل، وغير محدود، وله عند علماء الهندسه صفتان أخريان: الأولى قولهم: إن المكان ذو ثلاثه أبعاد، ومعنى ذلك انه لا يلتقى فى نقطه واحده من المكان إلا ثلاثه خطوط عموديه. والثانيه قولهم: إن أجزاء المكان مطابقه بعضها لبعض، بحيث يمكنك، ان تنشئ فيه أشكالاً متشابهه على جميع المقاييس، ولا- سبيل إلى إنكار هاتين الصفتين الا- فى الهندسه اللاقليديسيه التى تقرر إن للمكان عدداً غير محدود من الأبعاد. وقد فرق «هوفدينغ» بين المكان النفسى والمكان المثالى، فقال ان المكان النفسى الذى ندرکه بحواسنا مكان نسبي لا ينفصل عن الجسم المتمكن، على حين ان المكان المثالى الذى ندرکه بعقولنا مكان رياضى مجرد ومطلق، وهو وحده متجانس ومتصل. المعجم الفلسفى، صليبا: ٢/٤١٢ ٤١٣، باب الميم، المكان.

خارجها أو من البدن، فالله سبحانه وتعالى يقول: (إِذْ فَرَعُوا فَلَمَّا فَوَتْ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) (١) وكذلك (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ
الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) (٢).

١- سورة سبأ / ٥١.

٢- سورة الواقعة / ٨٣ ٨٥.

الموت يكشف الحقيقه للإنسان

قلنا أن النفس، لا- تبنى بالتوفى، وبما أنها عاشت الدنيا واستقرت فيها لفته، ومّرت بحاله الغرور الدنيوى وتعودت عليه، فإن «الوفاه» ستكشف للنفس، بطلان كل ما كان فى الدنيا، من تصورات وأوهام، وبانكشاف الأسباب الظاهرية للأمر، ستتحول كل التطلعات والطموحات الدنيويه إلى سراب(١)، فالله سبحانه وتعالى يقول:

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مِآ خَوْلَانَاكُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مِآ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) (٢) إن الإنسان يتعامل مع نوعين من الأمور والموجودات

١- السراب: الذى يكون نصف النهار لاطئا بالأرض، لاصقا بها، كأنه ماء جار. السراب: الذى يجرى على وجه الأرض كأنه الماء، وهو يكون نصف النهار. لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٤٦٥، ماده «سرب». قال الطريحي فى قوله تعالى: (كَسْرَابٍ بِقِيَعِهِ) سورة النور / ٣٩، السراب: ما يرى فى شدة الحر كالماء، ويقال: السراب ما رأيت فى أول الشمس يسرب كالماء ونصف النهار. مجمع البحرين، الطريحي: ٢ / ٣٥٦ ٣٥٧، ماده «سرب».

٢- سورة الأنعام / ٩٣ ٩٤.

فى الدنيا، الأول: مباحج (١) الحياه وأدواتها التى يتصور أنه يملكها، وأنها توصله إلى طموحاته وأهدافه، والثانى: الناس الذين يتصورهم شفعاء له، فيتصور أنه لا يستطيع بلوغ حاجاته ومرامه، بدون مساعده هؤلاء، كالزوجه والأبناء والأقرباء والأصدقاء وكل الذين لهم قوه تأثير فى مجرى الأمور.

لكن البارى عز وجل يشير فى الآيه (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى... (٢) بشكل إجمالى إلى بطلان النوعين (٣)، فى (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ... (٤) يشير

١- البهجه: السرور. بهجه لا- تشبه بهجات الدنيا، أى: مسره لا تشبه مسرات الدنيا. مجمع البحرين، الطريحي: ٢٥٦ / ١، ماده «بهيج».

٢- سورة الأنعام / ٩٤.

٣- قال الطباطبائى فى الشفعاء: المزاعم التى انضمت إلى حياته من التكثر بالأسباب والاعتضاد والانتصار بالأموال والأولاد والأزواج والعشائر والجموع، وكذا الاستشفاع بالأرباب من دون الله المؤدى إلى الإشراك كل ذلك مزاعم وأفكار باطله لا أثر لها. وفى تبين قوله: (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) سورة الأنعام / ٩٤، بيان لبطلان الأسباب الملهيه له عن ربه المتخلله بين أول خلقه وبين يوم يقبض فيه إلى ربه. وفى تفسير قوله: (لَقَدْ تَفَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) سورة الأنعام / ٩٤، بيان لسبب انقطاعه من الأسباب وسقوطها عن الاستقلال والتأثير، وان السبب فى ذلك انكشاف بطلان المزاعم التى كان الإنسان يلعب بها طول حياته الدنيا. فيتبين بذلك أن ليس لهذه الأسباب والضمانم فى الإنسان من النصيب إلا أوهام ومزاعم يتلهى ويلعب بها الانسان. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٢٨٦ / ٧، ٢٨٧، تفسير سورة الأنعام.

٤- سورة الأنعام / ٩٤.

إلى زوال النوع الأول وفي (وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ) (١) يشير إلى زوال النوع الثاني.

أما (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ...) (٢) فهي إشارة إلى سبب بطلان النوعين وزوالهما، (وَضَلَّ عَنْكُمْ...) (٣) إشارة إلى نتيجة هذا البطلان.

المهم، فإن ما في الدنيا يبقى في الدنيا، أما الإنسان فيبدأ منذ وفاته، حياه جديده، مجردة عما كان في الدنيا ومن هنا وصف الموت بأنه «القيامه الصغرى» (٤) التي قال فيها أمير المؤمنين عليه السلام أن كل من يموت، تقوم قيامته (٥).

١- سورة الأنعام / ٩٤.

٢- سورة الأنعام / ٩٤.

٣- سورة الأنعام / ٩٤.

٤- قال المازندراني: الموت: وهو القيامه الصغرى. شرح أصول الكافي، المازندراني: ١٠ / ٤٤٠. قال الفيض الكاشاني: الموت: هو القيامه الصغرى للأكثرين والكبرى للآخرين. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ١ / ١٢٠، تفسير سورة البقره.

٥- إرشاد القلوب، الديلمي: ١ / ١٨، في الحكم والمواعظ، الباب الثاني في الزهد في الدنيا. وقد ورد أصل النص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضمن حديث طويل نذكر منه موضع الحاجه: «أكثروا من ذكر هادم اللذات فإنكم إن كنتم في ضيق وسعه عليكم فرضيتم به فأثبتتم وإن كنتم في غنى نغصه إليكم فجدتم به فأجرتم فإن أحدكم إذا مات فقد قامت قيامته».

التبشير بالسعادة أو الشقاء بعد الموت

عندما تغادر «النفس» جسم الإنسان، تفقد صفه الاختيار والقدرة على فعل شيء أو تركه، وهنا يُرفع التكليف (١) عن الإنسان النفس فالله تعالى يقول:

(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) (٢).

وفي هذه المرحلة، يقف الإنسان أمام مفترق طريقين، طريق السعادة وطريق الشقاء (٣)، وعندها يتحدد الطريق الذي سيسلكه، فإما أن يتسلم بشاره السعادة،

١- الكلفة: المشقة والتكليف: الأمر بما يشق عليك وتكلف الشيء: ما يفعله الإنسان بإظهار كلف مع مشقة تناله في تعاطيه وصارت الكلفة في التعارف اسماً للمشقة والتكلف: اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع أو تشبع ولذلك صار التكلف على ضربين: محمود وهو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى ان يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلاً عليه ويصير كلفاً به ومحباً له وبهذا النظر يستعمل التكليف في تكلف العبادات والثاني: مذموم وهو ما يتحراه الإنسان مرآه. والتكاليف: المشاق الواحد: تكلفه والتكليف: ما كان معرضاً للثواب والعقاب وهو في عرف المتكلمين: بعث من تجب طاعته على ما فيه مشقة ابتداء بشرط الإعلام. القاموس الجامع، عبدالله الغديري: ٢ / ٥٧٥ ٥٧٦، باب الكاف، كلف.

٢- سورة الأنعام / ١٥٨.

٣- عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام أنه قال: حقيقه السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة وحقيقه الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء. الخصال، الشيخ الصدوق: ١/٥، باب الواحد، حقيقه السعادة واحده وحقيقه الشقاء واحده/ح ١٤.

أو وعيد الشقاء(١)، يقول الله تعالى:

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) (٢) و(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (٣) وكذلك (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) (٤).

إن عبارته «كنتم توعدون»(٥) تعني أن البشاره(٦) تتحقق بعد الدنيا، أي في الآخرة.

١- عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا وَقَدْ سَأَلُهُ سَائِلٌ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ لِحَقِ الشَّقَاءِ أَهْلَ الْمُعْصِيَةِ حَتَّى حَكَمَ اللَّهُ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ بِالْعَذَابِ عَلَى عَمَلِهِمْ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا السَّائِلُ حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ بِحَقِّهِ فَلَمَّا حَكَمَ بِدَلِيلِكَ وَهَبَ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَوَضَعَ عَنْهُمْ ثِقَلَ الْعَمَلِ بِحَقِيقَتِهِ مَا هُمْ أَهْلُهُ وَوَهَبَ لِأَهْلِ الْمُعْصِيَةِ بِهِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ لِيَسْبِقَ عِلْمُهُ فِيهِمْ وَمَنْعَهُمْ إِطَاقَةَ الْقَبُولِ مِنْهُ فَوَافَقُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ وَلَمْ يَقْمِدُوا أَنْ يَأْتُوا حَالًا- تُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ لِأَنَّ عِلْمَهُ أَوْلَى بِحَقِيقَتِهِ التَّصْدِيقِ وَهُوَ مَعْنَى شَاءَ مَا شَاءَ وَهُوَ سِرُّهُ. الكافي، الكليني: ١/ ١٥٣، كتاب التوحيد، باب السعادة والشقاء / ح ٢.

٢- سورة الأنعام / ٩٣.

٣- سورة النحل / ٣٢.

٤- سورة فصلت / ٣٠.

٥- سورة الأنبياء / ١٠٣.

٦- البشاره: الإخبار بما يسر به المخبر به إذا كان سابقاً لكل خبر سواه. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١٠٠، حرف الباء / الرقم ٣٩٦ الفرق بين البشاره والخبر.

وطبيعي أن التبشير بشيء يعنى الإخبار عن أمر قبل أن يحدث (١)، وهذا ما يصدق على التبشير بالجنة الذى يحدث قبل دخولها (٢).

من جانب آخر، فإن التبشير، يعنى الإخبار عن أمر حتمى الوقوع. وبما أن الإنسان يظل حر الاختيار حتى لحظه وفاته (٣).

١- قال الرازى فى تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ) سورة النحل / ٥٨، التبشير فى عرف اللغة مختص بالخبر الذى يفيد السرور. تاج العروس، الزبيدى: ٣ / ٤٥.

٢- تضمن النص القرآنى الكثير من آيات البشرى، نذكر منها ما يلى: سورة البقره / ٢٥، ونصها: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). سورة التوبه / ٢١، ونصها: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ). سورة الحديد / ١٢، ونصها: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

٣- عن يزيد بن عمير بن معاوية الشامى قال: دخلت على على بن موسى الرضا بمرور فقلت له يا ابن رسول الله روى لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين ما معناه فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال: بالتفويض والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت يا ابن رسول الله فما أمر بين الأمرين فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه قلت وهل لله مشيه وإرادته فى ذلك فقال: أما الطاعات وإرادته الله ومشيته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونه عليها وإرادته ومشيته فى المعاصى النهى عنها والسخط لها والخذلان عليها قلت فله عز وجل فيها القضاء قال: نعم ما من فعل يفعل العباد من خير أو شر إلا- والله فيه قضاء قلت ما معنى هذا القضاء قال: الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة. الاحتجاج، الطبرسى: ٢ / ٤١٤، احتجاج أبى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام فى التوحيد والعدل.

ويظل أمام احتمال سلوكه أحد الطريقتين السالفي (١) الذكر، تبعاً لعمله وسلوكه، فإن البشاره بالجنه لا يمكن أن تتحقق في الدنيا، ومن ملاحظه الآيه الكريمه:

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (٢) نرى أن البارى عز وجل، يثبت ولايته على هؤلاء، ثم يخبرنا بأنهم لا خوف عليهم ولا يحزنون (٣). والولايه هذه تعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يتولى تدبير أمور

١- السلف: المتقدم. قال الجوهرى: سلف يسلف سلفاً، مثال طلب يطلب طلباً، أى: مضى. لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ١٥٨، ماده «سلف».

٢- سوره يونس / ٦٢ ٦٤.

٣- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سوره يونس / ٦٢، فهؤلاء لا يخافون شيئاً ولا يحزنون لشيء لا فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا إن يشاء الله، وقد شاء أن يخافوا من ربهم وان يحزنوا لما فاتهم من كرامته إن فاتهم وهذا كله من التسليم لله. فإطلاق الآيه يفيد اتصافهم بهذين الوصفين: عدم الخوف وعدم الحزن فى الشأتين الدنيا والآخرة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٠ / ٩٠، تفسير سوره يونس.

المؤمنين دون تدخل منهم (١)، وفي هذه الحالة فقط، تكون البشارة في الدنيا لهؤلاء، أمراً صحيحاً ومنطقياً مادام الله تعالى هو المتولى والمدير لأموال المؤمنين ومن هنا نرى أن البارئ تعالى يغير سياق الآية عندما يصف تقوى هؤلاء المؤمنين فيقول جل وعلا (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (٢)، بينما السياق الطبيعي هو (آمَنُوا وَاتَّقُوا) (٣)، وهذا التغيير في السياق، إشارته واضحة إلى أن إيمان هؤلاء المؤمنين بعد إيمانهم الأول (٤)، إنما جاء بفعل التقوى، وهو تعبير عن نقاء الإيمان من كل شوائب الشرك المعنوي، الناتجة عن الاعتماد على غير الله (٥).

١- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة يونس / ٦٢، الولاية: لها معاني كثيرة، لكن الأصل في معناها ارتفاع الواسطة الحائلة بين الشئيين. فالله سبحانه ولى عبده المؤمن، لأنه يلي أمره ويدبر شأنه فيهديه إلى صراطه المستقيم ويأمره وينهاه فيما ينبغى له أو لا ينبغى وينصره في الحياه الدنيا وفي الآخرة والمؤمن حقا ولى ربه لأنه يلي منه إطاعته في أمره ونهيه ويلي منه عامه البركات المعنويه من هدايه وتوفيق وتأييد وتسديد وما يعقبها من الإكرام بالجنه والرضوان. فأولياء الله على أى حال هم المؤمنون فان الله يعد نفسه وليا لهم في حياتهم المعنويه. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٠ / ٨٨ / ٨٩، تفسير سورة يونس.

٢- سورة يونس / ٦٣.

٣- سورة البقره / ١٠٣.

٤- في البحار: قيل: إن الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصى العقلية التى يختص المكلف ولا يتعداه والإيمان الأول: الإيمان بالله تعالى وبما أوجب الله الإيمان به والإيمان بقبح هذه المعاصى ووجوب تجنبها. بحار الأنوار، المجلسى: ٦٢ / ١١٤، كتاب السماء والعالم، أبواب الصيد والذبائح وما يحل وما يحرم من الحيوان، باب ١ جوامع ما يحل وما يحرم من المأكولات.

٥- عن أبى عبدالله عليه السلام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) سورة النساء / ٧١، فسماهم مؤمنين و«ليسوا هم بمؤمنين» ولا كرامه، قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا... فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) سورة النساء / ٧١ / ٧٣، ولو أن أهل السماء والأرض قالوا قد أنعم الله على إذ لم أكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين (وإذا أصابهم فضل من الله) قال: يا ليتنى كنت معهم فأقاتل فى سبيل الله. تفسير العياشى، العياشى: ١ / ٢٥٧، تفسير سورة النساء. قال الطباطبائي فى تعليقه على الحديث: عن أبى عبدالله عليه السلام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) سورة النساء / ٧١، فسماهم مؤمنين وليسوا هم بمؤمنين ولا كرامه... الحديث. المراد بالشرك فى كلامه عليه السلام الشرك المعنوى لا الكفر. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ٤ / ٤٢١، تفسير سورة النساء.

ونفس هذا المعنى نجده فى الآيه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) (١) وهذا ما من به الخالق عز وجل على المؤمنين. ووصفه بـ«النعمة» ثم يقول سبحانه وتعالى:

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (٢)، فالمؤمنون يرجعون أمرهم إلى الله بشكل كامل دون أن يتدخلوا فيه (٣).

١- سورة الحديد / ٢٨.

٢- سورة آل عمران / ١٧٣.

٣- قال الطباطبائى: إن ولايه أمرنا لله ونحن مؤمنون به، ولازمه أن نتوكل عليه ونرجع الأمر إليه من غير أن نختار لأنفسنا شيئاً من الحسنه والسيئه فلو أصابتنا حسنه كان المن له وإن أصابتنا سيئه كانت المشيه والخيره له. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٩ / ٣٠٦، تفسير سورة التوبه.

بعد ذلك تقول الآية الكريمة:

(فَمَا تَقْلِبُوا فِي نِعْمَةِ اللَّهِ وَقَضَلِ لَمْ يَمَسْسِيهِمْ سُوءٌ) (١)، إذ حالت هذه النعمة التي منحها الله للمؤمنين، دون إصابتهم بأى سوء، وصانتهم من كل خطر، وهذا مالا يدرك إلا في ظل الولاية الإلهية للمؤمنين، الذين يتدبر كل أمورهم. ويتكرر نفس المعنى في الآية الكريمة:

(يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (٢٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا (٢) إذ نلاحظ الإشارة إلى الولاية الإلهية والتثبيت الإلهي للمؤمنين بكلمة «النعمة» (٣).

١- سورة آل عمران / ١٧٤.

٢- سورة إبراهيم / ٢٧ ٢٨.

٣- قال الطباطبائي: الآيات تدل على إن هذه الأشياء المعدودة نعمًا، إنما تكون نعمه إذا وافقت الغرض الإلهي من خلقتها لأجل الإنسان، فإنها إنما خلقت لتكون إمدادا إلهيا للإنسان يتصرف فيها في سبيل سعادته الحقيقية، وهي القرب منه سبحانه بالعبودية والخضوع للربوبية، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) سورة الذاريات/٥٦. وقال الطباطبائي أيضا: فالأشياء في نفسها، عزل، وإنما هي نعمه لاشتمالها على روح العبودية، ودخولها من حيث التصرف المذكور تحت ولاية الله التي هي تدبير الربوبية لشؤون العبد، ولازمه أن النعمة بالحقيقة هي الولاية الإلهية، وأن الشيء إنما يصير نعمه إذا كان مشتملا على شيء منها، قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ) سورة البقرة/ ٢٥٧. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٥/ ١٨٠ ١٨١، تفسير سورة المائدة.

وفى آيه أخرى يخبر البارى بمآل (١) المطيعين لأوامره، حيث يحشرهم مع الذين أنعم عليهم:

(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (٢).

فالشخص المطيع لا- يمتلك إرادته فعل شىء، خارج إرادته المطاع، وفى النتيجة، يقوم المطاع بالتحكم فى إرادته وأفعال المطيع، وينوب عنه فى كل ذلك، وعلى هذا يكون المطاع ولياً للمطيع (٣). كما أن هذا المطيع الخاضع للإرادة الكامله

١- آل الشىء يؤول أولاً ومآلاً: رجع. أولُ إليه الشىء: رجعه. لسان العرب، ابن منظور: ٣٢ / ١١، ماده «أول».

٢- سورة النساء / ٦٩.

٣- قال السبزوارى: المطيع علمه وإرادته ومشيته وقدرته وأفعاله متلاشيه فى صفة المطاع وفعله ولم يبق لنفسه شيئاً من ذلك. شرح الأسماء الحسنى، السبزوارى: ١ / ٢٨٤. قال الطباطبائى: يعد المطيع عبداً للمطاع لأنه بإطاعته يتبع إرادته إرادته المطاع فهو مملوكه المحروم من حريه الإراده. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٦ / ٣٦١، تفسير سورة المائدة، الآيات (١١٦ ١٢٠) هل يعد المطيع عبداً للمطاع (بحث قرآنى). وقال الطباطبائى أيضاً: فإن المطيع يجعل إرادته وعمله تبعاً لإرادته المطاع، فتقوم إرادته المطاع مقام إرادته ويعود عمله متعلقاً لإرادته المطاع صادراً منها اعتباراً. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٩ / ٣٠٦، تفسير سورة التغابن.

للمطاع، يكون ولياً لمن أطاعه وسلم أمره إليه، لأنه سيكون في النتيجة قد أطاع المطاع الأول. ولهذا نرى البارى عز وجل جعل بعض أوليائه، أولياء لآخرين:

(إِنَّمَا وَثِقْتُكُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (١) وهذه الآية نزلت في حق أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام (٢). وبالتأكيد ليس المقصود بالولاية هنا، الولاء القلبي والعاطفي، بسبب وجود كلمه «إنما»، وكذلك وجود عباره «وليكم الله...» فالآيه إذن تقوم بالتبيين (٣) خلافاً للآيات:

١- سورة المائدة / ٥٥.

٢- قال فرات: حدثني الحسين بن سعيد عن جعفر عليه السلام: (إِنَّمَا وَثِقْتُكُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) سورة المائدة / ٥٥، نزلت في على بن أبي طالب عليه السلام. تفسير فرات، فرات الكوفى: ١٢٥، تفسير سورة المائدة / ح ١٣٧ ١٧. قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل:...فهل فيكم أحد أتى الزكاه وهو راكع فنزلت فيه: (إِنَّمَا وَثِقْتُكُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) سورة المائدة/ ٥٥، غيرى قالوا: لا... الحديث. إرشاد القلوب، الديلمى: ٢/٢٦٠٢٦١، في فضائله من طريق أهل البيت عليهم السلام. أخبرنا مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى: (إِنَّمَا وَثِقْتُكُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) سورة المائدة / ٥٥، قال: نزلت فى على عليه السلام. بناء المقاله الفاطميه، أحمد بن طاووس: ٢٦٩.

٣- بان الشىء يبين بيانا: اتضح، فهو بين، وكذا أبان الشىء فهو مبين، وأبنته أنا، أى: أوضحتها. مختار الصحاح، الرازى: ٤٤، ماده «بين».

(وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ) (١)، (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (٢).

ومن هذه الآيات، ندرك لماذا يلحق الله المطيعين، بأوليائه، فهو ولي كل هؤلاء، وبعض أوليائه المقربين أولياء آخرين أقل مرتبه، وليس على أحد من هؤلاء، خوف ولا هم يحزنون (٣)، بل أن الجميع يدخلون الجنة ويسعدون بصحبه الصالحين.

وهناك الكثير من الأخبار والروايات التي تؤكد هذا المعنى فقد ورد عن سدير الصيرفي (٤). أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هل يكره المؤمن أن تقبض روحه؟ فيجيبه الإمام عليه السلام بالنفي، ويقول له:

أن ملك الموت يأتي إلى الإنسان ليقبض روحه، فيبدي هذا الإنسان امتعاضاً (٥) في البدايه، ثم يطمئنه ملك الموت ويقسم له بالله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم

١- سورة المائدة / ٥٤.

٢- سورة التوبه / ٧١.

٣- إشاره إلى قوله تعالى: (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة البقره / ٦٢.

٤- قال الشيخ في رجاله: سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي، يكنى أبا الفضل، من الكوفه، مولى. رجال الشيخ، الشيخ الطوسي: ١١٤، باب السين / الرقم ٤. سدير بن حكيم، بالفتح، أبو الفضل: ممدوح. رجال ابن داود، ابن داود: ١٦٦، باب السين المهمله / الرقم ٦٦٢.

٥- معض من ذلك الأمر: يمعض معضاً ومعضاً وامتعض من: غضب وشق عليه وأوجعه. قال ثعلب: معض معضاً: غضب. لسان العرب، ابن منظور: ٧ / ٢٣٤، ماده «معض».

بالرسالة، أنه أرحم به من أبيه، ثم يطلب منه أن يفتح عينيه وينظر، فيفعل الرجل، فإذا به يرى أمامه الرسول وأمير المؤمنين والحسن والحسين وأبنائهم المعصومين، فيعرفهم ملك الموت للإنسان ويخبره بأنه سيكون جليسهم ثم يسمع الرجل منادياً من جانب الحق أن (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) (١) بمحمد وأهل بيته (٢)، (ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً) (٣) مشموله بولايه الأئمة مسروره بها، ومرضيه من قبل الباري عز وجل، فادخلي في زمرة عبادي الصالحين وادخلي جنتي التي أعددتها.

١- سورة الفجر / ٢٧.

٢- عن محمد بن سليمان الديلمي قال حدثنا أبي قال سمعت الإفريقي يقول: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المؤمن أيستكره على قبض روحه قال: لا- والله قلت وكيف ذاك قال: لأنه إذا حضره ملك الموت عليه السلام جزع فيقول له ملك الموت: لا تجزع فوالله لأننا أبر بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك افتح عينيك فانظر قال ويتهلل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة من بعدهم وفاطمه عليهم الصلاة والسلام والتحية والإكرام قال: فينظر إليهم فيستبشر بهم فما رأيت شخصته تلك قلت بلى قال: وإنما ينظر إليهم قال قلت جعلت فداك قد يشخص المؤمن والكافر قال: ويحك إن الكافر يشخص منقلبا إلى خلفه لأن ملك الموت إنما يأتيه ليحمله من خلفه والمؤمن ينظر أمامه وينادي روحه مناد من قبل رب العزة من بطنان العرش فوق الأفق الأعلى ويقول يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِزِّي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي فيقول ملك الموت: إنى قد أمرت أن أخيرك الرجوع إلى الدنيا والمضى قال: فليس شىء أحب إليه من انسلال روحه. تفسير فرات، فرات الكوفى: ٥٥٤ ٥٥٥، تفسير سورة الفجر / ح ٧٠٩. وأنظر: الكافى، الكليني: ٣/ ١٢٧، كتاب الجنائز، باب أن المؤمن لا يكره على قبض روحه/ ح ٢.

٣- سورة الفجر / ٢٨.

هنا لن يبقى لهذا الإنسان المؤمن ما يتعلق به، ويصبح همه الوحيد، أن يتعجل الموت(١).

وينقل عبد الرحيم الأقرص(٢) عن الإمام الباقر أن الروح عندما تصل إلى حلقوم(٣) الإنسان حين الوفاة، ينزل عليه ملك الموت ويسأله عن رغباته ويضمن له تحقيق ما يريد، وإبعاد ما يكره، ثم يفتح له باباً على منزله في الجنة، ويطلب منه أن ينظر إلى داخله، ليرى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام بانتظاره(٤). وهذه الروايات هي تجسيد لقول البارى عز وجل:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ(٥).

١- أنظر: تفسير فرات، فرات الكوفى: ٥٥٣ ٥٥٤، تفسير سورة الفجر / ح ٧٠٨.

٢- عبد الرحيم بن روح القصير، الأسدى بالولاء، الكوفى. محدث إمامى حسن الحال، جليل القدر، روى عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً. روى عنه إسحاق بن عمال، وزيد القندى، وعبد الله ابن مسكان وغيرهم. توفى بعد سنة ١٤٨هـ. الفائق فى رواه، عبد الحسين الشبستري: ٢/٢٢٧، حرف العين / الرقم ١٨١٧.

٣- قال ابن سيده: الحلقوم: مجرى النفس والسعال من الجوف، وهو إطباق غراضيف، ليس دونه من ظاهر باطن العنق إلا جلد، وطرفه الأسفل فى الرئه وطرفه الأعلى فى أصل عكده اللسان، ومنه مخرج النفس والريح والبصاق والصوت، وجمعه حلاقم وحلاقيم. فى التهذيب: قال فى الحلقوم والحنجور: مخرج النفس لا يجرى فيه الطعام والشراب يقال له المرئ. لسان العرب، ابن منظور: ١٢ / ١٥٠، ماده «حلقم».

٤- أنظر: تفسير العياشى، العياشى: ٢ / ١٢٤ ١٢٥، تفسير سورة يونس / ح ٣٢.

٥- سورة يونس / ٦٣ ٦٤.

فى الحوار الذى جرى بين حارث الهمدانى (١) وأمير المؤمنين عليه السلام والذى ينقله أصبغ بن نباته (٢)، جاء أن أمير المؤمنين بشر حارث بأنه سيرى الإمام، عند الموت، على الحوض وفى المقاسمه، فسأله حارث عن المقاسمه، ويجيبه الإمام بأنه يتقاسم مع نار جهنم الوافدين، فيقول لها، هذا حارث من أصحابى فاتركيه، وذلك من أعدائى فالتهميه (٣).

وهذا الحديث من الأحاديث المشهوره (٤)، رواه العديد من الرواه

١- الحارث الأعور: صاحب أمير المؤمنين عليه السلام: وهو الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخله بن حرث بن سبع بن صعب بن معاويه الهمدانى، كان احد الفقهاء، له قولاً فى الفتيا، وكان صاحب على عليه السلام، وإليه تنسب الشيعة الخطائب. شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١٨ / ٤٢ ٤٣، الحارث الأعور ونسبه. الحارث الهمدانى: من أصحاب على عليه السلام. نقد الرجال، التفرشى: ١ / ٣٩٣ / الرقم ٥٠ الحارث الهمدانى.

٢- قال النجاشى فى الأصبغ: كان من خاصه أمير المؤمنين عليه السلام، وعمر بعده. روى عنه عهد الأشر ووصيته إلى محمد ابنه. رجال النجاشى، النجاشى: ٨، ذكر الطبقة الأولى / الرقم ٥ الأصبغ بن نباته المجاشعى. الأصبغ بن نباته: كان من خاصه أمير المؤمنين عليه السلام وعمر بعده وهو مشكور. رجال العلامة، العلامة الحلى: ٢٤ القسم الأول فيمن اعتمد عليه، الفصل الأول فى الهمزه، الباب الثالث عشر فى الآحاد / الرقم ٩ الأصبغ بن نباته.

٣- أنظر: كتاب الأمالى، الشيخ المفيد: ٧٣، المجلس الأول مجلس يوم السبت / ح ٣.

٤- قال الشهيد الثانى: المشهور: وهو ما شاع عند أهل الحديث، بان نقله رواه كثيرون، أو عندهم وعند غيرهم، كحديث: «إنما الأعمال بالنيات»، أو عند غيرهم خاصه، وهو كثير. الرعايه لحال البدايه فى علم الدرايه، الشهيد الثانى: ٣٢، الباب الأول فى أقسام الحديث. قال ابن عابدين: الحديث المشهور: هو الذى يكون فى القرن الأول أحادى ثم انتشر فصار فى القرن الثانى ومن بعدهم متواترا. تكمله حاشيه رد المختار، ابن عابدين: ١ / ٣٧٣، كتاب الفرائض. قال احمد فتح الله: الحديث المشهور: الذى كثرت رواته على وجه لا يبلغ حد التواتر وقد يطلق عليه مستفيض. معجم الفاظ الفقه الجعفرى، د أحمد فتح الله: ١٥٦، باب الحاء.

الثقاه (١)، وأيده عدد من الأئمه (٢).

- ١- قال أكرم العاملى فى الدلاله على الراوى الثقه: الكلام المهم فى هذا اللفظ: هو فى دلالتة على العناصر الثلاثة المعتبره فى الخبر الصحيح وهى العداله، الإماميه، والضبط. وقد ذكر العناصر الثلاثة وهى: ١ كون الراوى ضابطا: لفظ الثقه: يفيد دلالتة على الضبط. ٢ كون الراوى إماميا. قال البهبهانى: ان «ثقه»: تعنى الإمامى، وان كانوا يطلقون على غير الإمامى انه ثقه، لكن مع القرينه. أ قول النجاشى فى محمد بن عبدالله بن غالب: «ثقه فى الروايه على مذهب الواقفه». ٣ كون الراوى عادلا: تقدم للعداله اطلاقين: الإطلاق الأول: العداله بالمعنى الخاص، وهى لا تشمل غير الإمامى. الإطلاق الثانى: العداله بمعنى العام: وهى تشمل كل مسلم تحقق فيه معنى العداله على حسب مذهبه. ودلالته على العادل غير الإمامى لا ينفع. دروس فى علم الدرايه، أكرم العاملى: ١٢٩ ١٣٤، الفصل السابع الألفاظ المستعمله فى التعديل والجرح، القسم الأول: ألفاظ التعديل والمدح، ٢ ثقه.
- ٢- أنظر: كتاب الأمالى، المفيد: ٤ ٦، المجلس الأول / ح ٣. أمالى الطوسى، الطوسى: ٦٢٥٦٢٧، المجلس ٣٠ / ح ٥. بشاره المصطفى، عماد الدين الطبرى: ٤ ٥. كشف الغمه، الأربلى: ١ / ٤١١ ٣١٣، ذكر الإمام على بن أبى طالب عليه السلام. إرشاد القلوب، الديلمى: ٢ / ٢٩٦ ٢٩٧، فى فضائله من طريق أهل البيت.

وفى حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه أن أحداً من محبيه لا يموت إلا ويراه الإمام فى المكان الذى يحب، وأن أحداً من أعدائه لا يموت إلا ويراه الإمام فى المكان الذى يكرهه هذا الإنسان(١).

كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله أن الإنسان عندما تحضره الوفاة، يوكل إبليس عدداً من شياطينه المساعدين له، لزعره(٢) إيمان ذلك الإنسان ومحاولة دفعه نحو الكفر، لكن هؤلاء لا يتمكّنون من المؤمن الحقيقى، ومن هنا يقوم الناس بتلقين المحتضر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حتى يغادر الدنيا(٣).

ويمكن إدراك مضمون الروايه السالفه من خلال استعراض الآيات التاليه:

١- عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ مِيثَمٍ عَنْ عَبَّائِهِ الْأَسَدِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا يُبَغِّضُنِي عَبْدٌ أَبَدًا يَمُوتُ عَلَيَّ بَعْضِي إِلَّا رَأَىٰ عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يُحِبُّ حَيْثُ يَكْرَهُ وَلَا يُحِبُّنِي عَبْدٌ أَبَدًا فَيَمُوتُ عَلَيَّ حُبِّي إِلَّا رَأَىٰ عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يُحِبُّ فَقَالَ: أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَعِمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْيَمِينِ. الكافي، الكليني: ٣ / ١٣٢ ١٣٣، كتاب الجنائز، باب ما يعاين المؤمن والكافر / ح ٥.

٢- الزعره: تحريك الشيء لتقلعه وتزيله. كتاب العين، الفراهيدى: ١ / ٧٧، ماده «زعر».

٣- أنظر: الكافي، الكليني: ٣ / ١٢٣، كتاب الجنائز، باب تلقين الميت / ح ٦.

(يُسَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) (١) و(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (٢) ويبدو من هذه الآية أن قولِي (اكْفُرْ) (٣) و(إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ) (٤) قد حدثا في زمان واحد، وهما من نوع واحد، وبما أن الآية تتحدث عن خطاب فلا يمكن أن يكون كلا القولين، لسان حال الشيطان أبدأ (٥).

وينقل العياشي (٦) في تفسيره، روايه عن الإمام الصادق عليه السلام ، يقول فيها أن

١- سورة إبراهيم / ٢٧.

٢- سورة الحشر / ١٦.

٣- سورة الحشر / ١٦.

٤- سورة الحشر / ١٦.

٥- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ) سورة الحشر / ١٦، ضرب الله هذه القصة لبني النضير، حين اغتروا بالمنافقين، ثم تبرأوا منهم عند الشده وأسلموهم. مجمع البيان، الطبرسي: ٩/ ٤٣٨، تفسير سورة الشورى. أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود في قوله: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ) سورة الحشر / ١٦، قال ضرب الله مثل الكفار والمنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كمثل الشيطان اذ قال للإنسان أكفر. فتح القدير، الشوكاني: ٥/ ٢٠٦، تفسير سورة الحشر.

٦- محمد بن مسعود العياشي: من أهل سمرقند. وقيل: أنه من بني تميم. يكنى أبا النضر. جليل القدر، واسع الأخبار بصير بالروايه مطلع عليها. له كتب كثيره تزيد على مائتي مصنف. منها كتاب التفسير، وكتاب الصلاة. الفهرست، الطوسي: ١٣٦ ١٣٧، باب الميم / الرقم ٥٩٣ محمد بن مسعود العياشي.

الشیطان یحیط بأصحابنا حین الوفاء، من الیمین والشمال، لیحرفهم عن إیمانهم ونهجهم لكن الله یمنعه من ذلك، وهذا هو معنی قوله تعالی:

(يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) (١) (٢).

وهناك الكثير من الروايات المنقولة عن الأئمة في هذا المجال (٣).

ما تقدم من مفاهيم، يمكن استنباطها من القرآن والسنة وستحدث في فصل لاحق عن البراهين التي تثبت تجرد النفس (٤).

١- سورة إبراهيم / ٢٧.

٢- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ٢/ ٢٢٥، تفسير سورة إبراهيم / ح ١٦.

٣- أنظر: من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ١٣٤ ١٣٥، باب غسل الميت/ ح ٣٦٠. كتاب الأمالي، الطوسي: ٣٧٧، المجلس ١٣ / ح ٥٨. تأويل الآيات، شرف الدين الحسيني: ٢٤٧، تفسير سورة إبراهيم. بحار الأنوار، المجلسي: ٦/ ١٨٨ ١٨٩، أبواب الموت وما يلحقه إلى وقت البعث والنشور، باب ٧ ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمة/ ح ٣١.

٤- قال النراقي في تجرد النفس: الأول: عدم كونها جسما وجسمانية، وذكر عده وجوه تدل عليها. الثاني: أعنى بقاءها بعد المفارقة عن البدن، فالدليل عليه بعد ثبوت تجردها: إن المجرّد لا يتطرق إليه الفساد، لأنه حقيقة والحقيقة لا تبدي كما صرح به المعلم الأول وغيره. جامع السعادات، النراقي: ١/ ٣٧ ٤٠، الباب الأول في المقدمات، تجرد النفس وبقائها. قال الطباطبائي: تجرد النفس، بمعنى كونها أمرا وراء البدن وحكمها غير حكم البدن وسائر التركيبات الجسميه، لها نحو اتحاد بالبدن تدبرها بالشعور والإرادة وسائر الصفات الإدراكية. أن الإنسان بشخصه ليس بالبدن، لا يموت بموت البدن، ولا يفنى بفنائه، وانحلال تركيبه وتبدد أجزائه، وأنه يبقى بعد فناء البدن في عيش هنيء دائم، ونعيم مقيم، أو في شقاء لازم، وعذاب أليم، وأن سعاده في هذه العيشه، وشقائه فيها مرتبطه بسنخ ملكاته وأعماله، لا- بالجهات الجسمانية والأحكام الاجتماعيه. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/ ٣٥٠، تفسير سورة البقره، تجرد النفس.

وعدم فنائها(١) بالموت، وانفصالها عن الجسد(٢).

١- الفناء: نقيض البقاء. كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ٣٧٦، مادة «فنى».

٢- أنظر: الفصل الثانى من كتابنا هذا، البرزخ.

ص: ١١٥

الفصل الثاني: البرزخ

اشاره

البرزخ

إشاره

البرزخ (١)

هناك عالمان يقعان بين عالم الجسم (٢)،

١- البرزخ: ما بين كل شيئين. والميت فى البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة. البرزخ: أمد ما بين الدنيا والآخرة بعد فناء الخلق. يقال البرزخ: فسحه ما بين الجنه والنار. كتاب العين، الفراهيدى: ٣٣٨ / ٤، ماده «برزخ». البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. الصحاح، الجوهري: ١ / ٤١٩، ماده «برزخ». وأما تعريف البرزخ اصطلاحاً قال الجرجاني: العالم المشهور بين عالم المعانى المجرده والأجسام الماديه. والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصلت اليه، وهو الخيال المنفصل. وقال أيضاً، البرزخ: هو الحائل بين الشيين. ويعبر به عن عالم المثال، أعنى الحاجز من الأجسام الكثيفه وعالم الأرواح المجرده، أعنى الدنيا والآخرة. التعريفات، الجرجاني: ٣١، الباء، ماده «برزخ».

٢- قال المازندراني: عالم الخلق: وهو عالم الجسم والجسمانيات. شرح أصول الكافى، المازندراني: ٣ / ١٢٤. قال اليزدى: الجسم: جوهر ذو امتداد فى ثلاث جهات، ولازم ذلك أنه: أولاً: قابل للتقسيم إلى ما لا نهايه فى كل واحده من الجهات الثلاث. ثانياً: هو ذو مكان. ثالثاً: قابل للأشاره الحسيه. رابعاً: له امتداد زمانى. المنهج الجديد فى تعليم الفلسفه، اليزدى: ٢ / ١٢٩، القسم الخامس المجرد والمادى، الدرس الحادى والأربعون المجرد المادى، خصائص الجسمانيات والمجردات.

والجسمانيات (١)، وعالم أسماء الله (٢)، وهما عالم العقل (٣) وعالم المثال (٤).

١- قال اليزدي: الجسماني: عبارته عن الموجود الذي يكون تابعاً لوجود الأجسام، وهو لا يتحقق ولا يبقى مستقلاً عنها، وأهم ميزه له أنه يقبل الانقسام تبعاً للجسم. المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، اليزدي: ٢ / ١٢٩، القسم الخامس المجرد والمادى، الدرس الحادى والأربعون المجرد المادى، خصائص الجسمانيات والمجردات.

٢- قال الطبرسى في تفسير قوله تعالى: (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) سورة طه / ٨، أى: الأسماء الداله على توحيده، وعلى إنعامه على العباد، وعلى المعانى الحسنه. مجمع البيان، الطبرسى: ٧ / ٨، تفسير سورة طه. قال السبزوارى: سمي العرفاء، أسماء الله أرباب الأنواع. شرح الأسماء الحسنى، السبزوارى: ١ / ٢٤٤.

٣- قال أفلاطون: عالم العقل: فيه المثل العقليه والصور الروحانيه. الملل والنحل، الشهرستاني: ٢ / ٨٩، الباب الثانى الفلاسفه، الفصل الأول الحكماء السبعه، ٧ رأى أفلاطون الإلهى. قال السبزوارى: عالم العقل: هو دار اليقين. شرح الأسماء الحسنى، السبزوارى: ١ / ١٣٢. قال الطباطبائى: عالم العقل ثالث العوالم: وهو فوق عالم المثال وجوداً، وفيه حقائق الأشياء وكمياتها من غير ماده طبيعیه ولا صورته وله نسبه السببيه لما فى عالم المثال. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١١ / ٢٧١، تفسير سورة يوسف، المنامات الحقه.

٤- قال المجلسى: عالم المثال: عالم متوسط بين عالمى الحس والعقل، له صور جسمانيه موجوده، وهى قائمه بذاتها معلقه لا فى محل ولا- فى مكان، لها مظاهر كالمراه فى الصور المرئيه المرآتيه والخيال فى الصور الخياليه. إن أشخاص هذا العالم صور مثاليه، وأشباح برزخيه، مجردة عن الطبائع والمواد نورانيه. قال القيصرى فى شرح الفصوص: العالم المثالى: هو عالم روحانى من جوهر نورانى شبيه بالجوهر الجسمانى فى كونه محسوساً مقدارياً، وبالجوهر المجرد العقلى فى كونه نورانياً، وليس بجسم مركب مادى ولا- جوهر مجرد عقلى. بحار الأنوار، المجلسى: ٥٨ / ٢٤٤ - ٢٤٧، كتاب السماء والعالم، باب ٤٦ قوى النفس ومشاعرها من الحواس الظاهره والباطنه وسائر القوى البدنيه، تذنيب. قال الطباطبائى: عالم المثال: ثانى العوالم، وهو فوق عالم الطبيعه وجوداً، وفيه صور الأشياء بلا ماده، منها تنزل هذه الحوادث الطبيعیه وإليها تعود، وله مقام العليه ونسبه السببيه لحوادث عالم الطبيعه. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١١ / ٢٧١، تفسير سورة يوسف، المنامات الحقه.

وكل موجود، لا بد وأن يعود في النهاية إلى نقطه بدايته. وفي بحث لنا، أثبتنا أن لجميع هذه العوالم؛ ابتداء من عالم الجسمانيات وحتى عالم أسماء الله الحسنی «أساس العالم كله»، مراتب متباينه، على أساس نقص أو كمال كل منها، لكنها جميعاً تملك وجوداً متساوياً في النفس. ومعنى ذلك أن صاحب المرتبه العليا ينزل إلى المرتبه الواطئه، والوطئه تكون كالمرآه، تعكس ما يسقط عليها من أضواء وألوان، وفي النتيجة فإن ما يظهر من عالى المرتبه، هو ذلك المقدار الذى تتمكن هذه المرآه، من عكسه، وهكذا فإن طبيعه وكيفيه العالى، تظل مرهونه (١) بنقص المرآه أو كمالها (٢).

١- قال ابن عرفه: الراهن: الشئء الملزوم، يقال هذا راهن لك أى: دائم محبوس عليك، ونفس رهينه أى: محبوسه بكسبها. الأمور مرهونه بأوقاتها، أى: مكفوله. تاج العروس، الزبيدي: ٢٢٣ / ٩.

٢- قال الطباطبائى: إن العوالم ثلاثه: أولها: عالم الطبيعه: وهو العالم الدنيوى الذى نعيش فيه والأشياء الموجوده فيها صور ماديه تجرى على نظام الحركه والسكون والتغير والتبدل. ثانيها: عالم المثال: وهو فوق عالم الطبيعه وجوداً وفيه صور الأشياء بلا ماده، منها تنزل هذه الحوادث الطبيعه واليه تعود، وله مقام العليه ونسبه السببيه لحوادث عالم الطبيعه. ثالثها: عالم العقل: وهو فوق عالم المثال وجوداً، وفيه حقائق الأشياء وکلياتها من غير ماده طبيعه ولا صوره، وله نسبه السببيه لما فى عالم المثال. والنفس الإنسانیه لتجردها لها مسانخه مع العالمين عالم المثال وعالم العقل فإذا نام الإنسان وتعطل الحواس انقطعت النفس طبعاً عن الأمور الطبيعه الخارجيه ورجعت إلى عالمها المسانخ لها وشاهدت بعض ما فيها من الحقائق بحسب ما لها من الاستعداد والإمكان. فان كانت النفس كامله متمكنه من إدراك المجردات العقليه أدركتها واستحضرت أسباب الكائنات على ما هى عليها من الكليه والنوريه. وان لم تكن متمكنه من إدراك المجردات على ما هى عليها والارتقاء إلى عالمها توقفت فى عالم المثال مرتقيه من عالم الطبيعه فربما شاهدت الحوادث بمشاهده عللها وأسبابها من غير أن تتصرف فيها. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١١ / ٢٧١، تفسير سوره يوسف، المنامات الحقه.

كما أن من الأمور التي أثبتناها في بحوث أخرى، هناك عالم، كالبرزخ (١)،

١- البرزخ: ما بين كل شيئين. والميت في البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة. البرزخ: أمد ما بين الدنيا والآخرة بعد فناء الخلق. يقال البرزخ: فسحه ما بين الجنة والنار. كتاب العين، الفراهيدي: ٤ / ٣٣٨، مادة «برزخ». البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. الصحاح، الجوهري: ١ / ٤١٩، مادة «برزخ». وأما تعريف البرزخ اصطلاحاً قال الجرجاني: العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة والأجسام المادية. والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصلت إليه، وهو الخيال المنفصل. قال أيضاً، البرزخ: هو الحائل بين الشيئين. ويعبر به عن عالم المثال، أعنى الحاجز من الأجسام الكثيفه وعالم الأرواح المجردة، أعنى الدنيا والآخرة. التعريفات، الجرجاني: ٣١، باب الباء، البرزخ. قال العلامة الطباطبائي في كتابه بدايه الحكمة: المثال، ويسمى: «البرزخ» لتوسطه بين العقل المجرد والجوهر المادي، و«الخيال المنفصل» لاستقلاله عن الخيال الحيواني المتصل به. وهو مرتبه من الوجود مفارق للماده دون أثارها، وفيه صور جوهرية جزئية صادرة من آخر العقول الطولية، وهو العقل الفعال عند المشائين، أو من العقول العرضيه على قول الاشراقين، وهي متكثره حسب تكثر الجهات في العقل المفيض له، متمثله لغيرها بهيئات مختلفه، من غير أن ينثلم باختلاف الهيئات في كل واحد منها وحدته الشخصيه. بدايه الحكمة، الطباطبائي: ٢٢٠ ٢٢١، المرحله الثانيه عشر فيما يتعلق بالواجب تعالى من اثبات ذاته وصفاته وأفعاله، الفصل الثالث عشر في المثال.

يقع بين العقل المجرد(١)، والمجردات المادية(٢)، وبناءً على هذا فإنه عالم موجود،

١- قال محمد جواد البلاغى: العقل المجرد، هو: ممثل القضايا العقلية الكلية الفطرية البديهية. بها يسير سيره وعليها تبتنى أدلته وبراهينه. وهى الحجر الأساسى لبناء العلوم واستنتاج كلياتها النظرية المدونة فيه وتمشى أحكامها للموارد الجزئية فى مقام استثمار العلوم. ولا يجدى الحس فى أدله العلم شيئاً لولا هذه القضايا التى تمتاز بها فطره العقل المجرد المشرف على الحقائق بنورانيته. الرحله المدرسيه، البلاغى: ٣ / ٤٢٥، كرامه العقل وتسويلات الإلحاد.

٢- المجرد: ما لا يكون محل لجوهر، ولا حالاً فى جوهر آخر ولا مركباً منهما. التعريفات، الجرجانى: ١١٣، باب الميم، المجرد. قال المازندرانى: عالم المجردات، يسمى: العرش العقلانى والعرش الروحانى. شرح أصول الكافى، المازندرانى: ١ / ٢٠٥. وقال أيضاً، الملكوت الاعلى: وهو عالم المجردات الصرفه. شرح أصول الكافى، المازندرانى: ٦ / ٧٦.

لكنه ليس مادته (١)، رغم أنه يحمل بعض صفات المادة، مثل المقدار والشكل والعرض الفعلي.

بهذه المقدمه يمكن توضيح حال الإنسان حين انتقاله من الدنيا إلى الآخرة في مرحله ما بعد الموت.

وهنا أرى من الضروره أن يمعن القراء وبدقه بجمله نقاط:

أولاً: تصور معنى المادة.

ثانياً: المادة جوهر، يمكن لها أن تكتسب صفات الأجسام.

ثالثاً: وجود المادة في الأجسام يفسر التغيرات والتحويلات التي تطرأ على الجسم.

رابعاً: المادة ليست جسماً، وليست محسوسه.

١- المادة: كل ما يشغل حيز من الفراغ، وله وزن، ومرونه، وعزم وقصور. ينص قانون بقاء المادة على أن: المادة لا تخلق ولا تنعدم، بل تتحول من صوره إلى أخرى. تتكون المادة من جسيمات صغيره تسمى جزيئات. الموسوعه العربيه الميسره والموسعه، صلاواتي: ٣٠٨١ / ٧، حرف الميم، ماده. المادة فى اللغه: كل شىء يكون مددا لغيره، وماده الشىء: أصوله وعناصره التى يتركب منها حسيه كانت أو معنويه كماده البناء، وماده البحث. المادة اصطلاحاً: هى الجسم الطبيعى الذى نتناوله على حاله أو نحوله إلى شىء آخر لغايه معينه. المعجم الفلسفى، صليبا: ٣٠٦ / ٢، باب الميم، ماده. قال العلامة الطبائى فى كتابه هذا الذى بين أيدينا ضمن هذا الفصل، البرزخ. المادة: جوهر، يمكن لها أن تكتسب صفات الأجسام. المادة ليست جسماً، وليست محسوسه.

ومن الخطأ الاعتقاد أن المادة هي ذات الجسم الذى نراه فى الموجودات المختلفه. فهذا الاعتقاد الخاطئ وقع فيه بعض العلماء السطحيين (١)، مما أوقعهم فى عدم إدراك ما قدمه المتألهون (٢) وأهل البرهان (٣)، بالشكل الصحيح.

١- العلماء السطحيون: أرباب الثقافه الدينيه الضعيفه. فتح المعين، السقاف: ٨.

٢- التأله: التنسك والتعبد. الصحاح، الجوهرى: ٦/ ٢٢٢٤، ماده «أله». الإلهى: هو المنسوب إلى الله، أو الموحى به من الله. المعجم الفلسفى، صليبا: ١/ ١٢٩، باب الألف، الله. قال الأعلمى: يقال الإلهى: لمن علم بأحوال ما يفتقر فى الوجود الخارجى، والتعقل إلى ماده كالإله والعقول العشره، وهو العلم الأعلى المنسوب إلى أفلاطون. وسمى بالإلهى تسميه للشىء باسم أشرف أجزاءه: أى أشرف أجزاء العلم. يقال: إنما سمي به ونسب بالإله لكونه أشرف أفراد موضوع الحكمة الإلهيه. دائره المعارف الشيعيه العامه، الأعلمى: ٤/ ٢٣٢، الإلهى.

٣- قال صدر المتألهين فى تفسير قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ (٢٥) وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَهُ) سورة الحاقه / ٢٥ ٢٦، أهل البرهان واليقين، وهم السابقون السابقون، أولئك المقربون، درجتهم فى أعلى عليين، وكتابهم فى صحف مكرمه مرفوعه عن النسخ والتغير، لا- يمسه إلا- المطهرون عن أدناس الطبيعه. تفسير القرآن الكريم، الملا صدرا: ٧/ ٤٣٩، تفسير سورة الزلزله. قال المراغى: وأولو العلم هم أهل البرهان القادرون على الإقناع، وهم يوجدون فى هذه الأمه وفى جميع الأمم السالفه، بالقسط: أى بالعدل فى الدين والشريعته وفى الكون والطبيعه. تفسير المراغى، المراغى: ٣/ ١١٧، تفسير سورة آل عمران.

فعندما قلنا أن ليس للبرزخ ماده، أو أن لذات البرزخ خياليه أو لذات عقلانيه فقط، تصوروا أننا نعتبرها وهماً وسراباً ليس أكثر، وهذا الاعتقاد باطل في حد ذاته، وفي نفس الوقت، انحراف في إدراك المقصود.

وعلى أى حال، فإن البرزخ، هو كما رأيتموه، وكما يشير إليه الكتاب والسنة، ولأن الأخبار والروايات المتوفرة، تشتمل فى الغالب على الآيات الواردة فى هذا المجال(١)، لذلك سنركز على استعراض الأخبار وشرحها وتأتى

١- وردت عدة آيات فى القرآن الكريم تذكر البرزخ وكذلك عدة أحاديث تتضمن آيات البرزخ، نذكر منها الآتى: سوره المؤمنون / ١٠٠، ونصها: (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ). سوره الفرقان / ٥٣، ونصها: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُورَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) . سوره الرحمن / ٢٠، ونصها: (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ) . قال الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) سوره المؤمنون / ١٠٠، البرزخ: هو أمر بين أمرين وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة. تفسير القمى، القمى: ٢ / ٩٣، تفسير سوره المؤمنون. قال الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام فى تفسير قوله تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) سوره المؤمنون / ١٠٠، قال: هو القبر وإن لهم فيه لمعيشه ضنكا والله إن القبر لروضه من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. الخصال، الصدوق: ١ / ١٢٠، باب الثلاثه، أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات / قطعه من الحديث . ١٠٨.

الآيات المطلوبه خلالها. فقد نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه يستند في رده على الذين ينكرون وجود الثواب والعقاب بعد الموت وقبل القيامة، إلى قول الباري عز وجل

(يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَخْذُودٍ (١) والمقصود بذلك، تلك السماوات والأرض الموجوده قبل القيامة، وحينما تقوم الساعة، تتبدل إلى سماوات وأرض أخرى (٢). ومثل ذلك قول الباري عز وجل (وَمَنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (٣) حيث المقصود بالبرزخ هو الثواب والعقاب في مرحله ما بين الدنيا والآخرة (٤)، وكما نرى في الآية (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ

١- سورة هود / ١٠٥ / ١٠٨.

٢- أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٢٨٦ / ٦، كتاب العدل، باب ٨ أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله / ح ٧٦.

٣- سورة المؤمنون / ١٠٠.

٤- قال القمي في تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) سورة المؤمنون / ١٠٠، قال: البرزخ هو أمر بين أمرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة وهو رد على من أنكروا عذاب القبر والثواب والعقاب قبل القيامة. تفسير القمي، القمي: ٢ / ٩٣، تفسير سورة المؤمنون.

السَّاعَةَ(١) فإن القيامة، مكان الخلود، وليس فيها ليل أو نهار، فهما من صفات الحياه فى الدنيا(٢).

وحول أهل الجنة يقول الله تعالى: (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)(٣) ومن الواضح أن «الصباح»(٤) و«العشيه»(٥) يقصد به الصباح والمساء فى الجنة قبل القيامة(٦)،

١- سورة غافر / ٤٦.

٢- قال القمى فى تفسير قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) سورة غافر / ٤٦، فالغدو والعشى إنما يكون فى الدنيا فى دار المشركين، وأما فى القيامة فلا يكون غدوا ولا عشيا. تفسير القمى، القمى: ١٩ / ١.

٣- سورة مريم / ٦٢.

٤- الصباح: أول النهار. الصباح: الفجر. لسان العرب، ابن منظور: ٢ / ٥٠٢، مادة «صبح». قال الطريحي فى تفسير قوله تعالى: (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) سورة الفرقان / ٥، أى: غداء ومساء. مجمع البحرين، الطريحي: ١ / ٢٣١، مادة «بكر».

٥- قال الأزهرى العشى: ما بين زوال الشمس وغروبها. مختار الصحاح، الرازى: ٢٢٨ - ٢٢٩، مادة «عشا». قال الطريحي فى تفسير قوله تعالى: (بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) سورة آل عمران / ٤١، العشى: بفتح العين وتشديد الياء: من بعد زوال الشمس إلى غروبها. مجمع البحرين، الطريحي: ٣ / ١٨٨، مادة «عشو، ي».

٦- قال الإمام على عليه السلام: قال الله تعالى فى أهل الجنة: (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) سورة مريم / ٦٢، والبكره والعشى إنما يكونان من الليل والنهار فى جنه الحياه قبل يوم القيامة. بحار الأنوار، المجلسى: ٩٠ / ٨٤، كتاب القرآن، باب ١٢٨ ما ورد عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه فى أصناف آيات القرآن.

ذلك أن الله تعالى يقول: (لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا) (١).

وفي هذا السياق تأتي الآية:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (٢).

إن المقصود بالنار في (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا وَعَشِيًّا) (٣) هي نار الآخرة، لكن الشخص الذى يعرض عليها هو فى عالم البرزخ (٤).

١- سورة الإنسان / ١٣.

٢- سورة آل عمران / ١٦٩ / ١٧٠.

٣- سورة غافر / ٤٦.

٤- قال أبو عبد الله عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) سورة غافر/٤٦، ذلك فى الدنيا قبل يوم القيامة لأن نار القيامة لا تكون غدوا وعشيا ثم قال: إن كانوا يعذبون فى النار غدوا وعشيا فبيما بين ذلك هم من السعداء ولكن هذا فى نار البرزخ قبل يوم القيامة. قصص الأنبياء، الجزائرى: ٢٥٨، الباب الثانى عشر فى قصص موسى وهارون، الفصل الخامس فى أحوال مؤمن آل فرعون. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا وَعَشِيًّا... الآية) سورة غافر/٤٦، أن العرض على النار قبل قيام الساعة التى فيها الإدخال وهو عذاب البرزخ. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٣٣٥ / ١٧، تفسير سورة غافر.

كما تدل على ذلك نهايه الآيه:

(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (١).

وسياتى هذا الموضوع فى روايات تنطرق إليها فيما بعد. فمثلاً عندما يقال أن باباً تفتح فى القبر، على نار جهنم، ليدخل منها بعض لهيب النار (٢)، فإن ذلك يعنى أن نار البرزخ هى عينه من نار الآخرة، وعذابه نموذج من عذاب الآخرة (٣). أما المقصود بالنار فى (فَمَأْوَاهِ الَّذِينَ شَقُّوا فِيهَا النَّارِ) (٤) فهى نار البرزخ (٥). من هنا تتضح صحه الجمع بين أمرين: دخول الدار، وعرض الإنسان على النار.

١- سورة غافر / ٤٦.

٢- عَنْ أَبِي عَبِيدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَافِرًا دَخَلَ عَلَيْهِ وَأَقِيمَ الشَّيْطَانُ... وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ وَيَرَى مَقْعِدَهُ فِيهَا. الكافى، الكلينى: ٣ / ٢٣٧، كتاب الجنائز، باب المسأله فى القبر ومن يسأل ومن لا يسأل/ح٧.

٣- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) سورة غافر / ٤٦، إن التعذيب فى البرزخ ويوم تقوم الساعه بشيء واحد وهو نار الآخرة لكن البرزخيين يعذبون بها من بعيد وأهل الآخرة بدخولها. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٧ / ٣٣٥، تفسير سورة المؤمنون.

٤- سورة هود / ١٠٦.

٥- قال الجزائرى فى تفسير قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) سورة غافر / ٤٦، هذه النار: هى نار البرزخ التى يعذب فيها أرواح الكفار فى الدنيا، وهى برهوت واد فى حضرموت من بلاد اليمن. قصص الأنبياء، الجزائرى: ٢٥٨، الفصل الخامس فى أحوال مؤمن آل فرعون.

ولو دققنا فى الآيه:

(إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) (١) لرأينا أنها تحمل مدلولات الآيه السابقه، فالسحب فى الحميم، هو مقدمه للإدخال فى النار، وهو ما يقع يوم القيامه (٢).

تجسم الأعمال

ينقل عدد من المفسرين، أمثال العياشى (٣) والقمى (٤) والكلينى (٥)

١- سورة غافر / ٧١ ٧٢.

٢- قال ابن عاشور فى تفسير قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) سورة يس / ٨، وعيدا بما سيحلّ بهم يوم القيامه حين يساقون إلى جهنم فى الأغلال كما أشار إليه قوله تعالى: (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) سورة غافر / ٧١ ٧٢، فيكون فعل جَعَلْنَا مستقبلا وعبر عنه بصيغه الماضى لتحقيق وقوعه. التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٩٩ / ٢٢، تفسير سورة يس.

٣- العياشى: مرت ترجمته سابقا.

٤- على بن ابراهيم بن هاشم القمى: أبو الحسن ثقه فى الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع وأكثر وصنف كتباً وأضر فى وسط عمره. رجال العلامة، العلامة الحلى: ١٠٠، القسم الأول فيمن أعتمد عليه، الفصل الثامن عشر فى العين، الباب الأول على / الرقم ٤٥ على بن ابراهيم بن هاشم القمى.

٥- محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكلينى: كان خاله علان الكلينى الرازى شيخ أصحابنا فى وقته بالرى ووجههم، وكان أوثق الناس فى الحديث، وأثبتهم. صنف الكتاب الكبير المعروف، بالكلينى يسمى الكافى. رجال النجاشى، النجاشى: ٣٧٧، باب الميم / الرقم ١٠٢٦.

في «الكافي» (١) والمفيد (٢) في «الأمالي» (٣) عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله أن الإنسان

١- قال الطهراني في الكافي: هو أقدم الكتب الأربعة الحديثية للمحمدين الثلاثة التي عليها المدار في عمل أصحابنا الإمامية لاحتوائها على عين العبارات صادرة عن أهل البيت عليهم السلام والمدرجة في الأصول الأربعمائة التي وصلت إليهم وأخرجوا منها الأحاديث، مرتبه على أبواب الأحكام الفقهية والأصولية. وقد أكثر المتأخرون عنهم في شرحها والتعليق عليها متنا وسندا وغير ذلك. الذريعة، الطهراني: ٢٦ / ١٤. وقال الطهراني أيضا: هو اجل الكتب الأربعة في الأصول المعتمده عليه، لم يكتب مثله في المنقول من آل الرسول. لثقه الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، ابن أخت علاء الكليني، والمتوفى ٣٢٨ مشتمل على أربعة وثلاثين كتابا، وثلاثمائة وستة وعشرين بابا، وأحاديثه حصرت في ستة عشر ألف حديث، الصحيح ٥٠٧٢. الحسن ١٤٤، الموثق ١٧٨، القوي ٣٠٢، الضعيف ٩٤٨٥. ومائة وتسعه وتسعين حديثا أزيد من جميع صحاح الست. الذريعة، الطهراني: ١٧ / ٢٤٥، حرف الكاف / الرقم ٩٦ الكافي في الحديث.

٢- الشيخ المفيد: فقيه الطائفة شيخها غير مدافع، أبو عبد الله، يعرف بابن المعلم شيخ متكلمي الإمامية وفقهائها، انتهت رئاستهم إليه في وقته في العلم، فقيه حسن الخاطر دقيق الفطنة حاضر الجواب، وحاله أعظم من الشاء عليه، له قريب من مائتي مصنف مات، قدس الله روحه، ليله الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشره وأربعمائة. وكان مولده حادى عشر ذى القعدة من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وصلى عليه السيد المرتضى رحمه الله بميدان الأشنان وضاق على الناس مع كبره، ودفن بداره ونقل إلى المشهد الشريف الكاظمي على مشرفه السلام ودفن قريبا من رجلى الجواد عليه السلام إلى جانب شيخه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه. رجال ابن داود، ابن داود: ٣٣٣ ٣٣٤، باب الميم / الرقم ١٤٦٤ محمد بن محمد بن النعمان.

٣- أورد الحديث كل من القمي والكليني والطوسي في أماليه وليس المفيد في أماليه. والشيخ الطوسي: هو أبو جعفر جليل في أصحابنا، ثقه عين، من تلامذه شيخنا أبي عبد الله. له كتب، منها كتاب تهذيب الأحكام وهو كتاب كبير، وكتاب الاستبصار. رجال النجاشي، النجاشي: ٤٠٣، باب الميم / الرقم ١٠٦٨. محمد بن الحسن بن علي الطوسي: أبو جعفر شيخ الإمامية قدس الله روحه، رئيس الطائفة جليل القدر عظيم المنزله ثقه عين صدوق عارف بالأخبار والرجال الفقه والأصول والكلام والأدب وجميع الفضائل تنسب إليه، صنف في كل فنون الإسلام. ولد قدس الله روحه في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. توفى رضى الله عنه ليله الإثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة بالمشهد المقدس الغروي على ساكنه السلام ودفن بداره. رجال العلامة، العلامة: ١٤٨، القسم الأول، الفصل الثالث والعشرون في الميم، الباب الأول محمد / الرقم ٤٦.

عندما يصبح في آخر يوم من حياته وأول يوم من آخرته، تتجسم أمامه أعماله وأبناؤه وأمواله، فيخاطب ماله ويقول له بأنه جمعه وحرص عليه، فماذا سيعطيه الآن، فيجيب المال أن ليس لصاحبه عنده أكثر من الكفن، ثم يتجه إلى أبنائه فيذكركم بأنه رعاكم وحمائم، فماذا سيقدمون إليه؟ فيجيبون بأنه يأخذونه إلى القبر ويهيلون التراب عليه، ثم يتجه إلى عمله ويسأله نفس السؤال فيجيب بأنه سيظل معه في القبر ويوم القيامة حتى يعرضوا جميعاً على الخالق عز وجل. فإن كان هذا الإنسان صالحاً من أولياء الله، يتمثل أمامه شخص جميل الوجه طيب الرائحة حلو الهمدام^(١) فيبشره ب(فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

١- يقال: هذا شيء مهندم، أى: مصلح على مقدار. وهو معرب، وأصله بالفارسيه «أندام». الصحاح، الجوهري: ٥ / ٢٠٥٦، ماده «هدم». قال الأزهرى: الهمدام: الحسن القد، معرب. لسان العرب، ابن منظور: ١٢ / ٦٢٤، ماده «هدم».

وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (١) وأنه سيدخل أفضل منزل. فيسأل الإنسان الصالح: من أنت، فيجيبه: أنا عمك الصالح، فاستعد للجنة، ثم يطلب هذا الشخص من المغسل والحامل أن يسرعوا في عملهم. وعندما يرد القبر يأتيه الملكان، شعرهما طويل وأسنانهما تصل إلى الأرض، صوتهما كالرعد، وعيونهما كالبرق، يسألانه: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيجيب: الله ربي. ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الإسلام ديني. بعدها، يدعوان له، بأن يثبته الله فيما يحب، وهذا هو مضمون الآية:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (٢) ثم يقوم الملكان بتوسيع القبر ويفتحان له باباً على الجنة ويقولان: ادخلها هانئاً قرير العين، وهو مضمون الآية الكريمة:

(أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (٣).

أما لو كان هذا الإنسان عدواً لله، فيأتيه شخص بملابس قدره، رائحته نتنة فيشره ب (فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ) (٤)، ثم يطلب من المغسل والحامل أن يتباطأوا في عملهم. وعندما يدخلونه القبر يأتيه الملكان فيسحبانه من كفنه

١- سورة الواقعة / ٨٩.

٢- سورة إبراهيم / ٢٧.

٣- سورة الفرقان / ٢٤.

٤- سورة الواقعة / ٩٣ ٩٤.

ويسألانه: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيجيب: لا أدري، فيقول الملكان له: لم تعرف، ولم تهتد. ثم ينهالان (١) عليه ضرباً بسياط من حديد و نار، لدرجه تبعث الرعب فى كل موجودات الأرض، إلا الجن والإنس. بعدها يفتحان له باباً على نار جهنم ويقولان له: ابق فى أسوأ وضع، ثم يضيق عليه القبر ويضغظه حتى يخرج مخه من رأسه، ثم يسلط الله تعالى عليه، من ثعابين وعقارب وحشرات الأرض لتلدغه (٢) وتنهش (٣) جسمه، ويستمر هذا حتى يتمنى ويدعو الله أن يقيم الساعه ليتخلص من هذا العذاب (٤).

-
- ١- إنهال عليه القوم: تتابعوا عليه وعلوه بالشم والضرب والقهر. لسان العرب، ابن منظور: ١١/٧١٤ ماده «هيل».
 - ٢- اللدغ: عض الحيه والعقرب. قيل: اللدغ بالفم واللسع بالذنب. قال الليث: اللدغ بالناب. لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٤٤٨، ماده «لدغ».
 - ٣- النهش بالفم كالنهس، إلا إن النهش تناول من بعيد. كتاب العين، الفراهيدى: ٣/ ٤٠٢، ماده «نهش». نهش ينهش وينهش نهشا: تناول الشئء بفمه ليعضه، فيؤثر فيه ولا يجرحه. قال أبو العباس: النهش: ياطباق الأسنان. لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٣٦٠، ماده «نهش».
 - ٤- أنظر: تفسير العياشى، العياشى: ٢/ ٢٢٧ ٢٢٨، تفسير سوره إبراهيم / ح ٢٠. تفسير القمى، القمى: ١/ ٣٦٩ ٣٧١، تفسير سوره إبراهيم. الكافى، الكلينى: ٣/ ٢٣١ ٢٣٣، كتاب الجنائز، باب أن الميت يمثل له مال وولده وعمله قبل موته / ح ١. كتاب الأمالى، الطوسى: ٣٤٧ ٣٤٩، المجلس ١٢ / ح ٥٩.

إن الآيه الكريمة:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) (١).

تشير إلى هذه الآيه:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْمَلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (٢).

ففي هذه الآيات يبين الباري عز وجل أن هناك كلمات لها جذور وأصول ثابتة توتى ثمارها الطيبة في كل زمان، هذه الكلمات وصفها الله بالطهاره وأشار إلى أنها تصعد إليه. وكذلك يصعد العمل الصالح إليه (٣).

١- سورة إبراهيم / ٢٧.

٢- سورة إبراهيم / ٢٤ ٢٧.

٣- قال السبزواري في تفسير قوله تعالى: (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) سورة فاطر / ١٠، في جملة يرفعه احتمالات ثلاثة: الأول: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله. الثاني: عكس الأول أي أن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح إليه سبحانه. الثالث: أن العمل الصالح يرفعه الله إليه أي يقبله. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، السبزواري: ٤٤٠، تفسير سورة فاطر. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْمَلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) سورة إبراهيم / ٢٤، التقدير ضرب الله مثلاً جعل كلمه طيبه كشجره طيبه. انه مثل الكلمه بالشجره وشبهها بها وهو معنى قولنا اتخذ كلمه طيبه كشجره. وقوله أصلها ثابت أي مرتكز في الأرض ضارب بعروقه. وكذلك كل كلمه حقه وكل عمل صالح مثله هذا المثل، له أصل ثابت وفروع رشیده وثمرات طيبه مفیده نافع. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢ / ٥٠ ٥٢، تفسير سورة إبراهيم.

كما قال الله تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) (١) ثم بين طريق الوصول إلى هذه العزه:

(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (٢).

ففى هذه الآيات أوضح البارى عز وجل أنه يثبت المؤمنين بهذه الكلمات الطيبه فى الدنيا والآخرة، فهو يقرن الكلام بلحاظ نيه الإنسان بصفه الثبات (٣).

١- سورة فاطر / ١٠.

٢- سورة فاطر / ١٠.

٣- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) سورة فاطر / ١٠، الكلمه الطيبه هو الذى يرتب تعالى عليه تثبيته فى الدنيا والآخرة. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٢ / ٥١، تفسير سورة إبراهيم.

وتكون النتيجة، أحد أمرين، أما أن يثبت الإنسان «بالقول الثابت» (١) (٢) أو أن ينزلق ويضل ب«القول غير الثابت» الذى عبر عنه القرآن الكريم ب«الكلمه الخبيثه» (٣)، والنتيجه الطبيعیه تكون، طريق السعاده، أو طريق الشقاء فى الآخره بعد المحاسبه والسؤال، وهما طريقان لا يمكن أن يتساويا.

ومن جانب آخر، فإن الخالق جل وعلا- يخبرنا أن القول الطيب والثابت، يعطى ثماره ونتائجه، دائماً بإذنه هو ومن خلال الآيات السالفه الذكر (٤)، نستنتج أن منافع وثمار القول الطيب تظهر فى أى زمان أو مكان، وهذا يعنى أن السؤال والحساب موجودات فى كل زمان ومكان.

١- سوره إبراهيم / ٢٧.

٢- قال الطبرسى: القول الثابت: الذى ثبت بالحجه والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم فى الدنيا أنهم إذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا. تفسير جوامع الجامع، الطبرسى: ٢ / ٢٨٣، تفسير سوره إبراهيم.

٣- عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) سوره إبراهيم / ٢٦، وهى كلمه الكفر والشرك. عن أبى على: هو كل كلام فى معصيه الله تعالى. تفسير مجمع البيان، الطبرسى: ٦ / ٧٥، تفسير سوره إبراهيم. قال الصافى فى قوله تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) سوره إبراهيم / ٢٦، قول باطل ودعاء إلى ضلال أو فساد. التفسير الصافى، الفيض الكاشانى: ٣ / ٨٦، تفسير سوره يوسف.

٤- سوره إبراهيم / ٢٤. سوره فاطر / ١.

ومن خلال تمسك الإمام الصادق عليه السلام بالآية السالفة الذكر، يمكن استنباط هذه الحقيقة، وهي أن الله سبحانه وتعالى جعل البرزخ استمراراً لحياه الدنيا(١)، فعبارته «وهذا هو قول الله تعالى بأن أصحاب الجنة» الواردة في الحديث(٢)، إنما تشير إلى قوله تعالى:

(وَقَالَ الَّذِينَ لَمَّا يَرُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (٣) هذه الآيات هي

١- قال الطباطبائي: إن البرزخ من تتمه المكث الأرضي محسوب من الدنيا كما يدل عليه قوله تعالى: (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) سورة المؤمنون / ١١٢ / ١١٤. فالحياه البرزخيه كأنها من بقايا الحياه الدنيويه محكومته ببعض أحكامها، والناس فيها بعد في طريق التصفيه والتخلص إلى سعادتهم وشقاوتهم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨ / ١٠٦ / ١٠٧، تفسير سورة الأعراف، الآيات (٢٦ ٣٦) في السعاده والشقاء.

٢- عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) سورة القلم/١٧، إن أهل مكة ابتلوا بالجوع كما ابتلى أصحاب الجنة، وهي الجنة التي كانت في الدنيا وكانت في اليمن، يقال لها الرضوان. تفسير القمي، القمي: ٢٠ / ٣٨٢، تفسير سورة القلم، الذنب يحرم عن الرزق.

٣- سورة الفرقان / ٢١ ٢٤.

من أكثر الآيات صراحة بشأن البرزخ، والمقصود بـ«مقيل»^(١)، النوم في فتره ما قبل الظهر. ومعروف أنه ليس في جنه الآخره نوم، ورغم أنه ليس في البرزخ أيضاً من أشكال نوم الدنيا، إلا أن المقصود بالآيه الكريمة^(٢)، هو أن مكانه البرزخ، من القيامه، بمثابة نوم القيلولة، بالنسبه إلى اليقظه. ومن هنا جاء الوصف الإلهي ليوم البعث بأنه يوم «القيامه»، وهذا ما يدعو الإمام إلى وصف حال الإنسان في البرزخ، بأنه يفتح عليه أما باب على الجنه ثم يقال له: نم قرير العين، أو على جهنم فيقال له: نم في أسوأ حال^(٣).

ورغم أن هذا المضمون يتكرر في أحاديث عديده أخرى، إلا- أن أياً منها لا يتحدث عن دخول المتوفى، الجنه، بعد الموت مباشرة، بل تشير كل الروايات إلى أن باباً تفتح له على الجنه ليشم من عبيقها ويرى منزله فيها، ثم يقال له نم هانئاً قرير العين^(٤).

١- القائله: الظهيره. يقال: أتانا عند القائله. وقد يكون بمعنى القيلولة أيضاً: وهى النوم فى الظهيره. الصحاح، الجوهرى: ٥ / ١٨٠٨، ماده «قيل». قال الطريحي فى تفسير قوله تعالى: (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) سورة الفرقان / ٢٤، هو من القائله، وهو استكنان فى وقت نصف النهار. مجمع البحرين، الطريحي: ٣ / ٥٧٦، ماده «ق ي ل».

٢- سورة الفرقان / ٢٢.

٣- أنظر: تفسير العياشى، العياشى: ٢/ ٢٢٧ ٢٢٨، تفسير سورة إبراهيم / ح ٢٠.

٤- أنظر: تفسير القمى، القمى: ١/ ٣٦٩ ٣٧١، تفسير سورة إبراهيم. الكافى، الكلينى: ٣/ ٢٤١ ٢٤٢، كتاب الجنائز، باب ما ينطق به موضع القبر/ ح ١.

وقد نقلنا فيما سبق، حديثاً عن الإمام الباقر، الذى يصف فيه الموت بالنوم. عندما سألوه عن الموت، فأجاب بأنه كالنوم الذى يأتيكم كل ليلة، والفرق أنه أطول مدته، ولا يصحو منه النائم، إلا يوم القيامة (١).

بناء على هذا فإن البرزخ ليس أكثر من عينه (٢) ونموذج (٣) للقيامة، وقول الإمام بأن القبر يتوسع بسعه ومدى قابليه عين المتوفى على الرؤيا، إنما هو تلميح جميل لهذا الأمر. أما المقصود بالآية:

(يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ لَكُمْ... (٤) فهو أول يوم يرى فيه المتوفى الملائكة (٥)، والدليل على ذلك قول المتوفى:

١- أنظر: معانى الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٥.

٢- العين عند العرب: حقيقه الشيء. عين الشيء: نفسه وشخصه وأصله. لسان العرب، ابن منظور: ١٣ / ٣٠٥، مادة «عون».

٣- النموذج، بفتح النون: مثال الشيء، معرب. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: ١ / ٢١٠، مادة «النموذج». النموذج بفتح النون والذال المعجمه والميم مضمومه، وهو مثال الشيء، أى: صورته تتخذ على مثال صورته الشيء ليعرف منه حاله. تاج العروس، الزبيدي: ٢ / ١٠٩.

٤- سورة الفرقان / ٢٢.

٥- قال ابن الجوزى فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) سورة الفرقان / ٢٢، فيه قولان: عند الموت والثانى يوم القيامة. زاد المسير، ابن الجوزى: ١٠ / ٦، تفسير سورة الفرقان. قال القرطبي فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ) سورة الفرقان/٢٢، يريد أن الملائكة لا يراها أحد إلا عند الموت. تفسير القرطبي، القرطبي: ١٣ / ٢٠، تفسير سورة الفرقان. قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا بُشِّرَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا) سورة الفرقان / ٢٢، فذكر أنهم والحال حالهم لا- يرون الملائكة إلا- مع حال الموت. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١ / ٨٥، تفسير سورة البقره.

(لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ) (١) وهذا اللقاء يتم في عالم البرزخ حيث تتحقق للإنسان البشرى أو عكسها.

المتوسطون لا يخضعون إلى الحساب

نفهم من الآيه السالفه الذكر (٢) أن المحاسبه فى القبر تطال المؤمنين والظالمين فقط، ولم تتطرق الآيه إلى وضع المستضعفين (٣) والمتوسطين (٤). ولعل هذا المفهوم

١- سورة الفرقان / ٢١.

٢- سورة الفرقان / ٢٢.

٣- عن أبى خديجه عن أبى عبدالله عليه السلام ، فى تفسير قوله تعالى: (الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا حِيلَهُ وَلَمَّا يَهْتَدُوا سَبِيلًا) سورة النساء / ٩٨، قال: لا- يستطيعون سبيل أهل الحق فيدخلون فيه ولا يستطيعون حيله أهل النصب فينصبون، قال هؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنه وباجتناب المحارم التى نهى الله عنها ولا ينالون منازل الأبرار. تفسير العياشى، العياشى: ١ / ٢٦٨ ٢٦٩، تفسير سورة النساء / ح ٢٤٥.

٤- عن ابن عباس، وابن مسعود فى تفسير قوله تعالى: (وَعَلَى الْأَعْرَافِ) سورة الأعراف/٤٦، إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فحالت حسناتهم بينهم وبين النار، وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة، فجعلوا هناك حتى يقضى الله فيهم ما شاء، ثم يدخلهم الجنة. مجمع البيان، الطبرسى: ٤ / ٢٦١، تفسير سورة الأعراف. قال الطباطبائى: اختلفوا فى معنى الأعراف، أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يترجح حسناتهم حتى يدخلوا الجنة ولا غلبت سيئاتهم حتى يؤمروا بدخول النار فأوقفهم الله تعالى على هذه الأعراف لكونها درجه متوسطه بين الجنة والنار ثم يدخلهم الجنة برحمته. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٨ / ١٢٦، تفسير سورة الأعراف.

يتضمنه العديد من الروايات. فقد ورد في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام أن المؤاخذه والمحاسبه في القبر إنما تشمل أهل الإيمان الخالص، وأهل الكفر البحت فقط، دون الآخرين (١). وفي تفسير القمي، ينقل عن ضريس الكناسي (٢) أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام عن حساب القبر، وحال من هو من الموحدين والمؤمنين بنبوه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لكنه مذنب، وليس له إمام، ولا يعرف ولا يتك، فأجاب: هؤلاء يبكون في قبورهم. فإن كانت لديهم أعمال صالحه ولم يناصروا (٣) أهل البيت

-
- ١- عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْخَضْرَمِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يُسْأَلُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحْضًا أَوْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضًا وَالْآخِرُونَ يُلْهَوْنَ عَنْهُمْ. الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣٥، كتاب الجنائز، باب المساله في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل/ح ١.
- ٢- قال حمدويه: سمعت أشياخي يقولون ضريس إنما سمي الكناسي لأن تجارته بالكناسه، وكانت تحته بنت حرمان، وهو خير فاضل ثقه. رجال الكشي، الكشي: ٣١٣ / ٣١٤، ما روى في ضريس بن عبد الملك بن أعين الشيباني/الرقم ٥٦٦.
- ٣- النصب أيضا: المعاداه، يقال نصبت لفلان نصبا: إذا عاديته. الناصب: وهو الذي يتظاهر بعداوه أهل البيت أو لمواليهم لأجل متابعتهم لهم. مجمع البحرين، الطريحي: ٤ / ٣١٦، ماده «نصب».

العداء. فتحت على قبورهم باب من الجنة، فيهب عليهم منها نسيم عطر يدخل السرور في قلوبهم، حتى يلاقوا ربهم يوم القيامة. فيحاسبهم، ويجازيهم على حسناتهم، ويؤاخذهم في سيئاتهم، هؤلاء أمرهم مرهون بالبارى عزوجل (١).

وكذا الحال مع المستضعفين والبلهاء (٢) والأطفال، وأبناء المسلمين الذين لم يبلغوا سن الرشد. وعندما يقول الإمام عليه السلام (٣) أن أمر هؤلاء مرهون بالبارى عز وجل، فإنه يشير إلى الآية الكريمة:

(وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (٤).

وخلصه الأمر أن جميع البشر، يتعرضون للحساب الذى يتحدد على أثره، عيشهم فى النعيم أو العذاب فى الجحيم ويستثنى من ذلك المستضعفون ومن فى عدادهم.

١- أنظر: تفسير القمى، القمى: ٢/٢٦٠، ٢٦١، تفسير سورة المؤمن، من مات ولم يعرف الإمام. أنظر: تفسير القمى، القمى: ٢/٢٦٠، ٢٦١، تفسير سورة المؤمن، من مات ولم يعرف الإمام.

٢- البله: الغفلة عن الشر وأن لا يحسنه. رجل أبله بين البله والبلاهه: وهو الذى غلب عليه سلامه الصدر وحسن الظن بالناس، فى التهذيب: الأبله: الذى طبع على الخير، فهو غافل عن الشر لا يعرفه. لسان العرب، ابن منظور: ١٣ / ٤٧٧، ماده «بله».

٣- أى: «الإمام الباقر عليه السلام».

٤- سورة التوبه / ١٠٦.

تجسم الأرواح في البرزخ

تجسم (١) الأرواح في البرزخ

ينقل الشيخ المفيد (٢) عن الإمام الصادق عليه السلام قوله أن الله سبحانه وتعالى عندما يقبض روح إنسان، يبعثها في الجنة بنفس الشكل الذي كانت عليه في الدنيا، فتمارس هذه الأرواح نشاطات الأكل والشرب (٣).

١- قال الشيخ المفيد: قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قلبه في الدنيا في جنة من جنانه ينعمه فيها إلى يوم الساعة. المسائل السرويه، الشيخ المفيد: ٦٣، المسألة الخامسة عذاب القبر. تجسم الروح: تتعلق الروح بالأجساد المثاليه اللطيفه الشبيهه بأجسام الجن والملائكة المضاهيه في الصوره للأبدان الأصلية، فينعم ويعذب فيها ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية لسبق تعلقه بها. بحار الأنوار، المجلسي: ٦ / ٢٧١، كتاب العدل، باب ٨ أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله.

٢- مرت ترجمته.

٣- عَنِ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ حَدَّثَنِي مَرْنٌ سَمِعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ مِنْكُمْ وَاللَّهِ يُقْبَلُ وَلَكُمْ وَاللَّهِ يُعْفَرُ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يُعْتَبَطَ وَيَرَى الشُّرُورَ وَقَرَّةَ الْعَيْنِ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هَاهُنَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ وَاحْتَضَرَ حَضْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَبْرئيلُ وَمَلَكَ الْمَوْتِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَيَدْتُو مِنْهُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَجِبْهُ وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَا جَبْرئيلُ إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَجِبْهُ وَأَرْفُقْ بِهِ فَيَدْتُو مِنْهُ مَلَكَ الْمَوْتِ فَيَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَخَذْتَ فَكَأَكْ رَقَبَتِكَ أَخَذْتَ أَمَانَ بَرَاءَتِكَ تَمَسَّكَتْ بِالْعِضْمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَالَ فَيُوقَفُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَقُولُ وَمَا ذَلِكَ فَيَقُولُ وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ صَدَقْتَ أَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُهُ فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَرْجُوهُ فَقَدْ أَدْرَكْتَهُ أَبَشَرُ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ مُرَافِقِهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ثُمَّ يَسْأَلُ نَفْسَهُ سِيلاً رَفِيقاً ثُمَّ يَنْزِلُ بِكَفْنِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَحَنُوطِهِ مِنَ الْجَنَّةِ بِمَشْكٍ أَذْفَرٍ فَيُكْفَنُ بِذَلِكَ الْكَفْنِ وَيُحْنَطُ بِذَلِكَ الْحَنُوطِ ثُمَّ يُكْسَى حُلَّهُ صَفْرَاءَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ فَتُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ رَوْحِهَا وَرِيحَانِهَا ثُمَّ يُفْسِحُ لَهُ عَنْ أَمَامِهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمِ نَوْمَةَ الْعُرُوسِ عَلَى فِرَاشِهَا أَبَشَرُ وَرِيحَانِهَا وَجَنَّةِ نَعِيمٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانَ ثُمَّ يَزُورُ آلَ مُحَمَّدٍ فِي جَنَانِ رَضْوَى فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ مِنْ طَعَامِهِمْ وَيَشْرَبُ مِنْ شَرَابِهِمْ وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ حَتَّى يَقُومَ قَائِمَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ... الحديث. الكافي، الكليني: ١٣١ / ٣ / ١٣٢، كتاب الجنائز، باب ما يعاين المؤمن والكافر / ح ٤.

وينقل صاحب «الكافي» (١) عن أبي ولاد الحنيط (٢) أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن شكل أرواح المؤمنين، فقال الإمام أنها تأخذ نفس الأشكال التي كانت عليها في الدنيا (٣).

وفي روايه أخرى في الكافي، يقول الإمام الصادق أن أرواح المؤمنين تتخذ نفس أشكالها الدنيويه فتتجمع على شجره في الجنه لتتعارف فيما بينها وتساءل كل منها عن الآخرين، وكلما التحقت بها روح جديده، قالت الأولى، أفسحوا (٤).

١- صاحب الكافي: هو محمد بن يعقوب الكليني، وقد مرت ترجمته.

٢- حفص بن سالم: يكنى أبا ولاد الحنيط بتشديد اللام وتشديد النون بعد الحاء المهمله، ثقة كوفي مولى جعفي، له أصل. وقال ابن فضال إنه حفص بن يونس المخزومي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ثقة لا بأس به. وقال ابن عقده: حفص بن سالم خرج مع زيد بن علي، وظهر من الصادق عليه السلام تصويبه لذلك. رجال العلامة، الحلبي: ٥٨، القسم الأول فيمن اعتمد عليه، الفصل السادس في الحاء، الباب الثامن حفص / الرقم ١.

٣- انظر: الكافي، الكليني: ٣/ ٢٤٤، كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين / ح ١.

٤- الفسحه: السعه. فسح له المجلس يفسح فسحا وفسوحا وتفسح: وسع له. لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٥٤٣، ماده «فسح».

لها، فإنها قادمه من الأهوال (١) والخوف العظيم (٢).

وهناك الكثير من الأخبار الواردة في هذا الشأن (٣)، لكنها تخص المؤمنين فقط، أما حال الكافرين، فسيأتي الحديث عنهم لاحقاً.

١- الهول: المخافه من أمر لا- تدرى على ما تهجم عليه منه، كهول الليل. كتاب العين، الفراهيدى: ٤/ ٨٦، ماده «هول». الهول العظيم، المراد به: الفرع العظيم. يقال هاله الشيء من باب قال يهوله هولاً: أفرعه. مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٤٤٤، ماده «هول».

٢- عَنْ أَبِي بصير عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْأَرْوَاحَ فِي صِفَةِ الْأَجْسَادِ فِي شَجَرِهِ فِي الْجَنَّةِ تَعَارَفُ وَتَسْأَلُ فَإِذَا قَدِمَتِ الرُّوحُ عَلَى الْأَرْوَاحِ يَقُولُ دَعُوها فَإِنَّها قَدْ أَفَلَّتْ مِنْ هَوْلٍ عَظِيمٍ ثُمَّ يَسْأَلُونَهَا مَا فَعَلَ فُلَانٌ وَمَا فَعَلَ فُلَانٌ فَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ تَرَكْتُهُ حَيًّا أَرْتَجُّهُ وَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ قَدْ هَلَكَ قَالُوا قَدْ هَوَى هَوَى. الكافي، الكليني: ٣/ ٢٤٤، كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين / ح ٣.

٣- عن أبي بصير أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال: في الجنة على صوره أبدانهم لو رأيتهم لقلت فلانا. جامع الأخبار، الشعيري: ١٧٢، الفصل ١٣٦ في الروح. عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ذكر الأرواح أرواح المؤمنين، فقال: يلتقون، قلت: يلتقون، فقال: يتساءلون ويتعارفون حتى إذا رأيتهم قلت فلان. المحاسن، البرقي: ١/ ١٧٨، كتاب الصفوه والنور والرحمه، باب ٤٠ أرواح المؤمنين / ح ١٦٤.

لقاء الأموات بذويهم

ورد في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام أن الشخص المؤمن، يلتقى ذويه بعد موته، فيحدثهم عما شاهدته وأدخل السرور عليه، ويخفي عنهم ما لقيه من أذى (١). وفي روايه أخرى يقول الإمام عليه السلام (٢). أن كل متوفى، سواء كان مؤمناً أو كافراً، لا بد وأن يلتقى ذويه كل ظهره، فإن رأى المؤمن ذويه يعملون صالحاً، يحمد الله، وإن رأى الكافر ذويه يعملون صالحاً، يغبطهم على ما هم عليه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ إِلَّا وَهُوَ يَأْتِي أَهْلَهُ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ حَمَدَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا رَأَى الْكَافِرُ أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً.

الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣٠، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله/ ح ٢.

(٣) قال العلامة: إسحاق بن عمار بن حيان مولى بنى تغلب أبو يعقوب الصيرفي، كان شيخاً من أصحابنا، ثقة روى عن الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام، وكان فطحياً.

قال الشيخ: إلا أنه ثقة وأصله معتمد عليه.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ٢٠٠ القسم الثاني، الفصل الاول فى الهمزه، الباب الثالث اسحاق / الرقم ١.

(٤) أبا الحسن عليه السلام، هو: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

١- أنظر: الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣٠ ٢٣١، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله/ ح ٤.

٢- أى: «الإمام الصادق عليه السلام».

٣- . وفي «الكافي» أيضاً ورد عن إسحاق بن عمار

٤- أنه سأل أبا الحسن عليه السلام

شهر، أو كل عام، ثم يسأل: وكيف يزور المتوفى ذويه، فيجيب الإمام عليه السلام بأنه يزورهم كما يقف الطير الجميل على حائط دارهم ويطلع على ما يعملون، فيفرح إذا رآهم في خير وعافيه ويحزن إذا رآهم في ضيق وأذى(١).

وهناك الكثير من الروايات الواردة في هذا الشأن(٢) والتي تشترك في المضمون السالف الذكر(٣)، وباعتقادنا فإن تصوير الشخص على هيئة الطير الجميل، إنما هو من باب تجسم الأرواح(٤).

وربما يمكن إدراك معنى الرواية المذكورة آنفاً(٥)، من خلال الوصف القرآني:

١- أنظر: الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣٠، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح ٣.

٢- عن عبد الرحيم القصير، قال: قلت له الإمام الكاظم عليه السلام المؤمن يزور أهله؟ فقال: نعم يستأذن ربه فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم. الكافي: الكليني: ٣ / ٢٣٠ / ٢٣١، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح ٤. عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَخْوَلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَزُورُ الْمُؤْمِنُ أَهْلَهُ فَقَالَ: نَعَمْ فَقُلْتُ: فِي كَمْ؟ قَالَ: عَلَى قَدَرِ فَضَائِلِهِمْ مِنْهُمْ، مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، قَالَ: ثُمَّ رَأَيْتُ فِي مَجْرَى كَلَامِهِ أَنَّهُ يَقُولُ: أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَهُ يَزُورُ كُلَّ جُمُعَةٍ قَالَ قُلْتُ: فِي أَيِّ سَاعَةٍ قَالَ: عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ وَمِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: قُلْتُ فِي أَيِّ صُورِهِ قَالَ: فِي صُورِهِ الْعُصْفُورِ أَوْ أَصْبَغَرَ مِنْ ذَلِكَ فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَهُ مَلَكًا فَيُرِيهِ مَا يَسُرُّهُ وَيَسْتُرُّ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ فَيُرِي مَا يَسُرُّهُ وَيَرْجِعُ إِلَى قَوْمِهِ عَيْنًا. الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣١، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح ٥.

٣- أنظر: الفصل الثاني، لقاء الأموات بذويهم.

٤- مر تعريف وتوضيح تجسم الأرواح في الفصل الثاني، موضوع تجسم الأرواح في البرزخ.

٥- أنظر: الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣٠، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح ٣.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمِهِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَمَّا يُضْعِجُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١).

إن المقصود بـ«الاستبشار» هو استلام البشرى والسرور بها، وعبارته (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمِهِ... (٢) توضيح لعبارة (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا... (٣).

إذن فهذه الآيات تبين لنا أن المقتولين في سبيل الله، يفرحون ويسعدون لكون ذويهم في نعمه وسعاده، وأن ذويهم يعملون صالحاً، ولما كان الله تعالى لا يضيع أجر عامل (٤)، فإنه يجازى هؤلاء على أعمالهم وينزل عليهم بركاته والقتلى في سبيله يرون كل هذا.

ولهذه الآية، مضمون مشابه لما سلف:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (٥).

١- سورة آل عمران / ١٦٩ / ١٧١.

٢- سورة آل عمران / ١٧١.

٣- سورة آل عمران / ١٧٠.

٤- إشارته إلى قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ... آلايه) سورة آل عمران / ١٩٥.

٥- سورة التوبة / ١٠٥.

حديث الشيطان مع أتباعه في القبر

يقول الإمام الصادق عليه السلام كما ورد في الكافي حول حساب القبر، أن الميت إذا كان كافراً، يقول له الملكان: من هذا الذي معك، فيقول لا أدري، بعدها يتركة الملكان وحيداً مع الشيطان(١). وفي تفسير العياشي وردت هذه الرواية أيضاً(٢)، وهي مستوحاه(٣) من الآية الكريمة:

(وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَیْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (٤) و(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعِدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ) (٥).

والحقيقه الثابته هي أن عالم البرزخ(٦)، أوسع من عالم الدنيا بعده مرات،

١- أنظر، الكافي، الكليني: ٣/ ٢٣٨، كتاب الجنائز، باب المسأله في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل/ ذيل الحديث ١٠.

٢- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ٢ / ٢٢٥، تفسير سوره إبراهيم / ح ١٧.

٣- قال الأزهرى: وكذلك الإشاره والإيماء يسمى وحياً، والكتابه تسمى وحياً. لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٣٨١، ماده «وحى».

٤- سوره الزخرف / ٣٦.

٥- سوره الزخرف / ٣٨.

٦- قال الصادق عليه السلام: البرزخ: القبر، وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة. تفسير القمى، القمى: ١ / ١٩ / ٢٠، مقدمه المصنف. قال السبحانى: عالم البرزخ: إن هذا العالم وعاء للإنسان يعذب فيها من يعذب وينعم فيها من ينعم. فى ظلال التوحيد، السبحانى: ٥٣٢، المبحث السابع أسئله حول طلب الشفاعه. وقد مر بيان المعنى اللغوى والإصطلاح للبرزخ فى الفصل الثانى.

ذلك أن «المثال» (١) هو أوسع وأكبر من الجسم المادى. وعلى هذا فإن كل ما ورد فى الكتاب والسنة حول «البرزخ»، لم يكن أكثر من عموميات أوردت للمثال فقط، ولم تكن تفصيلاً وشرحاً كاملين للموضوع.

الموضوع الآخر الذى يجب إدراكه، هو أن الكثير من الأخبار والروايات، اعتبرت الأرض، مكاناً للجنة ونار البرزخ (٢)، وكذلك مكاناً للقاء الأموات مع

١- المثال: صورته الشىء الذى تمثل صفاته. المثال عند أفلاطون: صورته مجردة، وحقيقته معقوله، قائمه بذاتها، أزليه ثابتة، لا تتغير ولا تدرثر، ولا تفسد. المعجم الفلسفى، صليبا: ٢/ ٣٣٥، باب الميم، المثال. قال الشيخ البهائى: عليك أن تعلم أن البرزخ الذى تكون الأرواح فيه بعد المفارقة من النشأه الدنيويه هو غير البرزخ الذى بين الأرواح المجرده، والأجسام لأن مراتب تنزلات الوجود، ومعارجه دوريه. المرتبه التى قبل النشأه الدنيا هي من مراتب التنزلات، ولها الأوليه، والتى بعدها من مراتب المعارج ولها آخريه، وأيضاً الصور التى تلحق الأرواح فى البرزخ الأخير إنما هو صورته الأعمال، ونتيجته الأفعال السابقه فى النشأه الدنيويه بخلاف صورته البرزخ الأول، فيكون كل منهما غير الآخر، لكنهما يشتركان فى كونهما عالماً روحانياً، وجوهراً نورانياً غير مادى مشتملاً لمثال صور العالم. دائره المعارف الشيعيه العامه، الأعلمى: ٦/ ١٣٢، حرف الباء، البرزخ.

٢- قال القمى: سأل ملك الروم الإمام الحسن عليه السلام عن سبعة أشياء... ثم سأله: عن أرواح المؤمنين أين تكون إذا ماتوا قال: تجتمع عند صخره بيت المقدس فى كل ليله جمعه وهو عرش الله الأدنى منها بسط الله الأرض وإليها يطويها ومنها المحشر ومنها استوى ربنا إلى السماء أى استولى على السماء والملائك، ثم سأله عن أرواح الكفار أين تجتمع قال: تجتمع فى وادى حصرموت وراء مدينه اليمن ثم يبعث الله نارا من المشرق ونارا من المغرب ويتبعهما بريحين شديدتين فيحشر الناس عند صخره بيت المقدس فيحشر أهل الجنة عن يمين الصخره ويزلف الميعاد وتصير جهنم عن يسار الصخره فى تخوم الأرضين السابعه وفيها الفلق والسجين فتفرق الخلائق من عند الصخره فمن وجبت له الجنة دخلها ومن وجبت له النار دخلها. تفسير القمى، القمى: ٢/ ٢٧١ ٢٧٢، تفسير سوره الشورى، مسائل ملك الروم للحسن عليه السلام .

ذويهم (١)، وهذا الأمر، يفهم منه أن العلقه الماديه لعالم الأرواح (٢)، لا تنقطع بشكل كامل، وهذا هو الواقع.

وفي كثير من الأخبار ورد أن جنه البرزخ تقع في وادي السلام، وناره في «وادي برهوت» (٣).

١- أنظر: الكافي، الكليني: ٢٤٦/٣، ٢٤٧، باب جنه الدنيا.

٢- قال الرازي: عالم الأرواح: هو [عالم] يؤثر ويتأثر، لمؤثر الذي لا يتأثر وهو الإله تعالى وتقدس، والمتأثر الذي لا يؤثر وهو عالم الأجسام، فخاصيه جوهر الأرواح أنها تقبل الأثر والتصرف عن عالم نور جلال الله، ثم إنها إذا أقبلت على عالم الأجسام تصرف فيه وأثرت فيه، فتعلق الروح بعالم الأجسام بالتصرف والتدبير فيه، وتعلقه بعالم الإلهيات بالعلم والمعرفه. تفسير الرازي، الرازي: ٢١٧/١٨، تفسير سوره يوسف.

٣- سأل أبي عبد الله عليه السلام: أين وادي السلام؟ قال: بين وادي النجف والكوفه. إرشاد القلوب، الديلمي: ٢/ ٤٤١، فضل المشهد الغروي الشريف على مشرفه أفضل الصلاه والسلام وما لتربته والدفن فيها من المزيه والشرف. وقال الجزائري: جنه الدنيا، وادي السلام، ومحلها ظهر الكوفه بين النجف و كربلاء، وفيها أرواح المؤمنين في أجساد مثاليه يتنعمون بها حتى يوافوا جنه الخلد. قصص الأنبياء، الجزائري: ٢٥٨، الباب الثاني عشر في قصص موسى وهارون على نبينا وآله وعليهم السلام، الفصل الخامس في أحوال مؤمن آل فرعون وامرأه فرعون. قال الحموي: برهوت: بضم الهاء، وسكون الواو، وتاء فوقها نقطتان: وادي باليمن يوضع فيه أرواح الكفار. معجم البلدان، الحموي: ١/ ٤٠٥. قال الجزائري: وادي برهوت: وهو واد في حضرموت من بلاد اليمن الذي يعذب فيه أرواح الكفار في الدنيا. قصص الأنبياء، الجزائري: ٢٥٨، الباب الثاني عشر في قصص موسى وهارون على نبينا وآله وعليهم السلام، الفصل الخامس في أحوال مؤمن آل فرعون وامرأه فرعون.

أما مكان اجتماع الأرواح فهو عند قبه الصخره فى بيت المقدس (١).

وفى روايات أخرى، ورد أن الأئمه، شاهدوا أرواحاً فى أماكن مختلفه (٢)، وهذا

١- بيت المقدس: أو القدس: تقع بوسط فلسطين، فوق تل صخرى من التلال اليهوديه (على ارتفاع ٧٦٢ م). بيت المقدس: هو المدينه المقدسه لليهود وللمسيحيين والمسلمين، بها المسجد الأقصى، الحرم المقدس للمسلمين. سميت «صهيون» فى الكتاب المقدس. تضم المدينه القديمه معظم الأماكن المقدسه الخاصه بالأديان الثلاثه، ويزورها المسلمون للصلاه بالمسجد الأقصى وقبه الصخره. الموسوعه العربيه الميسره والموسعه، صلاواتى: ٢/ ١٠١٣ ١٠١٤، الباء، بيت المقدس.

٢- وردت فى هذا المعنى العديد من الروايات نذكر منها الآتى: عن أبى جعفر عليه السلام قال جاء ناس إلى الحسن بن على عليه السلام فقالوا أرنا بعض ما عندك من عجائب أبيك الذى كان يريها فقال أ تؤمنون بذلك قالوا نعم تؤمن به والله قال أليس تعرفون أمير المؤمنين قالوا بلى كلنا نعرفه قال فرجع لهم جانب الستر وقال: أتعرفون هذا الجالس قالوا بأجمعهم هذا والله أمير المؤمنين ونشهد أنك ابنه وأنه كان يرينا مثل ذلك كثيرا. الخرائج والجرائح، الراوندى: ٢/ ٨١٠، الباب السادس عشر فى نوادر المعجزات. دخل أبو بكر على على أمير المؤمنين عليه السلام: فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحدث إلينا فى أمرك شيئا بعد أيام الولاية بالغدیر وأنا أشهد أنك مولای مقرر لك بذلك وقد سلمت عليك على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإمره المؤمنين وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنك وصيه ووارثه وخليفته فى أهله ونسائه وأنك وارثه وميراثه صار إليك ولم يخبرنا أنك خليفته فى أمته من بعده ولا جرم لى فيما بينى وبينك ولا ذنب لنا فيما بيننا وبين الله فقال له على عليه السلام إن أريتك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يخبرك بأنى أولى بالأمر الذى أنت فيه منك وأنك إن لم تعتزل عنه فقد خالفت قال إن رأيت حتى يخبرنى ببعض هذا اكتفيت به قال: فنلتقى إذا صليت المغرب حتى أريكاه قال: فرجع إليه بعد المغرب فأخذ بيده فأخرجه إلى مسجد قبا فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس فى القبلة فقال له يا فلان وثبت على مولاك على وجلست مجلسه وهو مجلس النبوه لا يستحقه غيره لأنه وصيى ونبذت أمرى وخالفت ما قلت لك وتعرضت لسخط الله وسخطى فانزع هذا السربال الذى تسربلته بغير حق ولا أنت من أهله وإلا فمعدك النار قال فخرج مذعورا ليسلم الأمر إليه وانطلق أمير المؤمنين فحدث سلمان بما كان وخرج فقال له سلمان لبيدين هذا الحديث لصاحبه وليخبرنه بالخبر فضحك أمير المؤمنين وقال أما إنه سيخبره ويمنعه إن هم بأن يفعل ثم قال لا والله لا يذكران ذلك أبدا حتى يموتا قال: فلقى صاحبه فحدثه بالحديث كله وقال له ما أضعف رأيك وأخور قلبك أما تعلم أن ما أنت فيه الساعه من بعض سحر ابن أبى كبشه أنسيت سحر بنى هاشم فأقم على ما أنت عليه. الخرائج والجرائح، الراوندى: ٢/ ٨٠٧ ٨٠٨، الباب السادس عشر فى نوادر المعجزات. وأنظر: بحار الأنوار، المجلسى: ٤٣/ ٣٢٣ ٣٣٠، كتاب تاريخ فاطمه والحسن والحسين، أبواب تاريخ الإمامين، باب ١٥ معجزاته صلوات الله عليه.

الأمر تكرر مع الأولياء الصالحين في حالات عديدة(١)، وكل ذلك دليل على وجود نوع من علقه الروح(٢)، لأسباب ترتبط بقدسيه المكان أو الزمان أو الظروف المحيطة.

١- راجع ما ورد عن رؤيه الأولياء الصالحين والعلماء للأرواح المصادره التاليه: العلماء في عالم الرؤيا ومنامات العلماء والصالحين لمؤلفها فارس فقيه.

٢- علقت به علقا: لزمته. لسان العرب، ابن منظور: ١٠/٢٦٧، ماده «علق». الرابطة: العلقه والوصله. تاج العروس، الزبيدي: ١٤٢/٥.

ص: ١٥٥

الفصل الثالث: النفخ في الصور

اشاره

النفخ في الصور

إشارة

يقول الباري عز وجل:

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) (١) و(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي مَقَامٍ يَنْظُرُونَ) (٢).

نفهم من الآيتين الكريمتين أن هناك نفختين: الأولى، للإماتة، والثانية للإحياء (٣)، ولم يأت في الآيات الواردة في هذا الشأن ما يمكننا من تفسير «الصور»

١- سورة النمل / ٨٧.

٢- سورة الزمر / ٦٨.

٣- عن ثوير بن أبي فاخته عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سئل عن النفختين كم بينهما قال: ما شاء الله، فقليل له: فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه، فقال: أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه صور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض قال فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال فيهبط إسرافيل بحظيره بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رآه أهل الأرض قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله، قال: فيقول الله لإسرافيل يا إسرافيل مت فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثم يأمر الله السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله: (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) سورة الطور / ٩١٠، يعني تبسط وتبدل الأرض غير الأرض، يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب، بارزه ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مره، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مره مستقلا بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادى الجبار جل جلاله بصوت من قبله جهورى يسمع أقطار السماوات والأرضين (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) سورة غافر / ١٦، فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار مجيبا لنفسه (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) سورة غافر / ١٦، وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير لي وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشيتي وأنا أحييهم بقدرتي، قال: فينفخ الجبار نفخة في الصور فيخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات أحد إلا حيي وقام كما كان ويعود حملة العرش وتحضر الجنة والنار وتحشر الخلائق للحساب، قال: فرأيت علي بن الحسين عليهما السلام يبكي عند ذلك بكاء شديدا. تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٥٢ ٢٥٣، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور.

لفظياً، أما معناها اللغوى فهو البوق الذى ينفخ فيه فيعطى صوتاً عالياً (١).

١- قال الإمام على بن الحسين عليهما السلام فى وصف الصور: للصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض. تفسير القمى، القمى: ٢/ ٢٥٢، تفسير سوره الزمر، كيفية نفخ الصور. فى مجموعته أبى ورام: قيل الصور: هو القرن، وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئته البوق ودائره رأس القرن كعرض السماوات والأرض. مجموعته ورام، ورام ابن أبى فراس: ١/ ٢٩٢، نفخه الصور. قال الطوسى: الصور: قرن ينفخ فيه لاجتماع الصوره به. التبيان، الطوسى: ٢/ ٣٢٩، تفسير سوره البقره.

بالنسبة للنفخه الأولى، فإنها وردت في آيتين في سورتي النمل(١) والزمر(٢) السالفتي الذكر فقط، لكن القرآن الكريم عبر عنها في أماكن مختلفه ب«الصيحه» و«الصاخه» وهى الصيحه القويه(٣) و«النقر»(٤):

(إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) (٥). (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ) (٦) (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) (٧) (فَإِذَا نُفِرَ فِي النُّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩)

١- سورة النمل / ٨٧.

٢- سورة الزمر / ٦٨.

٣- قال ابن سيده: الصاخه صيحه تصخ الآذان، أى: تطعنها فتصمها لشدها، ومنه سميت القيامة. لسان العرب، ابن منظور: ٣ / ٣٣، ماده «صخخ».

٤- قال الطريحي: فى حديث أهل البيت عليهم السلام من جملة علومهم: «نقر فى القلوب ونقر فى الأسماع» أما النكت فى القلوب فالهام وأما النقر فى الأسماع فأمر الملك. مجمع البحرين، الطريحي: ٤/٣٦٨، ماده «نكت».

٥- سورة يس / ٥٣.

٦- سورة النازعات / ١٣ ١٤.

٧- سورة عبس / ٣٣ ٣٤.

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١).

(وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ) (٢).

من هنا يمكن إدراك أن المعنى بـ«الصور» فى النفختين؛ هو البوق الذى كان يستخدم فى إعطاء الأوامر للجند، للاستعداد للحرب ثم خوضها (٣).

ففى الأولى، ينفخ فى «الصور» أن اصمتوا! و«استعدوا للتحرك» ثم ينفخ ثانية أن «أنهضوا» و«ابدأوا الهجوم».

إذن فالصور، حقيقة واقعه، تشهد صيحتان الصيحة المميته، والصيحة التى تحيى ثانية (٤)(٥).

١- سورة المدثر / ٨ ١٠.

٢- سورة ق / ٤١ ٤٢.

٣- قال الطباطبائى: النفخ فى الصور: كناية عن إعلام الجماعه الكثيرين كالعسكر بما يجب عليهم أن يعملوا به جمعا كالحضور والارتحال وغير ذلك. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٥ / ٣٩٩، تفسير سورة النمل.

٤- أنظر: تفسير القمى، القمى: ٢ / ٢٥٢ ٢٥٣، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور.

٥- قال الطباطبائى: ظاهر ما ورد فى كلامه تعالى فى معنى نفخ الصور أن النفخ نفختان نفخه للإماتة ونفخه للإحياء. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٧ / ٢٩٣، تفسير سورة الزمر.

ورغم أن القرآن الكريم لم يقدم تفسيراً كاملاً لكلمه «الصيحة» (١) لكنه استخدمها في أكثر من ثمانية عشر حالة (٢).

١- قال القمى فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) سورة ق/٤٢، صيحه القائم من السماء. تفسير القمى، القمى: ٣٢٧/٢، تفسير سورة ق، درجه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلام فى المحشر. قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ) سورة المؤمنون / ٤١، الصيحة: الصوت الشديد الذى يفزع منها. التبيان، الطوسى: ٣٦٩ / ٧، تفسير سورة المؤمنون. الصيحة: العذاب. الصيحة: الغارة إذا فوجئ الحى بها. لسان العرب، ابن منظور: ٥٢١ / ٢، ماده «صيح».

٢- إن آيات الصيحة التى وردت فى القرآن عددها ١٣، وكما يأتى: سورة هود / ٦٧، ونصها: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ). سورة هود / ٩٤، ونصها: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ). سورة الحجر / ٧٣، ونصها: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ). سورة الحجر / ٨٣، ونصها: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ). سورة المؤمنون / ٤١، ونصها: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). سورة العنكبوت / ٤٠، ونصها: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). سورة يس / ٢٩، ونصها: (إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) . سورة يس / ٤٩، ونصها: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ). سورة يس / ٥٣، ونصها: (إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَمْدِينًا مُحْضَرُونَ). سورة ص / ١٥، ونصها: (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ). سورة ق / ٤٢، ونصها: (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ). سورة القمر / ٣١، ونصها: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ). سورة المنافقون / ٤، ونصها: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمِعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِنَّ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذِرْهُمْ فَآتَلَّهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ).

ولامناص(١) من اتخاذ معناها الحقيقي المعروف. كما أن البارى عز وجل عبر عنها أحياناً ب«النداء»(٢)، وهو ما لا يكون بدون معنى محدد(٣).

١- المناص: المهرب. المناص: الملجأ والمفر. لسان العرب، ابن منظور: ٧ / ١٠٢، ماده «نوص».

٢- سورة ق / ٤١، ونصها: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ).

٣- قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) سورة ق / ٤١، هو نداء البعث وكلمه الحياه. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٨ / ٣٦٠ / ٣٦١، تفسير سورة ق. قال الشوكانى: وفى تفسير قوله تعالى: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) سورة ق / ٤١، قيل: استمع النداء أو الصوت أو الصيحه: وهى صيحه القيامه، أعنى النفخه الثانيه فى الصور من إسرافيل. فتح القدير، الشوكانى: ٥ / ٨١، تفسير سورة ق.

وحيث أن البارى عز وجل يتحدث عن سماع الناس للصيحه، وبما أن «السمع» يقوم به الأحياء فقط. وأن الله يخبرنا عن صعق (١) هؤلاء، فإننا ندرك أن المقصود بحياء هؤلاء هي مجرد سماع الصيحه، ولما كان من غير المنطقى القول بسماع الصيحه التى تبعث فيهم الحياه، بعد القول أنهم أحياء، إذن، فإن المقصود هو أن الصيحه أو النفخه ليست أكثر من كلمه إلهيه تميت الناس ثم تحيهم، فالله تعالى يقول:

(هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٢).

وعلى هذا فإن النفختين المذكورتين، هما كلمتان إلهيتان، الأولى تميت، والثانيه تحيى. والأمر الجدير بالملاحظه هو أن البارى عز وجل عبر عن الإمامته بكلمه «صعق» وليس «الموت»، ربما لأن الموت، لفظه تطلق على خروج الروح من البدن، بينما حكم النفخ، يشمل كل الموجودات فى السموات والأرض، بما فى ذلك الملائكه والأرواح (٣)، وفى قوله تعالى:

١- الصعق: المغشى عليه. صعق صعقا: غشى عليه من صوت يسمعه أو حس أو نحوه. وصعق صعقا: مات. كتاب العين، الفراهيدى: ١/ ١٢٩، ماده «صعق».

٢- سوره غافر / ٦٨.

٣- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (فَصَيِّعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) سوره الزمر/ ٦٨، قيل معناه: يموت من شده تلك الصيحه التى تخرج من الصور جميع من فى السموات والأرض. التبيان، الطوسى: ٩/ ٤٦، تفسير سوره الزمر.

(لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) (١) الذى يصف فيه أصل الجنة، إشاره إلى هذا الأمر. وفي مكان آخر وصف البارى عز وجل الصعقه ب«الموت»، وذلك فى الآيه الكريمة:

(رَبَّنَا أَمَنَّا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) (٢) مع التأكيد بأن «مرتين» لا يقصد منها التكرار.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (٣)، وهذا يعنى أن حكم البرزخ يشمل الجميع، وبناء على هذا، فإن المقصود ب«من فى الأرض» (٤) الذين يشملهم «الفرع» (٥) و«الصعقه» (٦)، ليس الذين هم على قيد الحياه على الأرض (٧) بل

١- سورة الدخان / ٥٦.

٢- سورة غافر / ١١.

٣- سورة المؤمنون / ١٠٠.

٤- سورة النمل / ٨٧.

٥- الفرع: الذعر. الصحاح، الجوهري: ٣ / ١٢٥٨، ماده «فرع».

٦- صعق الرجل كسمع صعقا بالفتح، ويحرك وصعقه وتصعاقا بفتحهما، فهو صعق ككتف: إذا غشى عليه وذهب عقله من صوت يسمعه. تاج العروس، الزبيدى: ٤٠٨/٦.

٧- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) سورة الزمر / ٦٨، أنه يصعق فيه جميع من فى الدنيا من الأحياء ومن فى البرزخ من الأموات وهؤلاء وإن لم يكونوا فى الدنيا فى البرزخ. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٢٣ / ١٩، تفسير سورة الطور.

المقصود به أولئك الذين قال الله تعالى عنهم

(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَمَّا تَعْلَمُونَ (١) (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢).

(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٣).

إذن فهؤلاء أهل الأرض، حتى لو كانوا في عالم البرزخ.

أما المقصود ب«من في السماء» (٤) فهم الملائكة وأرواح السعداء (٥).

١- سورة الروم / ٥٥ ٥٦.

٢- سورة المؤمنون / ١١٢ ١١٤.

٣- سورة الأعراف / ٤٠.

٤- سورة الملك / ١٦.

٥- قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: (أَأَمَّنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ) سورة الملك / ١٦، يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم. التفسير الأصفي، الفيض الكاشاني: ٢ / ١٣٣٠، تفسير سورة الملك. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (أَأَمَّنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ) سورة الملك / ١٦، المراد بمن في السماء: الملائكة المقيمون فيها الموكلون على حوادث الكون. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٩ / ٣٥٨، تفسير سورة الملك.

فالله تعالى يقول:

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (١) و(لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ) (٢) و(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ) (٣) و(وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) (٤) و(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) (٥) و(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) (٦)، (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) (٧) وآيات أخرى كثيرة (٨).

١- سورة الذاريات / ٢٢.

٢- سورة سبأ / ٣٠.

٣- سورة إبراهيم / ٢٣.

٤- سورة الأنعام / ٢.

٥- سورة فاطر / ١٠.

٦- سورة المجادلة / ١١.

٧- سورة المعارج / ٤.

٨- هذه نبذة مما ورد من آيات القرآن الكريم في هذا الشأن: سورة العنكبوت / ٢٢، ونصها: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ). سورة الشعراء / ٢٠٦، ونصها: (ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ). سورة الزمر / ٧٥، ونصها: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). سورة شورى / ٥، ونصها: (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).

إذن فإن الآيات الداله على وقوع الصيحه على أهل الأرض، تدل كلها على أنها تؤدي إلى انقلاب الأرض ودمارها على أهلها(١).

كما يتضح من الآيه:

(مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) (٢)، و(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) (٣).

خلاصه الأمر، أن الصيحه الأولى تطلق، فتقلب الدنيا بمن فيها، ويفنى أهلها، ثم ينفخ فى الصور، فيموت جميع من فى عالم البرزخ، ثم ينفخ ثانية،

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى: (وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) سورة ص / ١٥، فيسير الله الجبال فتكون سرايا، وترج الأرض بأهلها رجا، وهى التى يقول الله: (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) سورة النازعات/ ٤٦، فتكون الأرض كالسفينه الموبقه فى البحر تضربها الأمواج تكفا بأهلها. جامع البيان، ابن جرير الطبرى: ١٧/ ١٤٦، تفسير سورة الحج.

٢- سورة يس / ٤٩ / ٥٠.

٣- سورة الرحمن / ٢٦.

فيعث الناس جميعاً وتقوم القيامة(١).

وهناك نقطة مهمه وهى أن الآيتين الكريمتين (مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسِيٍّ) (٢) و(وَأَجَلٌ مُّسِيٍّ عِنْدَهُ) (٣) قد قرنتا موت كل الموجودات الحيه، بالأجل المحدد، وهذا يعنى أنه لا- يمكن لأى موت أن يقع بشكل اعتباطى(٤)، إنما بأجل مكتوب.

وهذا ينطبق على الصحيحه والنفخ أيضاً إذ لا يمكن أن يؤديا إلى الموت إلا بأجل معلوم(٥).

١- مر تبيان ذلك فى بدايه الفصل الثالث النفخ فى الصور.

٢- سورة الروم / ٨.

٣- سورة الأنعام / ٢.

٤- اعتبط فلان: مات فجأه من غير عله ولا مرض. كتاب العين، الفراهيدى: ٢ / ٢٠، ماده «عبط». قال الطريحي: يقال لكل من مات من غير عله: اعتبط. مجمع البحرين، الطريحي: ٣ / ١١٣، ماده «عبط».

٥- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / ٤٢، أى: يقبضها إليه وقت موتها، وانقضاء آجالها. مجمع البيان، الطبرسى: ٨ / ٤٠٣، تفسير سورة الزمر. قال الشوكانى فى تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) سورة الزمر / ٤٢، أى: يقبضها عند حضور آجالها ويخرجها من الأبدان. فتح القدير، الشوكانى: ٤ / ٤٦٥، تفسير سورة الزمر.

الذين يستنون من حكم النفخ في الصور

وأما فيما يتعلق بعبارته (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) (١) الواردة في آيتي النفخ (٢)، فإنها تدل على استثناء البعض من حكم النفخ في الصور (٣)، وهو ما يتضح من الآية

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) (٤).

١- سورة النمل / ٨٧.

٢- سورة النمل / ٨٧، ونصها: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ).
سورة الزمر / ٦٨، ونصها: (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ).

٣- قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) سورة النمل / ٨٧، إن الشهداء من جملة الخلق الذين لا يفزعون ذلك اليوم. وقيل في تفسير قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) سورة النمل / ٨٧، يعني من الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم. وقيل: اسرافيل. التبيان، الطوسي: ٨ / ١٢٣ ١٢٤، تفسير سورة النمل. عن أنس بن مالك قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) سورة الزمر / ٦٨، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين استثني الله عز وجل قال: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك... الحديث. أعلام الدين، الديلمي: ٣٥٣، باب عدد أسماء الله تعالى وهي تسع وتسعون، الحديث الثامن.

٤- سورة النمل / ٨٧.

لكن ما طبيعه هذا الاستثناء وما أسبابه؟.

الآيه التاليه تجيب على السؤال:

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (١).

أن المقصود بالحسنه المقرونه بكلمه «أمن» والمضاده في معناها ل«السيئه». هي الحسنه المطلقه (٢)، وليست المشوبه بالسيئه، ولهذا لو كانت أعمال إنسان ما، خليط من الحسنات والسيئات، لما كان آمناً من الفزع يوم ينفخ في الصور، بسبب وجود السيئات في أعماله، والإنسان الوحيد الذي يكون آمناً من الفزع، هو صاحب الحسنات الخالصه الخاليه من أيه سيئه.

وأحياناً يطلق الله تعالى على السيئات اسم «الخبائث» (٣)، فهو القائل (وَيَجْعَلِ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ) (٤).

وكذلك (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) (٥).

١- سوره النمل / ٨٩ / ٩٠.

٢- أنظر: تفسير روح المعاني، الآلوسی: ٧٦ / ٦، تفسير سوره النمل.

٣- الخبائث: يريد بها الأفعال المذمومه والخصال الرديئه. لسان العرب، ابن منظور: ١٤٢ / ٢، ماده «خبث».

٤- سوره الأنفال / ٣٧.

٥- سوره النور / ٢٦.

كما إنه اعتبر الكفر والنفاق في خانه النجاسه والرجس(١) فقال عز وجل

(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (٢). و(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) (٣)، بل إنه اعتبر بعض درجات الإيمان، من الشرك(٤) حينما يقول:

١- الرجس: الشيء القذر. ترتيب إصلاح المنطق، ابن سكيت: ١٧١، ماده «رجس». الرجس: القذر، وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح، والعذاب، واللعنه، والكفر. النهايه فى غريب الحديث، ابن الأثير: ٢ / ٢٠٠. قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) سورة التوبه / ١٢٥، أى: نفاقا وكفرا إلى نفاقهم، وكفرهم، لأنهم يشكون فى هذه السوره، كما شكوا فيما تقدمها من السور، فذلك هو الزياده. وسمى الكفر رجسا على وجه الظم له، وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الأرجاس، وأضاف الزياده إلى السوره، لأنهم يزدادون عندها رجسا. مجمع البيان فى تفسير القرآن، الطبرسى: ١٤٦ / ٥، تفسير سوره التوبه.

٢- سوره التوبه / ١٢٥.

٣- سوره التوبه / ٢٨.

٤- عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله تبارك وتعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) سوره يوسف / ١٠٦، قال: شرك طاعه وليس شرك عباده، والمعاصى التى يرتكبون شرك طاعه أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله فى الطاعه لغيره وليس بإشراك عباده أن يعبدوا غير الله. تفسير القمى، القمى: ١ / ٣٥٨، تفسير سوره التوبه، رد شباب زليخا. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) سوره يوسف / ١٠٦، المراد بالشرك فى الآيه بعض مراتبه الذى يجامع بعض مراتب الإيمان وهو المسمى باصطلاح فن الأخلاق بالشرك الخفى. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١١ / ٢٧٥، ٢٧٦، تفسير سوره يوسف.

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (١).

إذن، فالذى نفسه طاهره من الشرك، هو ذلك الذى لا-يؤمن بغير الله، ولا- تطمئن نفسه إلى غيره، فلا- يرى لله شريكاً لا- فى وجوده، ولا فى صفاته ولا فى أفعاله. هذا هو المقصود بالولاية (٢).

١- سورة يوسف / ١٠٦.

٢- قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة يونس / ١٠، أول ما يكرم به الله سبحانه أوليائه وهم الذين ليس فى قلوبهم إلا الله ولا مدبر لأمرهم غيره أنه يظهر قلوبهم عن محبه غيره فلا يحبون إلا الله فلا يتعلقون بشيء إلا الله وفى الله سبحانه، فهم ينزهونه عن كل شريك يجذب قلوبهم إلى نفسه عن ذكر الله سبحانه، وعن أى شاغل يشغلهم عن ربهم. وهذا تنزيه منهم لربهم عن كل ما لا يليق بساحه قدسه من شريك فى الاسم أو فى المعنى أو نقص أو عدم، وتسبيح منهم له لا فى القول واللفظ فقط بل قولاً وفعلاً ولساناً وجناناً. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٠ / ١٧، تفسير سورة يونس. وقال أيضاً فى كتابنا هذا فى الفصل الثالث ضمن بحث «الذين يستثنون من حكم النفخ فى الصور»، الولاية: الذى نفسه طاهره من الشرك، وذلك الذى لا يأمن بغير الله ولا تطمئن نفسه الى غيره، فلا- يرى لله شريكاً لا- فى وجوده، ولا- فى صفاته ولا فى أفعاله. وقال أيضاً فى كتابنا هذا فى الفصل الثالث ضمن بحث «الذين يستثنون من حكم النفخ فى الصور»، العباد المخلصين: هم الذين لم تتلوث قلوبهم ونفوسهم بالشرك وهم يرون الله وحده فى كل شيء ولا يملكون من أمر نفعهم أو ضرهم أو حياتهم أو مماتهم شيئاً.

وهؤلاء هم الذين تقول عنهم الآية الكريمة:

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) (١).

لأنهم طهروا أنفسهم بالولاية (٢) (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) (٣)، والمقصود بالسلام هنا، هو الأمن (٤) الذي مضى كحديث عنه.

١- سورة النحل / ٣٢.

٢- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) سورة النحل / ٣٢، أى: طيبى الأعمال، طاهرى القلوب من دنس الشرك. مجمع البيان، الطبرسى: ١٥٣ / ٦، تفسير سورة النحل. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) سورة النحل / ٣٢، المراد بكون المتقين طيبين فى حال توفيتهم خلوصهم من خبث الظلم. يكون معنى الآية: ان المتقين هم الذين تتوفاهم الملائكة متعدين عن خبث الظلم الشرك والمعاصى. فالآية تصف المتقين بالتخلص عن التلبس بالظلم. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٢ / ٢٣٦، تفسير سورة النحل.

٣- سورة النحل / ٣٢.

٤- قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) سورة النحل / ٣٢، يحتمل أن يكون تبشيرا لهم بالجنة، لان السلام أمان. تفسير القرطبى، القرطبى: ١٠ / ١٠١، تفسير سورة النحل.

على هذا، يظهر لنا أن «الحسنه» هي الولاية (١) والآيه التاليه تشير إلى ذلك (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (٢).

وفي تفسير القمي (٣) للآيه الكريمة (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) (٤) ورد عن أحد الأئمه قوله: والله إن الحسنه هي الولاية بعينها وأن السيئه هي إبتاع أعداء الله (٥). وفي الكافي ورد عن الإمام الصادق، نقلاً عن الإمام علي عليه السلام أن الحسنه

١- عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) سورة الشورى / ٢٣، قال: من تولى الأوصياء من آل محمد واتبع آثارهم فذلك يزيد له ولايه معي من النبيين والمؤمنين الأولين. تفسير نور الثقلين، الحويزي: ١٤ / ٣٤٢.

٢- سورة الشورى / ٢٣.

٣- علي بن ابراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي: ثقه في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر وأكثر، وصنف كتباً وأضر في وسط عمره. وله كتاب التفسير، كتاب الناسخ والمنسوخ... إلى آخره. رجال النجاشي، النجاشي: ٢٦٠ / الرقم ٦٨٠ على بن ابراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي.

٤- سورة النمل / ٨٩.

٥- قال القمي في تفسير قوله تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) سورة النمل / ٨٩، وقوله (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) سورة النمل / ٩٠، الحسنه والله ولايه أمير المؤمنين عليه السلام والسيئه والله عداوته. تفسير القمي، القمي: ٢ / ١٣١، تفسير سورة النمل.

هى معرفه الولايه وحبنا نحن أهل البيت وأن السيئه هى إنكار الولايه وبغض أهل البيت (١)، ثم تلا الآية (٢) التى مر ذكرها.

مما تقدم يمكن أن ندرك معنى الآية الكريمة (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (٣) إذ يبدو من ظاهر الآية، أن الذين تصيبهم الصعقه فى النفخه الأولى هم أنفسهم الذين يشملهم «القيام» (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (٤)(٥)، بدليل الآية الكريمة: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ) (٦)،

١- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدْلِيَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرْعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبُتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَيْلٌ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) سورة النمل / ٨٩، ٩٠، قَالَ: بَلَىٰ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُعِلَتْ فِتْدَاكَ فَقَالَ: الْحَسَنَةُ مَعْرِفَةُ الْوَلَايَةِ وَحُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَالسَّيِّئَةُ انْكَارُ الْوَلَايَةِ وَبُغْضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ. الكافى، الكلينى: ١/ ١٨٥، كتاب الحججه، باب معرفه الإمام والرد عليه / ح ١٤.

٢- سورة النمل / ٨٩.

٣- سورة الزمر / ٦٨.

٤- سورة المطففين / ٦.

٥- أنظر: تفسير القمى، القمى: ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور. قال الطباطبائى: يصعق فيه جميع من فى الدنيا من الأحياء ومن فى البرزخ من الأموات وهؤلاء إن لم يكونوا فى الدنيا ففى البرزخ. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٩/ ٢٣، تفسير سورة الطور.

٦- سورة يس / ٥٣.

لكن الله تعالى يستثنى من هؤلاء المحضرين، عباده المخلصين، عندما يقول عز وجل:

(فَأِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (١).

ثم يصف هؤلاء العباد المخلصين، بما جاء على لسان إبليس (٢):

(فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (٣).

وهكذا فإن الله تعالى يؤكد لنا، أن الشيطان لا يجد طريقاً إلى هؤلاء العباد، فلا يتمكن من إغوائهم. وهذا الإغواء، جاء بشكل «وعد» من الشيطان (٤):

١- سورة الصافات / ١٢٧ ١٢٨.

٢- أبلس من رحمه الله، أى: يئس وندم. ومنه سمي إبليس، وكان إسمه عزازيل. لسان العرب، ابن منظور: ٢٩ / ٦، مادة «بلس». عن ابن عباس وقتاده وابن جرير والزجاج وابن الانباري: كان إبليس من الملائكة من طائفه يقال لهم الجن، وكان اسمه بالعبرانية عزازيل. وبالعربية الحارث، وكان رئيس ملائكة الدنيا وسلطانها وسلطان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرها علما، وكان يوسوس بين السماء والأرض، فيرى بذلك لنفسه شرفا عظيما وعظما، فذلك الذى دعاه إلى الكبر فعصى وكفر، فمسخه الله شيطانا رجيمًا ملعونا. كنيه إبليس أبو مره. مجمع البحرين، الطريحي: ١ / ٢٣٩ ٢٤٠، مادة «بلس».

٣- سورة ص / ٨٢ ٨٣.

٤- قال الطوسى: ثم استثنى من جملة من يغويهم «عباد الله المخلصين»، مع حرصه على إغواء الجميع من حيث أنه يئس منهم من حيث علم انهم لا يقبلون منه ولا ينقادون لإغوائه، وانه ليس له عليهم سلطان إلا بالإغواء، فإذا علم أن منهم من لا يقبل منه عرف ذلك عنه ليأسه منه. التبيان فى تفسير القرآن، الطوسى: ٨ / ٥٨٤ ٥٨٥، تفسير سورة ص.

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَيْدُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) إلى أن يقول: (تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١).

وهنا نلاحظ أن الشيطان يرجع لوم أتباعه عليهم، لأن ذنوبهم تعود إلى شركهم بالله، فظلموا أنفسهم وإن الله أعد للظالمين عذاباً أليماً (٢) (٣).

١- سورة إبراهيم / ٢٢.

٢- إشاره إلى قوله تعالى في سورة الإنسان / الآية ٣١: (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

٣- قال الطوسي: حكاية عن قول الشيطان لأوليائه انه يقول لهم: (إِنِّي كَفَرْتُ) سورة إبراهيم / ٢٢، بشر ككم بالله ومتابعتم لي قبل هذا اليوم. التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦ / ٢٩٠، تفسير سورة إبراهيم. قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) سورة إبراهيم / ٢٢، أي: كفرت الآن بما كان من إشراككم إياي مع الله في الطاعة، أي: جحدت أن أكون شريكا لله تعالى فيما أشركتموني فيه من قبل هذا اليوم. مجمع البيان، الطبرسي: ٦ / ٧٢، تفسير سورة إبراهيم. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) سورة إبراهيم / ٢٢، أي: إذا لم يكن لي عليكم سلطان بوجه من الوجوه كما يدل عليه وقوع النكراه في سياق النفي، والتأكيد بمن في قوله: (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) سورة إبراهيم / ٢٢، فلا يعود إلى شيء من اللوم العائد إليكم من جهة الشرك والمعصية فلا- يحق لكم أن تلوموني بل الواجب عليكم أن تلوموا أنفسكم لأن لكم السلطان على عملكم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢ / ٤٨، تفسير سورة إبراهيم.

إذن فالعباد المخلصين هم الذين لم تتلوث (١) قلوبهم ونفوسهم بالشرك، وهم يرون الله وحده في كل شيء ولا يملكون من أمر نفعهم أو ضرهم أو حياتهم أو مماتهم شيئاً، وهذه هي الولاية (٢).

هؤلاء العباد المخلصين، هم أولياء الله، وهم مستثنون من حكم الصعقه والفزع. ففي حين يموت كل من في الأرض والسماء بنفخه في الصور، يواصل هؤلاء حياتهم. يقول تعالى:

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ) (٣) و(وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) (٤).

وهذا يعني أن السماوات بمن فيها، سيحلّ أجلها وستطوى (٥). ومن هنا

١- التلوث: التلطيخ، يقال لآثه في التراب ولوثة. لسان العرب، ابن منظور: ٢ / ١٨٥، مادة «لوث».

٢- تقدم بيان ذلك في بدايه الفصل الثالث، الذين يستثنون من حكم النفخ في الصور.

٣- سورة الأنبياء / ١٠٤.

٤- سورة الزمر / ٦٧.

٥- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ) سورة الأنبياء / ١٠٤، المراد بالطي هنا: هو الطي المعروف، وأن الله سبحانه يطوي السماء بقدرته. وقيل: إن طي السماء ذهابها عن الحس. مجمع البيان، الطبرسي: ٧ / ١١٩، تفسير سورة الأنبياء. وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ) سورة الأنبياء / ١٠٤، أي: نطويها فنعيدها إلى الهلاك والفناء فلا تكون شيئاً. تفسير القرطبي، القرطبي: ١١ / ٣٤٨، تفسير سورة الأنبياء.

ندرك أن الذين تستثيهم الصعقه والفرع، هم ليسوا في السماء، بل هم في ما وراء السماوات والأرض مما يعنى أنهم معنيون بالآيه (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (١) أى أنهم من ال «وجه»، وعندما تقول الآيه (فَأَيْنَمَا تُولُو فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) (٢) فإن العباد المخلصين «أولياء الله» سيحيطون بالعالم أيضاً، وسيرون كل شيء، من خلال إحاطه «وجه الله» به.

وفي آيه أخرى، وبعد أن يبين الله تعالى أن أهل الجنة في السماء (٣)، وأهل النار في النار، يأتي إلى توضيحه بشكل آخر فيقول:

(وَيَبْنِيهِمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ) (٤) وسيأتي تفصيل ذلك في مكان آخر (٥).

إذن يتضح لنا أن العباد المخلصين سيكونون في مأمن من الشدائد والأحوال التي تقع بين النفختين (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَهُ وَاحِدَةً (١٣) وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا

١- سورة القصص / ٨٨.

٢- سورة البقره / ١١٥.

٣- في التبيان: قال أبو على: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة، لأن الجنة في السماء. التبيان، الطوسى: ٤ / ٤٠٠، تفسير سورة الأعراف.

٤- سورة الأعراف / ٤٦.

٥- أنظر: الفصل الرابع، يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا.

دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١).

والدك (٢)، بمعنى التدمير، فعندما تقول دككت الشيء يعني أنك دمرتة وسويتة مع الأرض (٣).

يقول الباري تعالى:

(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) (٤). و(يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً) (٥) و(إِنَّ زُلْزَلَهُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرْوَنَهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) (٦) و(وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) (٧) و(وَتَكُونُ الْجِبَالُ

١- سورة الحاقة / ١٣ ١٥.

٢- الدك: الدق. وقد دككت الشيء أدكه دكا: إذا ضربته وكسرتة حتى سويتة بالأرض. الصحاح، الجوهري: ٤ / ١٥٨٣، مادة «دكك».

٣- في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) سورة الفجر/٢١، أي: كسر كل شيء على ظهرها من جبل، أو بناء، أو شجر، حتى زلزلت، فلم يبق عليها شيء. عن ابن عباس: دقت جبالها وأنشازها حتى استوت. مجمع البيان، الطبرسي: ١٠ / ٣٥٣، تفسير سورة الفجر.

٤- سورة النازعات / ٦ ٧.

٥- سورة المزمل / ١٤.

٦- سورة الحج / ١ ٢.

٧- سورة التكوير / ٣.

كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ (١) و(فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) (٢) و(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (٣) و(وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) (٤) و(وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) (٥) و(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) (٦).

إن ظاهر هذه الآيات يشير بشكل كبير إلى مقدمات «الساعة» و«القيامة»، وخراب الدنيا، وهلاك أهلها (٧).

١- سورة القارعه / ٥.

٢- سورة القيامة / ٩٧.

٣- سورة التكوير / ١.

٤- سورة الإنفطار / ٢.

٥- سورة التكوير / ٤.

٦- سورة التكوير / ٦.

٧- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنَ فِي الْأَرْضِ) سورة الزمر / ٦٨، وما في معناه من الآيات الداله على خراب الدنيا، بتبدل الأرض والسماوات وانتشار الكواكب وغير ذلك. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/١٩٦، تفسير سورة النازعات.

الآخرة بعد الدنيا

النقطة التي يجب الانتباه لها، هي أن حقيقته «فناء الدنيا قبل قيام الساعة»^(١)، يثبت لنا حقيقته أخرى، وهي أن القيامة. تأتي بعد الدنيا، كما هو الموت، الذي يثبت لنا بأن البرزخ يأتي بعد الدنيا، ولولا ذلك، لكننا اعتمدنا قاعده «إحاطه عالم المثال^(٢)، بالعالم المادي^(٣) أي الدنيا» لنقول أن «البعث والنشور» محيط بالدنيا والبرزخ أيضاً. وحتى، لو غرضنا الطرف عن قضيه الإحاطه، فإن انقلاب الزمان، وفناء الأشياء، والحركات في الفتره الفاصله بين النشأتين^(٤)، يوجب بطلان نسبه الزمان وانتفاء موضوع «بعد» و«قبل» الزمانيتين.

١- تقدم بيان خراب الدنيا وفنائها في الفصل الثالث، الذين يستنون من حكم النفخ في الصور.

٢- مر تعريف اصطلاح عالم المثال في الفصل الثاني، البرزخ.

٣- قال الطباطبائي: العالم المادي: وهو العالم المشهود، أنزل مراتب الوجود وأخسها، ويتميز من غيره بتعلق الصور الموجوده فيه بالماده وارتباطها بالقوه والاستعداد. هذا العالم، بما بين أجزاءه من الارتباط الوجودي، واحد سيال في ذاته متحرك بجوهره.

بدايه الحكمه، الطباطبائي: ٢٢١، المرحله الثانيه عشر فيما يتعلق بالواجب تعالى، الفصل الرابع عشر في العالم المادي.

٤- قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له: وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى وَعَجِبْتُ لِغَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ. نهج البلاغه، الشريف الرضى: ٤٩١، حكم أمير المؤمنين / الرقم ١٢٦. قال الراغب الأصفهاني: يعبر بالدار الآخرة عن النشأه الثانيه، كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأه الأولى. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١٣. الدنيا هي النشأه الأولى. والآخرة النشأه الأخرى، وسميت الدنيا دنيا لدنوها. التبيان، الشيخ الطوسي: ٤/٤١٧.

الآيات الداله على أحوال القيامه

هناك آيات تشبه في سياقها العام، الآيات التي أسلفنا الحديث عنها، لكنها تشير إلى مضامينها بشكل مختلف. مثلاً (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) (١) إذ يتضح منها أن حركة الجبال وتبعثرها كالحجر والحصى، ثم تناثرها كالقطن المندوف (٢)، لا يعنى أنها تصبح سراباً (٣) أبداً، كما يقول الله تعالى:

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (٤).

فالرؤية، «وترى»، أما أن تقع في وقت الخطاب، أو في وقت النفخ (٥)،

١- سورة النبأ / ٢٠.

٢- ندف القطن من باب ضرب: ضربه بالمندف والمندفة. الصحاح، الجوهري: ٤ / ١٤٣٠، ماده «ندف». الندف: طرق القطن بالمندف. لسان العرب، ابن منظور: ٩ / ٣٢٥، ماده «ندف».

٣- السراب: الذى يكون نصف النهار لاطناً بالأرض، لاصقاً بها، كأنه ماء جار. قال ابن السكيت: السراب الذى يجرى على وجه الأرض كأنه الماء، وهو يكون نصف النهار. لسان العرب، ابن منظور: ١ / ٤٦٥، ماده «سرب».

٤- سورة النمل / ٨٨.

٥- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) سورة النمل / ٨٨، أى: واقفه مكانها، لا تسير، ولا تتحرك فى مرأى العين، (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) سورة النمل / ٨٨، أى: تسير سيرا حثيثا مثل سير السحاب. مجمع البيان، الطبرسى: ٧ / ٤٠٩، تفسير سورة النمل. قال ابن قتيبه فى تفسير قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ) سورة النمل / ٨٨، هذا يكون إذا نفخ فى الصور تجمع الجبال وتسير، فهى لكثرتها تحسب جامده، أى: واقفه وهى تمر، أى: تسير سير السحاب. زاد المسير، ابن الجوزى: ٦ / ٨٣، تفسير سورة النمل.

ومجىء هذه الآية (١)، بعد آية «النفخ» (٢) إنما يدعم الاحتمال التالي، وعلى هذا فإن الآية السالف ذكرها (٣)، تنطبق على زلزه «الساعة» (٤)، حينما (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى... (٥).

لكن هذا المعنى، لا ينسجم مع عبارته (تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) (٦)، لأنها تعنى أن الجبال تظل على ما كانت عليه من استقامته وعظمته، كما تدل على ذلك أيضاً عبارته (صُيِّعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (٧). التي تشير إلى أن هذه الجبال لا تتصدع بهذه السهولة. إذن فحركة الجبال، لا تتنافى وثبات الجبال ورسوخها، وتزلزلها يتم بشكل متزامن مع تزايد استحكامها، وعلى هذا، فإن سراييه حركة الجبال يمكن أن ينسجم مع بقائها واتقان صنعها واستحكامها.

١- سورة النمل / ٨٧.

٢- سورة النمل / ٨٨، ونصها: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُيِّعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ).

٣- سورة النمل / ٨٨.

٤- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) سورة النمل / ٨٨، بناء على كونه ناظرا إلى صفه زلزه الساعة. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠ / ١٦٧، تفسير سورة النبأ.

٥- سورة الحج / ٢.

٦- سورة النمل / ٨٨.

٧- سورة النمل / ٨٨.

الفصل الرابع: صفات يوم القيامة

اشاره

صفات يوم القيامة

اشاره

يقول الله جل وعلا:

(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (١).

و(يَوْمَ تُؤْتُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) (٢).

و(مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) (٣).

و(يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا) (٤).

و(وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) (٥).

و(وَالْأَمْرُ يُؤْمَدُ لِلَّهِ) (٦).

١- سورة غافر / ١٦.

٢- سورة غافر / ٣٣.

٣- سورة الشورى / ٤٧.

٤- سورة الدخان / ٤١.

٥- سورة النساء / ٤٢.

٦- سورة الإنفطار / ١٩.

هذه الآيات، تصف يوم القيامة بصفات عديده قد لا تختص بيوم القيامة فقط. ف«الملك» و«الأمر» و«القدر» صفات دائمه لله تعالى، أما المخلوقات فهي مكشوفه له لا ملجأ لها منه لكن الله تعالى يقول:

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) (١)، إذ يوضح أن كل السبل والعلاقات تتقطع آنذاك. وينعدم تأثير كل الارتباطات وتأثيرات الموجودات في نظام الوجود المادى وما يليه. فلا يعود هناك تأثير لشيء على شيء آخر فلا ينفع شيء شيئاً آخر، ولا يضر. وذلك بسبب الأسباب والارتباطات (٢).

ويوم القيامة لا يختلف بشيء، فلا شيء يفنى إلا بفناء ذوات الموجودات وانقلاب ماهيتها (٣)، وبما أن كلمات الله ثابتة لا تتغير، فلا شيء يتغير مما يرتبط

١- سورة البقره / ١٦٥ ١٦٦.

٢- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) سورة البقره / ١٦٦، وظاهر الآيه أن يحمل على عمومه، فكأنه قيل: قد زال عنهم كل سبب يمكن أن يتعلق به، فلا ينتفعون بالأسباب على اختلافها من منزله أو قرابه أو موده أو حلف أو عهد، على ما كانوا ينتفعون بها فى الدنيا، وذلك نهايه فى الاياس. مجمع البيان، الطبرسى: ١ / ٤٦٥، تفسير سورة البقره.

٣- ماهيه الشىء: حقيقته. وربما فرق بينها وبين الحقيقه: أن الحقيقه لا- تكون إلا- للموجودات الخارجيه، والماهيه أعم من أن تكون موجوده فى الخارج أم لا. مجمع البحرين، الطريحي: ٤ / ١٦٤، ماده «ماهى».

بها، بل إن الذى يزول هو ما يتعلق بالموجودات السرابيه، إذ يزول كل شىء، إلا ارتباط الموجودات بالله تعالى، وبما أن تلك الارتباطات الأخرى كانت باطله وسرابيه من الأساس، فإن الذى يحدث هو انكشاف بطلانها، وليس فناؤها. أى انكشاف حقيقه أن لا وجود ولا تأثير لغير الله، فلا مالك غيره، ولا صاحب أمر.

وهذا هو قوله تعالى:

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (١) و(يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) (٢) و(لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (٣).

وما وصلنا إليه سالفاً، من انكشاف بطلان الموجودات السرابيه والأسباب الظاهريه، يرد فى قوله تعالى:

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ حَتَّى قَوْلِهِ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) (٤).

وفى نهج البلاغه، نرى الإمام على عليه السلام يؤكد أن وحدانيه الله تتكشف بعد فناء الدنيا، وينكشف أنه الواحد الذى لا شريك له، وهو الباقي الواحد بعد فناء

١- سورة الفاتحه / ٤.

٢- سورة الإنفطار / ١٩.

٣- سورة غافر / ١٦.

٤- سورة الأنعام / ٩٣ ٩٤.

الدنيا، كما كان الواحد قبل خلقها فينعدم الزمن، وتنتفى الأزمان والسنون، ولا يبقى إلا الله الواحد القهار الذى ترجع إليه كل الأمور(١).

وفى «الاحتجاج» ورد أن هشام بن الحكم(٢) سأل الإمام الصادق عليه السلام، عن الروح، هل تبنى بعد خروجها من قلبها «الجسد» أم أنها تبقى؟ فأجابه الإمام عليه السلام أن الروح تبقى حتى ينفخ فى الصور وعندها يبطل كل شىء، فلا يبقى حس ولا محسوس ثم يعود كل شىء إلى أصله الذى خلقه الله عليه، وهذا يتم بعد فتره أربعمائه عام لا يتم فيها خلق شىء، وهذه الفتره رهن الزمن الفاصل بين النفختين(٣).

١- أنظر: نهج البلاغه، الشريف الرضى: ٢٧٢ ٢٧٧، خطب أمير المؤمنين عليه السلام، خطبه ١٨٦ له عليه السلام فى التوحيد.
٢- هشام بن الحكم أبو محمد: مولى كنده، وانتقل من الكوفه إلى بغداد سنه تسع وتسعين ومائه، وقيل فيها مات، كان يتجر فى الكرخ، داره عند قصر وضاح، كان يرى رأى الجهميه ثم استبصر، وروى عنهما «الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام»، فيه مدائح جليله، وكان ممن فتق الكلام فى الإمامه وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقا بصناعه الكلام حاضر الجواب. كان منقطعا إلى يحيى بن خالد البرمكى، وكان القيم لمجالس نظره وكلامه، وكان نزوله بدرج الجنب من الكرخ. توفى بعد نكبه البرامكه بملده يسيره مستترا، وقيل فى خلافه المأمون. رجال ابن داود، ابن داود: ٣٦٧ ٣٦٨، باب الهاء / الرقم ١٦٤٣. هشام بن الحكم أبو محمد: مولى كنده، وكان نزيل بنى شيبان بالكوفه، وانتقل إلى بغداد سنه تسع وتسعين ومائه. ويقال إن فى هذه السنه مات، ومولده كان بالكوفه ومنشؤه واسط وتجارته بغداد، ثم انتقل إليها فى آخر عمره ونزل قصر وضاح. رجال العلامه، العلامه الحلى: ١٧٨، الفصل السادس والعشرون فى الهاء، الباب الأول هشام/الرقم ١.

٣- أنظر: الاحتجاج، الطبرسى: ٢ / ٣٥٠، احتجاج أبى عبدالله الصادق عليه السلام فى أنواع شتى من العلوم الدينيه.

ويضيف الإمام عليه السلام على ذلك، كما ورد في تفسير القمي: ثم يقول الله عز وجل:

(لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) (١)؟.

فيجيب هو بالقول:

(لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (٢) (٣).

أما في «التوحيد» (٤) فورد عن أمير المؤمنين عليه السلام (٥) أن الله تعالى يسأل: لمن الملك اليوم؟ فتجيب أرواح الأنبياء والمرسلين والحجج: لله الواحد القهار (٦).

١- سورة غافر / ١٦.

٢- سورة غافر / ١٦.

٣- أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٥٦ ٢٥٧، تفسير سورة المؤمن، كيفية موت أهل السماء والأرض.

٤- التوحيد: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى بالري في (٣٨١). طبع بإيران في (١٢٨٥) وطبع ثانياً في بمبئي في (١٣٢١) وله شروح كثيرة. الذريعة، آقا بزرك الطهراني: ٤ / ٤٨٢.

٥- في التوحيد النص مروى عن الإمام الرضا عليه السلام، أما النص الذي أورده العلامة الطباطبائي، وهو يرويه عن أمير المؤمنين عليه السلام فهو عن الصدوق أيضاً وقد أورده في كتابه معاني الأخبار وليس التوحيد.

٦- قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام في ألف ب ت ث أنه قال: الألف آء الله والباء بهجه الله والتاء تمام الأمر بقائم آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين... م ن فالميم ملك الله يوم لا- ملك غيره ويقول عز وجل (لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) سورة غافر/ ١٦، ثم ينطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) سورة غافر/ ١٦، فيقول جل جلاله: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) سورة غافر/ ١٧، والنون نوال الله للمؤمنين ونكاله بالكافرين... الحديث. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٤٣ ٤٤، باب معاني حروف المعجم / ح ١. وانظر: التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٣٢ ٢٣٤، باب ٣٢ تفسير حروف المعجم / ح ١.

وينقل القمى فى تفسيره حديثاً عن الإمام السجاد يقول فيه: إن الله تعالى ينادى حينذاك بصوت عال يملأ أرجاء السماوات والأرض: لمن الملك اليوم؟ ولأنه لا أحد يجيب، يقوم جل وعلا بمقام المجيب ويقول: لله الواحد القهار(١).

لو أمعنا النظر فى أحاديث الأئمة التى هى لغه واحده ولاحظنا كيفية الجمع بين فناء السماوات والأرض، وبين زوال السنين واللحظات وثباتها، وبين فقدان الجواب على النداء الإلهى ووجوده، ثم تأملنا فى جواب البارى عز وجل على نفسه (لِلَّهِ الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ)، وأمعنا النظر فى كل صفة من صفاته (الْوَّاحِدِ) و(الْقَهَّارِ) وفهمنا أبعاد ذلك كله، لأمكننا الوصول إلى صحه الاستنباط(٢) الذى توصلنا إليه فيما مضى.

-
- ١- أنظر: تفسير القمى، القمى: ٢/ ٢٥٢ ٢٥٣، تفسير سوره الزمر، ماذا يعطى الله وليه فى الجنان، كيفية نفخ الصور.
 - ٢- قال الشريف المرتضى: الاستنباط: استخراج الحكم من فحوى النصوص. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى: ٢/ ٢٦٢، الحدود والحقايق، حرف الألف. قال الطبرسى: الاستنباط: الاستخراج. يقال لكل ما استخراج حتى يقع عليه رؤيه العين، أو معرفه القلب: قد استنبط. مجمع البيان، الطبرسى: ٣/ ١٤١، تفسير سوره النساء.

بطلان الأسباب في يوم القيامة

عندما تأخذ كل الأشياء، وجودها المستقل، فإن كل الثواب ستعود إلى مجموعته تحقيقات سراييه ووهميه، وسينكشف بطلان الأسباب والمسببات (١)، وهذا هو معنى الكلام الإلهي:

(مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) (٢) و(مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) (٣) و(مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ) (٤) و(يَوْمَ لِمَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا) (٥) و(لِمَا يَبِيعُ فِيهِ وَلِمَا خِلَالٌ) (٦) و(وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ) (٧) و(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ

١- قال الطباطبائي في تعليقه على قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا)... إلى أن قال هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْرَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) سورة يونس / ٢٨ / ٣٠، تسقط الأسباب عما كان يتوهم لها من الاستقلال في نشأه الدنيا، وينقطع البين وتزول روابط التأثير التي بين الأشياء وعند ذلك تنتشر كواكب الأسباب وتنطمس نجوم كانت تهتدى به الأوهام في ظلماتها، ولا تبقى لدى ملكك ملكك مستقل به، ولا لدى سلطان وقوه ما يتعزز معه. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١ / ١١، تفسير سورة هود.

٢- سورة غافر / ٣٣.

٣- سورة الشورى / ٤٧.

٤- سورة الحاقة / ٢٨ / ٢٩.

٥- سورة الدخان / ٤١.

٦- سورة إبراهيم / ٣١.

٧- سورة البقره / ١٢٣.

اللَّهُ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (١).

فالآيه الأخيره تدل على أنهم كانوا مخدوعين بسراب الدنيا ولعبها، إذ يقول البارى عز وجل أن الله يضل الكافرين بهذا السراب (٢). وفى الآيه الكريمه التاليه، ما يشابه هذا المعنى:

(ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ) (٣) و(تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ) (٤)

وكل ذلك يعود الكلام الإلهى:

(مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) (٥) و(مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٦).

١- سورة غافر / ٧٣ ٧٤.

٢- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) سورة غافر / ٧٤، أى: إضلاله تعالى للكافرين وهم الساترون للحق يشبه هذا الضلال وهو أنهم يرون الباطل حقا فيقصدهونه ثم يتبين لهم بعد ضلال سعيهم أنه لم يكن إلا باطلا فى صورته حق وسرابا فى سيماء الحقيقه. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٧ / ٣٥٢، تفسير سورة المؤمن.

٣- سورة يونس / ٢٨.

٤- سورة القصص / ٦٣.

٥- سورة يوسف / ٤٠.

٦- سورة الذاريات / ٥٦.

يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا

عندما تنتفى كل الأسباب والمسببات وما يترتب عليها من تأثيرات، فإن ينكشف كل «باطن» ليتحول إلى «ظاهر»، وعند ذاك يتحد الغيب (١) والشهادة (٢)، لأن كل شيء، هو في حد ذاته، شهادة، أما الغيب فله معنى نسبي،

١- عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) سورة الأنعام / ٧٣، فقال: الغيب: ما لم يكن، والشهادة ما قد كان. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ١٤٦، باب معنى الغيب والشهادة / ح ١. قال الطوسي: الغيب هو المعدوم. وقال الحسن، الغيب: السر. التبيان، الطوسي: ٢٢٥ / ٦، تفسير سورة الرعد. وقال أيضاً: (عَالِمُ الْغَيْبِ) سورة الحشر / ٢٢، ما لا يقع عليه حس من المعدوم أو الموجود الذي لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها. قال الحسن: الغيب ما أخفاه العباد. التبيان، الطوسي: ٥٧٣ / ٩، تفسير سورة الحشر. قال الطباطبائي: الغيب: هو ما كان خارجاً عن حد الشيء غير داخل فيه، بالنسبة إليه غير مشهود لإدراكه. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٣٠٧ / ١١، تفسير سورة الرعد.

٢- قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) سورة الحشر / ٢٢. «الشهادة»: عالم بما يصح عليه الإدراك بالحواس. الشهادة: ما أعلنوه «العباد». التبيان، الطوسي: ٥٧٣ / ٩، تفسير سورة الحشر. قال الطباطبائي، الشهادة: هو ما كان من الأشياء داخلاً في حد الشيء غير خارج عنه، بالنسبة إليه مشهود لإدراكه. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٣٠٧ / ١١، تفسير سورة الرعد.

ففقدان الشيء، إنما يتم بالنسبه إلى شيء آخر، وتلاشى (١) شيء يتم بالنسبه إلى آخر أيضاً، ولا فرق في ذلك، إن كان عدم الإدراك يتم من قبل الحس (٢) أم بسبب آخر.

مع انتفاء الأسباب، ترفع كل الحجب التي تخفى الأشياء عن بعضها، وهذا هو معنى قوله تعالى:

(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) (٣) و(بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) (٤) و(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (٥) وفي هذا السياق أيضاً تأتي الآيات:

(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) (٦) و(أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رُوحٌ إِلَى الْقُبُورِ) (٩) وَحُصِّلَ مَا

١- تلاشى الشيء: اضمحل. تاج العروس، الزبيدي: ٣٢٦ / ١٠.

٢- الحس: من أحسست بالشيء. حس بالشيء، يحس حسا وحسا وحسيسا وأحس به وأحسه: شعر به. يقال حست بالشيء: إذا علمته وعرفته. لسان العرب، ابن منظور: ٤٩ / ٦، مادة «حس».

٣- سورة غافر / ١٦.

٤- سورة إبراهيم / ٢١.

٥- سورة ق / ٢٢.

٦- سورة الطارق / ٩.

فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١) وَيَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٢).

وقد يمكن تفسير الآيات الواردة حول بروز الأرض، على أساس الآيات السالفه الذكر.

ورد في «الكافي»، نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام الذي يقول حول الآيه (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) (٣) أَنَّ المراد بالقلب السليم قال القُطْبُ الرَّاؤُنْدِيُّ فِي لُبِّ اللَّبَابِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سُئِلَ: مَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ فَقَالَ: دِينَ بِلَا شَكٍّ وَهَوَى وَعَمَلٌ بِلَا سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ.

مستدرک الوسائل، المحدث النورى: ١ / ١١٣، مقدمه العبادات، باب ١٢ بطلان العباده المقصود بها الرياء / ح ١١.

قال الطباطبائي: القلب السليم: هو النفس السالمة من وصمه الظلم وهو الشرك والمعصيه.

الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٥ / ٢٨٩، تفسير سورة الشعراء.

(٤) عن حفص بن غياث النخعي القاضى قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ما الزهد فى الدنيا فقال: قد حد الله عز وجل ذلك فى كتابه فقال: (لَكِنِّي لَا تَأْسُوْا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمُ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) سورة الحديد / ٢٣.

كتاب الأمالى، الصدوق: ٦١٦، المجلس التسعون / ح ٣.

قال المازندراني: الزهد: جعل القلب حيا بمشاهده أحوال الآخرة وعدم الغفله عنها.

شرح أصول الكافي، المازندراني: ١ / ٢٣١.

١- سورة العاديات / ١١٩.

٢- سورة الشعراء / ٨٨ ٨٩.

٣- سورة الشعراء / ٨٨.

٤- ، هو ذلك الذى يلقى الله تعالى دون ان يكون فيه مكان لغيره، وما يعنيه الأنبياء والأولياء بالزهد

تخلو القلوب من أى مشاغل غير الآخرة(١).

وطبيعى أن القول الإلهى (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (٢) لا يتعارض مع ما بيناه آنفاً.

فهذه الآيه تنفى عن غير المؤمنين، التكريم الذى يخص المؤمنين والواقع أن هذه الآيه، تصديق للقانون الإلهى (لَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (٣)، وبما أن غير المؤمنين، وضعوا فى حياتهم حجاباً بينهم وبين خالقهم، ولا بد أن يجدد مصداق ذلك يوم القيامة(٤)، وهذا ما يتضح من الآيه (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) (٥).

١- أنظر: الكافى، الكلينى: ٢ / ١٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص / ح ٥.

٢- سورة المطففين / ١٥.

٣- سورة يس / ٥٤.

٤- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) سورة المطففين/١٥، المراد بكونهم محجوبين عن ربهم يوم القيامة حرمانهم من كرامه القرب والمنزله، ومن قال: إن المراد كونهم محجوبين عن رحمه ربهم. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٢٠ / ٢٣٤.

٥- سورة القلم / ٤٢ ٤٣.

«القيامة» محيطه بالدنيا والبرزخ

إن انتفاء الأسباب وزوال الحجب (١)، وانكشاف البواطن المحيطه بالظواهر، كلها تدل على أن القيامة محيطه بالدنيا (٢)، ومحيطه بما فيها هي بالذات، وما سيأتي بعدها. فالباطن يضم الظاهر، الذي هو حاضر فيه، لكن عكس ذلك غير صحيح، وهذا هو مفاد القول الإلهي... (وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا) (٣) و(وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) (٤) و(فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ

١- الحجب: كل شىء منع شيئا من شىء فقد حجبه حجابا. كتاب العين، الفراهيدى: ٣ / ٨٦، ماده «حجَب». قال حسين الشاكري: الحجب: هى التى تمنع النفس من التحلى ثم التجلى إلى عالم الملكوت ومصاف الأولياء والصالحين. الكشكول المبوب، حسين الشاكري: ٢١٥. الحجاب: المنع من الوصول، يقال حجبه حجابا وحجابا، وحجاب الجوف ما يحجب عن الفؤاد، وقوله تعالى: (وَيَبِينُهُمَا حِجَابٌ) سورة الأعراف / ٤٦، ليس يعنى به ما يحجب البصر، وإنما يعنى ما يمنع من وصول لذه أهل الجنه إلى أهل النار وأذيه أهل النار إلى أهل الجنه. مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ١٠٨، كتاب الحاء.

٢- فى سؤال سأل جاثلق أمير المؤمنين عليه السلام قال: أين الآخرة من الدنيا قال عليه السلام: الدنيا فى الآخرة والآخرة محيطه بالدنيا إذ كانت النقلة من الحياه إلى الموت ظاهره وكانت الآخرة هى دار الحيوان لو كانوا يعلمون وذلك أن الدنيا نقله والآخرة حياه ومقام. إرشاد القلوب، الديلمى: ٢/٣٠٩، فضائله من طريق أهل البيت عليهم السلام .

٣- سورة الإسراء / ٥١.

٤- سورة سبأ / ٥١.

كَفَرُوا (١) و(وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) (٢) و(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ) (٣).

وفى هذا السياق أيضاً (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) (٤).

فال«سبق» بالنسبة إلى شيء معين، يعنى أنه يؤدي إلى «الحيلولة» (٥)، فمثلاً عندما تقول «سبقت إلى مكان كذا» يعنى أن هناك شيء آخر، يمكن أن يصل إلى هذا المكان، وأنت أصبحت حائلاً بينه وبين المكان عندما سبقت إليه، إذن كلمة الله سبقت فحالت بينهم وبين الأجل المسمى الذى هو (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) (٦) كل هذا يدل على أن القيامة محيطه بهؤلاء، ولولا الحائل الإلهى الذى حال بينهم وبين «الأجل»، لشملمهم جميعاً الحكم القطعى (٧).

١- سورة الملك / ٢٧.

٢- سورة النحل / ٧٧.

٣- سورة آل عمران / ٣٠.

٤- سورة الشورى / ١٤.

٥- الحول: كل شيء حال بين اثنين، يقال هذا حوال بينهم، أى: حائل بينهما كالحاجز والحجاز. قال الليث: يقال حال الشيء بين الشيئين يحول حولاً وتحويلاً، أى: حجز. لسان العرب، ابن منظور: ١١ / ١٨٧، ماده «حول».

٦- سورة البقره / ٣٦.

٧- الحكم القطعى: وهو الحكم الذى تحقق القطع فيه من طرفى الثبوت والدلاله. فأما أنه قطعى الثبوت، فلأنه قرآن وهو متواتر، وأما القطع فى الدلاله، فلأن الألفاظ ونسبتها ليست لها إلا دلالة واحده فى لسان العرب. معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال: ١٣١، حرف الحاء، الحكم القطعى.

للقيامه (١). والآيات التالية تأتي في نفس السياق:

(كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيرَةً أَوْ ضُحَاهَا) (٢) و (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) (٣) و (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٤) و (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبُعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبُعْثِ) (٥).

١- قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) سورة يونس/١٩، بتأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة (لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ) سورة يونس/١٩، عاجلا فيما فيه يَخْتَلِفُونَ ولتميز المحق من المبطل، ولكن الحكمه أوجبت أن تكون هذه الدار للتكليف والاختبار، وتلك للثواب والعقاب. الأصفى في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني: ٥٠٧/١، تفسير سورة يونس. وقال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ) سورة الشورى/١٤، معناه: ولولا وعد الله تعالى وإخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم وتأخر العذاب عنهم في الحال لفصل بينهم الحكم وأنزل عليهم العذاب الذي استحقوه عاجلا. مجمع البيان، الطبرسي: ٩/٤٢، تفسير سورة الشورى.

٢- سورة النازعات / ٤٦.

٣- سورة الأحقاف / ٣٥.

٤- سورة المؤمنون / ١١٢ ١١٤.

٥- سورة الروم / ٥٦.

ظهور الباري عز وجل في ذلك اليوم

إن انكشاف الباطن، وانتفاء الظاهر الذي تحدثنا عنه، يؤدي إلى أن يظهر الباري عز وجل في ذلك اليوم (١)، فالحجب ترفع، والحق يكشف، ويصل الجميع إلى غايه الغايات، ويبلغون في سعيهم منتهى النهايات، وهذا هو البيان الإلهي:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) وَإِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٥) وَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٤٦) وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٧)).

(وَأَلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) (٤٨) و(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) (٤٩).

١- قال البحراني: أما الظاهر فليس من أجل أنه ظهر على الأشياء بر كوب فوقها وقعود عليها وتسنم لذراها، ولكن ذلك لقهرة ولغلبته الأشياء وقدرته عليها، كقول الرجل: ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي، يخبر عن الفلج والغلبه، وهكذا ظهور الله على الأشياء. البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٢ / ٤٦٥، تفسير سورة الأنعام.

٢- سورة النازعات / ٤٢ ٤٤.

٣- سورة النجم / ٤٢.

٤- سورة الانشقاق / ٦.

٥- سورة البقره / ٢٨.

٦- سورة المائده / ١٨.

٧- سورة الشورى / ٥٣.

٨- سورة الملك / ٢٥ ٢٦.

و(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (١).

إن هؤلاء السائلين، تصوروا أن القيامة أمر زمني تمتد جذوره في زمانهم، فسألوا: متى ذلك؟! فأراد الله صرف اهتمامهم إلى موضوع آخر يمكن لهم إدراكه، ولما أصرروا في سؤالهم، أجابهم جل وعلا بأن علم القيامة عنده.

ولا يمكن أن يكشف ليس بسبب معلوماتنا الناقصة، بل لمصلحه خفيه (٢)، ولهذا فإن الله تعالى أتبع الجواب بعبارة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٣).

١- سورة الأعراف / ١٨٧.

٢- قال الطوسي: وفي قوله أول الآية: (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي) سورة الأعراف / ١٨٧، يعني: علم وقت قيامها. وقوله في آخرها (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ) سورة الأعراف / ١٨٧، معناه: علم كيفيتها وشرح هيئتها وتفصيل ما فيها لا يعلمه إلا الله. التبيان، الطوسي: ٤٨ / ٥، تفسير سورة الأعراف. وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) سورة الأعراف / ١٨٧، فإنه أمر من الله لنبه محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يجيب سائليه عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذي يعلم الغيب، وأنه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره جل ذكره. جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٩ / ١٨٥، تفسير سورة الأعراف.

٣- سورة الأعراف / ١٨٧.

تبدد الظلمه يوم القيامة

عندما ترفع حجب الدرجات والمستويات والخفايا يوم القيامة، ولا يبقى شىء خافياً على آخر، سيمتلئ الفضاء بالنور. ذلك أن حقائق الأمور قد تجلت (١)، وهذا هو قوله تعالى (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا) (٢) و(يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ) (٣) (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) (٤) (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) (٥) و(وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ) (٦) و(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) (٧).

وقد ورد فى تفسير القمى، حديث عن الإمام السجاد عليه السلام، حول (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) (٨)، يقول فيه أن المقصود ب(غَيْرِ الْأَرْضِ)، هى أرض لا

١- أمر جلى: واضح. وتقول أجل لنا هذا الأمر، أى: أوضحه. كتاب العين، الفراهيدى: ١٨٠ / ٦، ماده «جلو». جلا الأمر وجلاه وجلى عنه: كشفه وأظهره. لسان العرب، ابن منظور: ١٤٠ / ١٤، ماده «جلا».

٢- سورة النبأ / ١٩.

٣- سورة إبراهيم / ٤٨.

٤- سورة الزمر / ٦٩.

٥- سورة العنكبوت / ٦٤.

٦- سورة الإنشقاق / ٣٣.

٧- سورة الزلزله / ٢.

٨- سورة إبراهيم / ٤٨.

يرتكب عليها ذنب، أرض ظاهره مكشوفه، لا- يشاهد عليها أى نبات أو جبل، كما خلقها الله تعالى مستويه أول مره، أما عرشه فيكون على الماء، كما كان أول مره، قائماً على العظمه والقدرة الإلهيه(١).

وليس هناك تناقض بين ما فهمناه عن نورانيه الموجودات يوم القيامه، والآيات التى تتحدث عن حرمان الكفار من النور، مثل (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) (٢) و(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) (٣) و(وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (٤).

بينما قال الله تعالى عن المؤمنين:

(يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) (٥) و(لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) (٦) و(كَمَنْ

١- عن الإمام على بن الحسين عليه السلام: (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) سورة الطور/ ٩، ١٠، يعنى تبسط وتبدل الأرض غير الأرض، يعنى: بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزه ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مره ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مره مستقلا بعظمته وقدرته... الحديث. تفسير القمى، القمى: ٢/ ٢٥٢، تفسير سورة الزمر، ماذا يعطى الله وليه فى الجنان، كيفيه نفخ الصور.

٢- سورة النور / ٤٠.

٣- سورة الحديد / ١٣.

٤- سورة طه / ١٢٤.

٥- سورة الحديد / ١٢.

٦- سورة الحديد / ١٩.

مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا (١) و(أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَاتِ) (٢).

إن الظلمات التي يعانيتها الكفار يوم القيامة، هي نفس الظلمات التي اشتروها في حياتهم، فتجلت لهم يوم القيامة. وفي ذلك نعرف أن كلا الظلمة والنور موجودان يوم القيامة، فالمؤمنون ينعمون بالنور، بينما يحرم المشركون منه. وعلى نفس السياق، فقد مر الحديث آنفاً عن رفع الحجب بين الإنسان وخالقه (٣).

وفي القرآن الكريم آيات أخرى في نفس:

(فَأَلْقُوا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءِ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (٤) و(فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) (٥).

وبهذا الصدد توجد روايات تفيد بأن المشركين يكذبون يوم القيامة (٦)، وهذا

١- سورة الأنعام / ١٢٢.

٢- سورة البقره / ٢٥٧.

٣- أنظر: الفصل الرابع، ظهور الباري عز وجل في ذلك اليوم.

٤- سورة النحل / ٢٨.

٥- سورة المجادله / ١٨.

٦- قال القمي في تفسير قوله تعالى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) سورة يس / ٦٥، إذا جمع الله الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنهم عملوا من ذلك شيئاً فتشهد عليهم الملائكة فيقولون يا رب ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئاً، وهو قوله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلْمَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) سورة المجادله / ١٨، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم. تفسير القمي، القمي: ٢ / ٢١٦، قصه أبي سعيد مع الرضا عليه السلام. قال ابن طاووس في قوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) سورة الأنعام / ٢٤، يدل على تعجبه منهم كيف أنكروا أنهم أشركوا. الطرائف، ابن طاووس: ٢ / ٣١٨، بيان أقوال الطائفة المجبره وردھا.

ما يعتبر، ظهوراً للمعصية التي قاموا بها في حياتهم، وبالتالي فإن ذلك لا يتنافى مع مقوله أن الكذب غير ممكن يوم القيامة. ذلك أن كل عمل يقوم به الإنسان في حياته، سواء كان طاعه أم معصيه، لا بد وأن ينكشف يوم القيامة (١). والله تعالى يقول (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) (٢).

-
- ١- قال عبد الكريم الخطيب: ينكشف يوم القيامة للخليقه بأجمعهم، حين يجمعهم في صعيد واحد، ويوصل لكل نفس ما ينبغي إيصاله إليها من الخير والشر، واللذذ والألم، حتى مثقال الذره، ويوصل كل نفس إلى غاياتها التي تشهد هي أنها أولى بها. التفسير القرآنى للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ٨ / ٦٩٣، تفسير سورة الكهف. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أَسْتَاتًا لِّيرَوْا أَعْمَالَهُمْ) ، سورة الزلزله/٦، إراءتهم أعمالهم: إراءتهم جزاء أعمالهم بالحلول فيه أو مشاهدتهم نفس أعمالهم بناء على تجسم الأعمال. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠ / ٣٤٣، تفسير سورة الزلزله.
- ٢- سورة النساء / ٤٢.

ص: ٢٠٩

الفصل الخامس: بعث الإنسان للمساءلة

إشاره

لما كان المعاد، هو عوده الأشياء، بكل وجودها، إلى مصدرها الأول، وحيث أن هذه العوده، أمر ضروري، كما مر ذكره (١)، فإنها يجب أن تتم بكل وجود الأشياء، بما يتضمنه هذا الوجود من مراتب ودرجات واتجاهات مختلفه. وعلى هذا فإن التحاق الجسم بـ«النفس» عند المعاد، أمر ضروري. فالنشأه الأولى (الدنيا) تتبدل إلى النشأه الأخرى، التي فيها آخر مراحل الكمال والحياه، وفيها يعود البدن إلى «النفس»، فتعود إليه الحياه والنورانيه (٢).

١- أنظر: المعاد في المقدمه لهذا السفر الجليل.

٢- قال صدر المتألهين: المعاد: هو بعينه بدن الإنسان المشخص الذي مات بأجزائه بعينها لا مثله، بحيث لو رآه أحد يقول أنه بعينه فلان الذي كان في الدنيا. المبدأ والمعاد، صدر المتألهين الشيرازي: ٤٩٠، مقاله الثانيه في المعاد الجسماني، فصل في تفصيل الأقوال في المعاد. قال المجلسي: المعاد الجسماني: عباره عن عود النفس إلى بدن، هو ذلك البدن بحسب الشرع والعرف. بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ٧، كتاب العدل والمعاد، باب ٣ إثبات الحشر وكيفيته وكفر من أنكره. قال كاشف الغطاء: المعاد الجسماني: بأنه تعالى يعيد الأبدان بعد الخراب ويرجع هيئتها الأولى بعد ان صارت إلى التراب ويحل بها الأرواح على نحو ما كانت ويضمها إليها بعدما انفصلت وبنات فكان الناس نيام انتبهوا فإذا هم قيام ينظرون إلى عالم جديد لا يحيط به التوصيف والتحديد. كشف الغطاء، جعفر كاشف الغطاء: ٥ / ١، في أصول العقائد.

وفى حديث الإمام الصادق عليه السلام إلى الزنديق (١) المعروف كما ورد فى «الاحتجاج» إشاره لهذا الموضوع إذ يقول له أن الروح تسكن فى قلبها، فروح المحسن والمطيع تسكن فى نور وراحه، بينما تسكن روح المذنب فى الظلمه والشقاء. أما الجسم فيعود تراباً كما خلق أول مره، وما تأكله الحيوانات المفترسه والحشرات يتحول إلى فضلات تظل فى التراب أيضاً. ولن يخفى على الله، ولو مثقال ذره فى ظلمات الأرض، فهو الذى لا تخفى عليه خافيه، مهما صغرت حجماً ووزناً. ويظل تراب الموجودات ذات الروح، بين باقى التراب، كالذهب المدفون فى الأرض. وعندما يحين وقت البعث، تمطر السماء، مطراً للبعث، بعدما تربت الأرض وتهتز، فيتميز تراب البشر عن باقى التراب، فيطفو وكأنه الذهب المغسول، ثم يتجمع التراب، كل فى قلبه، ويتنقل، بإذن ربه، إلى حيث الأرواح، وبإذن الله المصور تعود الأجسام إلى شكلها السابق، وتحلّ فيها الأرواح. فيكتمل الأمر، وتعود الأجسام وكان شيئاً لم يتغير منها (٢).

١- عن على بن منصور، قال: قال لى هشام بن الحكم: كان بمصر زنديق... كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الْمَلِكِ وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَأَمَّنَ الزَّنْدِيقَ عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلَّمَهُ هِشَامٌ فَكَانَ مُعَلِّمَ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلٍ مِصْرَ الْإِيمَانِ وَحَسَنَتْ طَهَارَتَهُ حَتَّى رَضِيَ بِهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ. الكافي، الكليني: ١/٧٢، ٧٤، كتاب التوحيد، باب حدوث العالم وإثبات المحدث / ح ١.

٢- أنظر: الاحتجاج، الطبرسى: ٢/٣٥٠، احتجاج أبى عبدالله الصادق عليه السلام فى أنواع شتى من العلوم الدينيه على أصناف كثيره من أهل الملل والديانات.

وهذه الصورة يمكن ملاحظتها في التمثيل القرآني للبعث، بأنه كإحياء الأرض (وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) (١) (وَوَتَرَى الْمَآرِضَ هَامِيَةً فَبِإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (٢).

إذ نلاحظ هنا أن الإنسان المادى (أى البدن) (٣) عندما يصل إلى الغاية التى حددها الله تعالى، يطرأ عليه التبدل والتغيير، وهذا هو قول الله:

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) (٤).

فالآية الكريمة تؤكد أن الذى يقدر على إضرام النار فى الشجر الأخضر (٥)

١- سورة ق / ١١.

٢- سورة الحج / ٧٥.

٣- البدن من الجسد ما سوى الشوى والرأس. كتاب العين، الفراهيدى: ٨ / ٥١، مادة «بدن». قال الطريحي: البدن: ما سوى الرأس والأطراف. مجمع البحرين، الطريحي: ١ / ١٦٦، مادة «بدن».

٤- سورة يس ٧٨ ٨٠.

٥- قال القمى فى تفسير قوله: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) سورة يس / ٨٠، وهو المرخ والعفار ويكون فى ناحيه بلاد الغرب، فإذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشجر ثم أخذوا عودا فحركوه فيه فيستوقدون منه النار. تفسير القمى، القمى: ٢ / ٢١٨، تفسير سورة يس، قصه أبى سعيد مع الرضا عليه السلام. وقال النحاس فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) سورة يس / ٨٠، هو المرخ والعفار تستعمل الأعراب منه الزنود. معانى القرآن، النحاس: ٥ / ٥٢٠ ٥٢١، تفسير سورة يس.

رغم التضاد الموجود لهو قادر أيضاً على إحياء العظام وهي رميم (١). وبنفس المضمون تأتي الآية الكريمة (نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢). و(نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا) (٣).

١- قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) سورة يس / ٨٠، أى: إذا تكن النار الحاره فى الشجر الأخضر الرطب يستخرجها فعرّفكم أنه على إعادته ما بلى أقدر. تفسير الصافى، الفيض الكاشانى: ٣ / ١٦٣ ١٦٤، تفسير سورة النحل. قال ابن جرير الطبرى فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) (٨٠) أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) سورة يس / ٨٠ ٨١، يقول: الذى أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر، لا- يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التى قد رمت، وإعادتها بشرا سويا، وخلقها جديدا، كما بدأها أول مره. جامع البيان، ابن جرير الطبرى: ٣٩ / ٢٣، تفسير سورة يس.

٢- سورة الواقعة / ٦٠ ٦١.

٣- سورة الإنسان / ٢٨.

والمقصود فى «تبديل الأمثال»، هو الخلق المتكرر، حيث ورد فى الآيه (بَلْ هُمْ فِى لُبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) (١) و(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ) (٢).

والمقصود بـ«الأمثال» (٣) هو ذلك المصطلح المستخدم فى العلوم العقلية (٤)، أى

١- سورة ق / ١٥.

٢- سورة الرحمن / ٢٩.

٣- المثال: صورته الشئ الذى تمثل صفاته، والقالب أو النموذج الذى يقر على مثله. المثال عند إفلاطون: صورته مجردة، وحقيقته معقولة، أزليه ثابتة، قائمه بذاتها، لا تتغير، ولا تدرثر، ولا تفسد. المعجم الفلسفى، صليبا: ٢/٣٣٥، باب الميم، المثال. المثال: هو الفكره المجرده التى تكون نموذجا تأتى على غراره أفراد النوع الواحد. الموسوعه العربيه الميسره والموسعه، صلاواتى: ٧/ ٣١٤٠، حرف الميم «مثال».

٤- قال ابن خلدون: العلوم الحكيمه الفلسفيه: وهى التى يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعه فكره ويهتدى بمداركه البشريه إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون: ١ / ٤٣٥، الفصل الرابع فى أصناف العلوم الواقعه فى العمران لهذا العهد. قال جميل صليبا: قسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين: الأول قسم العلوم العقلية: وهى طبيعیه للإنسان من حيث هو ذو فكر، وتسمى بالعلوم الحكيمه، وتشتمل على أربعة علوم: المنطق، والعلم الرياضى، والعلم الطبيعى، والعلم الإلهى. المعجم الفلسفى، جميل صليبا: ٢ / ١٠٠، باب العين، العلم.

«الاتحاد النوعي» (١) والاختلاف الشخصي. باعتبار أن مثل الشيء، هو غير الشيء نفسه (٢) ولهذا لا يمكن الاستدلال بالآية (أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (٣).

للرد على منكري الحشر (٤)، لأن «خلق مثلها» لا يعني إعادتها ثانية. إذن

١- الاتحاد: في الجنس يسمى المجانسه، وفي النوع مماثله، وفي الخاصه مشاكله، وفي الكيف مشابهه، وفي الكم مساواه، وفي الأطراف مطابقه، وفي الإضافه مناسبه، وفي وضع الأجزاء موازنه. التعريفات، الجرجاني: ١٣ ١٤، باب الألف، الإتحاد. الإتحاد: هو صيروره الشيئين المختلفين شيئاً واحداً. وله عدده درجات: أدناها درجه الأشتراك البسيط في أمور عرضيه، وأعلىها درجه الأتحاد الصوفي. وليس المقصود بالاتحاد أن يصير الشيء شيئاً آخر، ولا إن يزول أحد الشيئين ويبقى الآخر، وإنما المقصود به أن يكون بين الشيئين علاقه يشتركان فيها مع احتفاظ كل منهما بهويته. مثال ذلك: الإتحاد بطريق التركيب، وهو ان ينضم شيء الى آخر، فيحصل منهما شيء ثالث. لذلك قال ابن سينا: «الاتحاد هو حصول جسم واحد بالعدد من اجتماع اجسام كثيره». (رساله الحدود). وكل اتحاد يوجب بقاء الذوات الداخلة فيه متميزه الوجود بعضها عن بعض، كاتحاد النفس بالبدن، فهو اتحاد جوهرى لا يمنع عقولنا من تصور حدوده تصوراً واضحاً ومتميزاً. المعجم الفلسفى، صليبا: ١ / ٣٤ ٣٥، باب الألف، الإتحاد.

٢- قال العينى فى العمده: مثل الشيء غيره. عمده القارىء، العين: ١٠ / ٩٣، باب الدعاء عند الجمرتين.

٣- سوره يس / ٨١.

٤- قال الزحيلي، منكرى الحشر القائلين: لا- فائده فى التكاليف إذ لا- مرجع بعد الهلاك والزوال. التفسير المنير، الزحيلي: ٢٠ / ١٨٢، تفسير سوره العنكبوت. قال السبزواري: منكرى الحشر والنشر وهم الدهريون الذين قالوا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ. الجديد فى تفسير القرآن المجيد، السبزواري: ١٧ / ٦، تفسير سوره يس. قال الفخر الرازى: منكرى الحشر يقولون لا فائده فى التكاليف فإنها مشاق فى الحال ولا فائده لها فى المآل إذ لا مآل ولا مرجع بعد الهلاك والزوال. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازى: ٢٣ / ٢٥، تفسير سوره العنكبوت.

فالمقصود بـ«يخلق مثلهم»^(١) أوبـ«تبديل أمثالهم» هي التغييرات التي تجرى عليهم دون أن تخرج من إطار وجودهم الأصلي. وفي هذا السياق، نجد الكلام الإلهي أحياناً، يستبدل «مثل» بـ«عين» كما في قوله:

(أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) (٢).

إذن فالمقصود بـ«مثل الشيء»، هو الشيء نفسه^(٣) وهذا الاستخدام هو نوع من الاستعارات^(٤) اللغوية^(٥).

١- سورة يس / ٨١.

٢- سورة الأحقاف / ٣٣.

٣- المثل: شبه الشيء في المثل والقدر ونحوه حتى في المعنى. كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ٢٢٨، مادة «مثل». قال الزركشى: المراد مثل الشيء: ذاته وحقيقته. البرهان، الزركشى: ٤/ ٣١٠، الكاف.

٤- الاستعارة: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين، ثم إذا ذكر المشبه به مع ذكر القرينه يسمى استعاره تصريحية وتحقيقية. التعريفات، الجرجاني: ١٩، مادة «الاستعارة».

٥- من الاستعارات اللغوية: أ الاستعارة التخيلية: ان يستعمل مصدر الفعل في معنى غير ذلك المصدر على سبيل التشبيه ثم يتبع فعله له في النسبه إلى غيره. أيضا: هي إضافة لازم المشبه به إلى المشبه. ب الاستعارة بالكنايه: وهي إطلاق لفظ المشبه وإرادته معناه المجازي، وهو لازم المشبه به. ج الاستعارة المكنيه: هي تشبيه الشيء على الشيء في القلب. د الاستعارة الترشيحية: هي إثبات ملائم المشبه به للمشبه. التعريفات، الجرجاني: ١٩، باب الألف.

وخلصه الأمر، أن جميع الآيات السالفه الذكر(١) تؤكد أن الأجسام في حاله تغير دائم من حال إلى حال، حتى تصل إلى يوم القيامة وتلتحق بالأرواح ثانياه. يقول الله تعالى:

(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ) (٢) و(أَفَلَمْ يَعْلَمُوا إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ) (٣) حيث استخدم «ما» للتدليل على الأجسام(٤)، وكذلك (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ(٥).

-
- ١- سورة ق / ١١. سورة الحج / ٧٦. سورة يس / ٧٩ ٧٨. سورة الواقعة / ٦١. سورة الإنسان / ٢٨. سورة ق / ١٥. سورة الرحمن / ٢٧. سورة يس / ٨١. سورة الأحقاف / ٣٣. سورة الشورى / ١١.
 - ٢- سورة الانفطار / ٤.
 - ٣- سورة العاديات / ٩.
 - ٤- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ) سورة العاديات / ٩، والمراد بما في القبور الأبدان. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠ / ٣٤٧.
 - ٥- سورة النازعات / ١٣ ١٤.

سير الأرواح إلى خالقها

على الرغم مما تحدثنا عنه، فإن الروح تتحرك نحو خالقها(١)، والله تعالى يقول:

(مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) (٢).

إذن فالروح، كالملائكة، تعرج إلى الله وكذا الأمر(٣) في قوله تعالى:

(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (٤).

١- قال مكارم الشيرازي: ولا فرق في توجيه معنى «اللقاء» سواء كان لقاء يوم القيامة والوصول إلى عرصه حاكميه الله المطلقه، أو بمعنى لقاء جزاء الله من عقاب أو ثواب، أو بمعنى لقاء ذاته المقدسه عن طريق الشهود الباطني. الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم الشيرازي: ٥٦ / ٢٠، تفسير سورة الإنشاق.

٢- سورة المعارج / ٤٣.

٣- قال ابن أبي الحديد: وفي قوله تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) سورة المعارج / ٤، قالوا: اليوم هو إشاره إلى الدنيا وفيها يكون عروج الملائكة والروح إليه واختلافهم بالأمر من عنده إلى خلقه وإلى رسله قالوا وليس قول بعض المفسرين أنه عنى يوم القيامة بمستحسن لأن يوم القيامة لا يكون للملائكة والروح عروج إليه سبحانه لانقطاع التكليف. شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ١٠ / ١٩٥، اختلاف الأقوال في عمر الدنيا. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) سورة المعارج / ٤، بعروج الملائكة والروح إليه يومئذ رجوعهم إليه تعالى عند رجوع الكل. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨ / ٢٠.

٤- سورة غافر / ١٥.

وفى آيه أخرى يتحدث تعالى عن أهل السعاده، وأهل الشقاء فيقول:

(وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا) (١)

و(وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (٢).

وعن أهل الجنة يقول:

(كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرِهِ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) (٣)، أما عن أهل جهنم فيقول تعالى: (مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) (٤)، وقد قال جل وعلا أن أهل جهنم هم حطبها، وبهم يزداد سعيرها، وانطفاؤها يعنى احتراق أهلها جميعاً (٥).

١- سورة الأحقاف / ١٩.

٢- سورة الإسراء / ٢١.

٣- سورة البقره / ٢٥.

٤- سورة الإسراء / ٩٧.

٥- عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: (كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) سورة الإسراء / ٩٧، يقول: كلما أحرقتهم تسعر بهم حطبها، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمراً تتوهج، فذلك خبوها، فإذا بدلوا خلقاً جديداً عاودتهم. جامع البيان، ابن جرير الطبرى: ١٥ / ٢١٠، تفسير سورة الإسراء / الآية ٩٧.

ص: ٢٢١

الفصل السادس: الصراط

اشاره

الصراط

يقول الله سبحانه وتعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ) (١) و(احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ) (٢).

فى هذه الآيات، يخبرنا البارى عز وجل، أنه يهدى الظالمين وأزواجهم أى شياطينهم إلى جهنم. والمقصود ب«أزواجهم» هو الشياطين (٣)، وهو ما يفهم من

١- سورة النساء / ١٦٨ ١٦٩.

٢- سورة الصافات / ٢٢ ٢٥.

٣- قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى: (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) سورة الصافات / ٢٢، يعنى قرناءهم من الشياطين. تفسير القرطبى، القرطبى: ٩ / ٣٨٥، تفسير سورة إبراهيم. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ)... الآية) سورة الصافات/٢٢، الظاهر: إن المراد به (أزواجهم): قرناءهم من الشياطين. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٧ / ١٣٠ ١٣١، تفسير سورة الصافات.

(فَوَرَّبُّكَ لَنَحْشُرَنَّهْمُ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَنْحَضَنَّهْمُ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ وَإِنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا) (١).

إذن، وكما تشير هذه الآيات، فإن الصراط هو طريق يقع على جهنم أو في داخلها (٢)، ذلك أن الباري عز وجل يخبرنا هنا عن ال «ورود» إليها وال «نجاه» منها. وفي آيه أخرى يخبرنا القرآن عن «الامتلاء الحتمي» لجهنم:

(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (٣).

١- سورة مريم / ٦٨ / ٧٢.

٢- قال الشيخ المفيد: الصراط: جسر بين الجنة والنار تثبت عليه أقدام المؤمنين وتزل عنه أقدام الكفار إلى النار. أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ٧٩، القول في الحساب وولاته والصراط والميزان. قال المازندراني: الصراط جسر ممدود على جهنم والأشقياء يتساقطون منه والسعداء يمرون عليه. شرح أصول الكافي، المازندراني: ١٠ / ٤٧٢. قال الطباطبائي: الصراط: انه جسر ممدود على النار يؤمر بالعبور عليها البر والفاجر فيجوزه الأبرار ويسقط فيها الفجار. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٤ / ٩٤، تفسير سورة مريم. وقال الطباطبائي في كتابنا هذا في الفصل السادس، بحث الصراط: الصراط: انه يقع على جهنم او في داخلها.

٣- سورة السجده / ١٣.

وهذا الطريق الذى يقام على طول جهنم، هو ممر لكل الخلق، الصالح منهم والمسيئ، إذ ينجى الله المتقين منهم، ويترك الظالمين إلى سعير النار. والملفت أن كلمه «الظلم» تتكرر عدة مرات وكذلك «الطغيان» (١)، مثل:

(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) (٢) وهو الإفراط فى الظلم والاستكبار (٣) (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) (٤) و(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) (٥).

١- قال ابن سيده: طغى يطغى طغيا ويطغو طغيانا: جاوز القدر وارتفع وغلا- فى الكفر. لسان العرب، ابن منظور: ٧ / ١٥، ماده «طغى». طغى كرضى طغيا وطيغيا بالضم والكسر: جاوز القدر وارتفع وغلا فى الكفر وأسرف فى المعاصى والظلم. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: ٣٥٦ / ٤.

٢- سورة الفجر / ١١.

٣- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) سورة الفجر / ١١، معناه: إن هؤلاء الذين ذكرناهم تجاوزوا فى الظلم الحد فى البلاد، وخرجوا عن حد القله وفسر ذلك بقوله: (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) سورة الفجر / ١٢، يعنى: أكثروا فى البلاد الفساد. التبيان، الطوسى: ٣٤٣ / ١٠، تفسير سورة الفجر. قال القرطبي فى تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) سورة الفجر / ١١، يعنى عادا وثمرودا وفرعون «طغوا»، أى: تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر فى الظلم والعدوان. تفسير القرطبي، القرطبي: ٤٩ / ٢٠، تفسير سورة الفجر.

٤- سورة الفجر / ١٢ / ١٤.

٥- سورة النبأ / ٢١.

إن الظلم والتفريط بحق الناس، والتفريط بحق النفس أو في حق الله تعالى، إنما يحدث باتباع الشيطان وهوى النفس، وتمتد جذور ذلك في تعلق الإنسان بالدنيا وانخداعه بزينتها وبالاهام التي تشكل بمجموعها ما يسمى بالتمدن^(١)، وهي أوهام لاحقيقه لها، ولعل ذلك ما يسألون عنه كما في (وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَّا تَنصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)).

وحول تفسير «أنهم مسؤولون»^(٣) روى عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) بأن العبد لا يخطو يوم القيامة خطوه قبل أن يسأل عن أربعة أشياء: عن شبابه كيف عاشه، وعن عمره كيف قضاه، وعن ماله كيف جمعه وكيف صرفه، وعن حُبنا نحن أهل البيت^(٤).

ويورد «القمي» في تفسيره روايه عن الإمام الصادق عليه السلام^(٥) يقول فيها أن الذي هم عنه «مسؤولون»^(٦) هو ولايه أمير المؤمنين عليه السلام^(٧).

-
- ١- التمدن: هو إجتماع الإنسان مع بنى نوحه للتعاون والتشاور فى تحصيل الملائم والحاجات. شرح أصول الكافى، المازندراني: ١ / ٢٤٥، كتاب العقل والجهل.
 - ٢- سورة الصافات / ٢٤ ٢٦.
 - ٣- سورة الصافات / ٢٤.
 - ٤- أنظر: الخصال، الشيخ الصدوق: ١ / ٢٥٣، لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع / ح ١٢٥.
 - ٥- تفسير الآيه لعلى بن إبراهيم القمى صاحب التفسير.
 - ٦- سورة الصافات / ٢٤.
 - ٧- أنظر: تفسير القمى، القمى: ٢/٢٢٢، سورة الصافات، خبر عمران الكواكب. و ٢/٤٤٠، تفسير سورة التكاثر.

وفى حديث شريف، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١): إن الناس كلهم يدخلون النار، ثم يبدأون بالخروج منها حسب أعمالهم فأول من يخرج، يكون خروجه كضوء البرق، والثاني يخرج كما تهب الريح، والثالث كركض الحصان، والأخير كالسير على الأقدام (٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: إن النار تقول للمؤمن يوم القيامة «أعبر بسرعه، فنورك يكاد يخمد لهيبى» (٣). وعندما يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن آية (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) (٤).

يقول عندما يدخل الصالحون الجنة، تسأل مجموعه، مجموعه أخرى: ألم يعدنا ربنا بأن ندخل النار جميعاً؟ فتجيب المجموعه الأخرى، لقد دخلتم لكن النار كانت قد بردت (٥).

١- الحديث مروى عن الإمام الصادق عليه السلام .

٢- أنظر: تفسير القمى، القمى: ٢٩ / ١، تفسير سوره الفاتحه.

٣- قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذا مر المؤمن على الصراط فيقول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سوره الفاتحه / ١، طفئت لهب النيران وتقول جز يامؤمن فإن نورك قد أطفأ لهيبى. جامع الأخبار، الشعيرى: ٤٢ ٤٣، الفصل الثانى والعشرون.

٤- سوره مريم / ٧١.

٥- عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَسِيْبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُرِئَ عَنْ (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) سوره مريم / ٧١، فَقَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَلَيْسَ قَدْ وَعَدَنَا رَبُّنَا أَنْ نَرِدَ النَّارَ فَيُقَالُ لَهُمْ قَدْ وَرَدْتُمُوهَا وَهِيَ خَائِبَةٌ. بحار الأنوار، المجلسى: ٢٥٠ / ٨، كتاب العدل والمعاد، باب ٢٤ النار أعادنا الله وسائر المؤمنين من لهبها.

ص: ٢٢٩

الفصل السابع: الميزان

اشاره

الميزان

يقول البارى عز وجل:

(وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) (١).

فى هذه الآيات يبين الله تعالى أن «الوزن» هو من الحقائق الثابتة يوم القيامة (٢)، ولعل المقصود بالجمع (الموازين) فى عبارته (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) (٣)، و(وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) (٤) هو عدد المرات التى يتم فيها الوزن، كما توضح هذه الآيات أن ثقل الوزن هو فى الحسنات، وخفه الوزن فى السيئات، رغم أن ظاهر

١- سورة الأعراف / ٩٨.

٢- قال الثعالبي فى تفسير قوله عز وجل: (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) سورة الأعراف / ٨، التقدير والوزن الحق ثابت أو ظاهر، يومئذ، أى: يوم القيامة. تفسير الثعالبي، الثعالبي: ٩ / ٣، تفسير سورة الأعراف.

٣- سورة الأعراف / ٨.

٤- سورة الأعراف / ٩.

الأمر يفترض أن يكون عكس ذلك (١)، كما يبدو من قوله تعالى:

(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (٢) و(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) (٣) و(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) (٤).

إن ثقل وزن الأعمال الصالحة، وخفه وزن السيئه، كما بينها الباري عز وجل، يعود إلى بقاء الحسنات والأعمال الصالحة، وفناء الأعمال السيئه (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) (٥).

١- قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) سورة الأعراف / ٩، أى: ثقلت سيئاته على حسناته. تفسير ابن كثير، بن كثير: ٣ / ٢٦٧، تفسير سورة الأنبياء. قال الطباطبائي: أما قوله: (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) سورة الأعراف / ٨، و(وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) سورة الأعراف / ٩، فإنما يعنى الحسنات توزن الحسنات والسيئات، فالحسنات ثقل الميزان والسيئات خفه الميزان. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨ / ١٧، تفسير سورة الأعراف. قال الطباطبائي فى تفسير قوله تعالى: (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) سورة الأعراف / ٨، ان الميزان الذى يذكره إما أن يثقل وهو رجحان الحسنات أو يخف وهو رجحان السيئات. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨ / ١٤٣، تفسير سورة الأعراف.

٢- سورة فاطر / ١٠.

٣- سورة المجادلة / ١١.

٤- سورة التين / ٥.

٥- سورة الرعد / ١٧.

وفى آيه أخرى يقول الله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِيطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (١) إذ وصف الموازين بالقسط، وبين الفرق في الوزن بين الحسنات والسيئات (٢).

ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما يتعلق ب(فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) (٣) قوله أن المقصود بذلك الحسنات. فالحسنات والسيئات يجرى وزنها، فتكون الأولى هي الثقل في الميزان أما الثانية «فوزنها قليل» (٤).

أما في «الاحتجاج» فورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المقصود بذلك، هو زيادة الحسنات أو قلتها (٥).

١- سورة الأنبياء / ٤٧.

٢- قال الطبري في تفسير قوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِيطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا...الآيه) سورة الأنبياء / ٤٧، ونضع الموازين العدل وهو القسط، وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِيطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ... إلى آخر) سورة الأنبياء / ٤٧، يعنى بالوزن: القسط بينهم بالحق في الأعمال والحسنات والسيئات فمن أحاطه حسناته بسيئاته ثقلت موازينه. ومن أحاطه سيئاته بحسناته فقد خفه موازينه. تفسير الطبري، الطبري: ٣٣ / ١٧، تفسير سورة النبأ.

٣- سورة المؤمنون / ١٠٢.

٤- أنظر: التوحيد، الصدوق: ٢٦٨، باب ٣٦ الرد على الثنويه والزنادقة / قطعه من حديث ٥.

٥- الاحتجاج، الطبرسي: ١/٢٤٤، احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلا عليه بأى من القرآن ونصه: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ - وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) سورة الأعراف / ٩٨، فهو قله الحساب وكثرته.

مما مضى يتضح معنى الآية التالية:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا) (١)، أى أن الأعمال إذا حبطت، فلن يظل مبرر لإقامه ميزان العدل الإلهي، وهذا الأمر يوضح لنا حقيقة مهمه وهى أن ميزان العدل يوم القيامة، يختص بالأعمال التى لم تحبط فقط (٢)، ومن هنا فإن الآية الواردة آنفاً (٣)، لا تتنافى مع هذه الآية (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) (٤).

إن هذا المبحث يساعدنا على إدراك معنى الروايات الواردة فى هذا الشأن. فقد رود فى الاحتجاج، أنه عندما سئل، الإمام الصادق عليه السلام من قبل الزنديق المشهور:

١- سورة الكهف / ١٠٥.

٢- قال الفيض الكاشانى فى تفسير قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) سورة الكهف / ١٠٥، بكفرهم فلا- يثابون عليها، (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا) سورة الكهف / ١٠٥، فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها. التفسير الصافى، الفيض الكاشانى: ٣ / ٢٦٧، تفسير سورة الكهف.

٣- سورة الأنبياء / ٤٧.

٤- سورة المؤمنون / ١٠٢ / ١٠٦.

هل توزن الأعمال؟ أجابه الإمام بالنفي، وبرر ذلك أن الأعمال ليست أجسام مادية، كما أن الذى يحتاج إلى وزن الأشياء، إنما هو الذى لا- يعرف عددها أو وزنها، أما البارى عز وجل، فلا تخفى عليه خفيه. فسأله الزنديق: إذن ما معنى «الميزان»؟، أجابه الإمام: يعنى العدل، فسأله الزنديق مره أخرى: إذن فما معنى عبارته (فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ) (١) الواردة فى القرآن؟ أجابه الإمام: يعنى الذى يرجح عمله (٢).

وفى «التوحيد»، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المقصود ب (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ) (٣)، إنما هو ميزان العدل الذى به يجرى تقييم أعمال كل العباد، وبه يأخذ لكل ذى حق حقه، ويجازى الظالم والغاصب (٤).

وفى «الكافى» ورد أن الإمام الصادق عليه السلام سئل عن (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (٥) فأجاب أن الموازين القسط هم الأنبياء والأوصياء (٦).

١- سورة المؤمنون / ١٠٢.

٢- أنظر: الاحتجاج، الطبرسى: ٢ / ٣٥١، احتجاج أبى عبد الله الصادق عليه السلام فى أنواع شتى من العلوم الدينيه.

٣- سورة الأنبياء / ٤٧.

٤- (التوحيد، الصدوق: ٢٦٨، باب ٣٦ الرد على الثنويه والزناده / قطعه من حديث ٥، وفيه النص: «قال الإمام على عليه السلام فى تفسير قوله تبارك وتعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) سورة الأنبياء / ٤٧، فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين».

٥- سورة الأنبياء / ٤٧.

٦- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) سورة الأنبياء / ٤٧، قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. الكافى، الكلينى: ١ / ٤١٩، كتاب الحج، باب فيه نكت وتنف من التنزيل فى الولاية / ح ٣٦.

وفيما تقدم من بحث، نجد الدليل على كلام الإمام عليه السلام .

ويروى صاحب الكافي (١) عن الإمام السجاد عليه السلام أن ميزان العدل الإلهي لا يقام للمشركين ولا تفتح صحائف أعمالهم، بل يرمون في جهنم جميعاً، ويؤكد الإمام أيضاً، أن ميزان العدل الإلهي لا يقام وصحائف الأعمال لا تفتح إلا للمسلمين (٢).

١- هو: محمد بن يعقوب الكليني، وقد مرت ترجمته.

٢- أنظر: الكافي، الكليني: ٨ / ٧٥، كتاب الروضة، كلام علي بن الحسين عليه السلام / ح ٢٩.

ص: ٢٣٧

الفصل الثامن: صحيفه الأعمال

اشاره

صحيفه الأعمال

يقول الله تعالى:

(وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) أَفَرَأَى كِتَابِيكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) (١).

يبين الله تعالى في هاتين الآيتين، أن «طائر» الإنسان، هو عمله الذي قام به في حياته (٢)، وهو مثبت وملازم للإنسان، ولذلك يعبر عنه القرآن الكريم بـ«في عنقه» (٣). فجميع أعمال الإنسان، سواء السيئ منها أو الحسن، يجرى تسجيلها، دون أن يشعر بذلك في الدنيا، ذلك أن حواس الإنسان (٤) تحس بما هو ظاهر

١- سورة الإسراء / ١٣ / ١٤.

٢- في التبيان: قال ابن عباس، ومجاهد وقتاده في معنى «طائره»، عمله من خير أو شر. التبيان، الطوسي: ٦ / ٤٥٥، تفسير سورة الإسراء. في المجمع: قيل عن الحسن، طائره: يمنه وشؤمه، وهو ما يتطير منه. تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ٦ / ٢٣٠، تفسير سورة الإسراء.

٣- سورة الإسراء / ١٣.

٤- قال الراغب الأصفهاني في الحاسه: القوه التي بها تدرك الأعراض الحسيه، والحواس المشاعر الخمس. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١١٦، كتاب الحاء وما يتصل بها، ماده «حس». قال الطريحي: الحواس: جمع حاسه كدواب جمع دابه، وهى المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وهذه الحواس الظاهره. أما الحواس الباطنه فهى: الخيال، والوهم، والحس المشترك والحافظه، والمتصرفه. مجمع البحرين، الطريحي: ١ / ٥١١، باب الحاء، ماده «حسس».

ومكشوف من الأحداث والحركات والأعمال، أما باطن الأمور، فيدركها من خلال الآثار والعلامات الداله عليها(١).

١- عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لَا تَدْرِكُ إِلَّا بِأَمْرَيْنِ بِالْحَوَاسِّ وَالْقَلْبِ، وَالْحَوَاسُّ إِذْرَاكُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ، إِذْرَاكًا بِالْمِدَاخِلِ وَإِذْرَاكًا بِالْمَمَاسِهِ وَإِذْرَاكًا بِالْمِدَاخِلِ وَلَا مِمَاسِهِ، فَأَمَّا الإِذْرَاكُ الَّذِي بِالْمِدَاخِلِ فَالْأَصْوَاتُ وَالْمَشَامُّ وَالطُّعُومُ وَأَمَّا الإِذْرَاكُ بِالْمَمَاسِهِ فَمَعْرِفَةُ الْأَشْكَالِ مِنَ التَّرْبِيعِ وَالتَّثْلِيثِ وَمَعْرِفَةُ اللَّيْنِ وَالْحَسَنِ وَالْحَرِّ وَالْبُرْدِ، وَأَمَّا الإِذْرَاكُ بِالْمَمَاسِهِ وَلَا مِدَاخِلِهِ فَالْبَصِيرُ فَإِنَّهُ يُدْرِكُ الْأَشْيَاءَ بِالْمَمَاسِهِ وَلَا مِدَاخِلِهِ فِي حَيْزٍ غَيْرِهِ وَلَا فِي حَيْزِهِ وَإِذْرَاكُ الْبَصِيرِ لَهُ سَبِيلٌ وَسَبَبٌ فَسَبِيلُهُ الْهَوَاءُ وَسَبَبُهُ الضِّيَاءُ فَإِذَا كَانَ السَّبِيلُ مُتَّصِحًا لَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْبُوبِ وَالسَّبَبُ قَائِمٌ أَدْرَكَ مَا يُلَاقِي مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْخَاصِ فَإِذَا حَمَلَ الْبَصِيرُ عَلَى مَا لَا سَبِيلَ لَهُ فِيهِ رَجَعَ رَاجِعًا فَحَكَى مَا وَرَاءَهُ كَالنَّاطِرِ فِي الْمِرْآةِ لَا يَنْفَعُ بَصِيرُهُ فِي الْمِرْآةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ رَجَعَ رَاجِعًا يَحْكَى مَا وَرَاءَهُ وَكَذَلِكَ النَّاطِرُ فِي الْمِيَاءِ الصَّافِي يَرْجِعُ رَاجِعًا فَيَحْكَى مَا وَرَاءَهُ إِذْ لَا سَبِيلَ لَهُ فِي إِنْغَاذِ بَصِيرِهِ فَأَمَّا الْقَلْبُ فَإِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الْهَوَاءِ فَهُوَ يُدْرِكُ جَمِيعَ مَا فِي الْهَوَاءِ وَيَتَوَهَّمُهُ فَإِذَا حَمَلَ الْقَلْبُ عَلَى مَا لَيْسَ فِي الْهَوَاءِ مَوْجُودًا رَجَعَ رَاجِعًا فَحَكَى مَا فِي الْهَوَاءِ فَلَا يَتَّبِعِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَحْمِلَ قَلْبُهُ عَلَى مَا لَيْسَ مَوْجُودًا فِي الْهَوَاءِ مِنْ أَمْرِ التَّوْحِيدِ جَلَّ اللَّهُ وَعَزَّ فَإِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَتَوَهَّمْ إِلَّا مَا فِي الْهَوَاءِ مَوْجُودٌ كَمَا قُلْنَا فِي أَمْرِ الْبَصِيرِ تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يُشَبِّهَهُ خَلْقَهُ. الكافي، الكليني: ١/ ٩٩، ١٠٠، كتاب التوحيد / ح ١٢.

أما فى النشأه الأخرى (الأخره) (١) فإن بواطن الأمور وخفاياها، تتكشف جميعها حيث (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) (٢) ومن هنا وصف القرآن، الطائر، بالكتاب الذى يفتح الإنسان ويقرأ ما فى داخله (٣).

يقول الله تعالى:

(أَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ) (٤).

١- قال الطوسى، الأخره: النشأه الأخرى. التبيان، الشيخ الطوسى: ٤ / ٤١٧. قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى) سورة النجم / ٤٧، أى: الخلق الثانى للبعث يوم القيامة، يعنى عليه أن يبعث الناس أحياء للجزاء. مجمع البيان، الشيخ الطبرسى: ٩ / ٣٠٤، تفسير سورة النجم.

٢- سورة إبراهيم / ٢١.

٣- عن ابن عباس فى تفسير قوله: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) سورة الإسراء / ١٣، قال: هو عمله الذى عمل، أحصى عليه فاخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل فقرأه منشورا. الدر المنثور، السيوطى: ٤ / ١٦٧، تفسير سورة الإسراء. قال الطباطبائى: فى تفسير قوله تعالى: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) سورة الإسراء / ١٣، إشاره إلى إن كتاب الأعمال بحقائقها مستور عن إدراك الإنسان محجوب وراء حجاب الغفله وإنما يخرج الله سبحانه للإنسان يوم القيامة فيطلععه على تفاصيله. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٣ / ٥٥ ٥٦، تفسير سورة الإسراء.

٤- سورة المجادله / ٦.

كما يقول:

(بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) (١).

وهنا نلاحظ استخدام «أبدا» و«أحصاه». وهى تخص أعمال الإنسان، لأن صحيفه الأعمال، لا تعنى أنها قائمه تدرج فيها الأعمال، بل أن الأعمال تتجلى أمامهم بذاتها وحققتها(٢).

١- سورة الأنعام / ٢٨.

٢- فى التبيان: قيل فى تفسير قوله تعالى: (بَلْ يَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) سورة الأنعام / ٢٨، معناه بل بدا من أعمالهم ما كانوا يخفونه، فأظهره الله وشهدت به جوارحهم. التبيان، الطوسى: ٤/١١١، تفسير سورة الأنعام. وقال ابن عجيبة فى تفسير قوله تعالى: (بَلْ بَدَا لَهُمْ) سورة الأنعام / ٢٨، أى: ظهر لهم يوم القيامة فى صحائفهم ما كانوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ فى دار الدنيا من عيوبهم وقبائح أعمالهم. البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة: ٢/ ١١٠، تفسير سورة الأنعام. وقال السدى فى تفسير قوله تعالى: (بَلْ يَدَا لَهُمْ) سورة الأنعام / ٢٨، بدت لهم أعمالهم فى الآخرة. وعنه أيضا فى قوله تعالى: (مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) سورة الأنعام / ٢٨، بدت أعمالهم فى الآخرة التى أخفوها فى الدنيا. تفسير القرآن العظيم، ابن أبى حاتم: ٤/ ١٢٧٩. وقال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) سورة الزلزله / ٦، وإراءتهم أعمالهم إراءتهم جزاء أعمالهم بالحلول فيه أو مشاهدتهم نفس أعمالهم بناء على تجسم الأعمال. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٢٠/ ٣٤٣، تفسير سورة الزلزله.

وفى هذه الآية يقول الله سبحانه وتعالى:

(يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَأْتَاتًا لِّيرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (١).

كما يقول تعالى:

(وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (٢) وآيات أخرى تودى نفس المعنى مثل:

(يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى) (٣) و(يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) (٤).

لقد أسلفنا الحديث عن حقيقته أن يوم البعث والنشور محيط بجميع مراتب الوجود ودرجاته.

وكما أن الأعمال تتجلى، فإن حقيقتها تتجلى أيضاً.

يقول الله تعالى:

(وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (٥)

١- سورة الزلزله / ٦ / ٨.

٢- سورة الأحقاف / ١٩.

٣- سورة الفجر / ٢٣.

٤- سورة القيامة / ١٣.

٥- سورة الجاثية / ٢٨.

و«الكتاب» المذكور في هذه الآية، هو ذلك المتضمن أعمالهم (١).

كما يقول أيضاً:

(هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (٢).

وهذا الكتاب هو (الكتاب المكنون) (٣) الذي سجل فيه ما حدث وما يحدث وما سيحدث (٤).

١- قال الفيض الكاشاني في معنى قوله تعالى: (كُلُّ أُمَّهَ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّهَ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) سورة الجاثية/٢٨، صحيفه أعمالها. التفسير الأصفي، الفيض الكاشاني: ٢ / ١١٦٢، تفسير سورة الجاثية. وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَتَرَى كُلَّ أُمَّهَ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّهَ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) سورة الجاثية/٢٨، ترى أنت وغيرك من الرأين كل أمه من الأمم جالس على الجثو، جلسه الخاضع الخائف كل أمه منهم تدعى إلى كتابها الخاص بها وهي صحيفه الأعمال. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٨ / ١٧٦، تفسير سورة الجاثية.

٢- سورة الجاثية / ٢٩.

٣- إشاره إلى قوله تعالى في سورة الواقعة / الآية ٧٨، ونصها: (فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ).

٤- قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) سورة الجاثية / ٢٩، هو أم الكتاب فيه أعمال بني آدم. جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٢٥ / ٢٠٣، تفسير سورة الجاثية. وقال الزركشي في تفسير قوله تعالى: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) سورة الجاثية / ٢٩، المراد جميع الكتب التي اقتضت فيها أعمالهم. البرهان، الزركشي: ٧ / ٢، النوع الثاني والثلاثون.

وقد ورد في الأخبار، أن نسخاً تأخذ من هذا الكتاب، ومنه أيضاً تؤخذ الأعمال، وهو كتاب يضم حقيقه الأعمال، وهو الحجه والمرجع لباقي الكتب(١) ولعله هو المذكور في الآيه الشريفه:

(وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ) (٢).

ورد في «الكافي»(٣) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ضمن أحد أحاديثه حول اللوح المحفوظ، أن اللوح هو الكتاب المكنون الذي تؤخذ عنه باقي النسخ(٤).

والاستنساخ هنا، يعنى نقل الشيء من مصدره الأصلي، وهذا معنى الكلام الإلهي:

(إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (٥).

١- أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢ / ٣٧٩ ٣٨٠، تفسير سوره القلم. بحار الأنوار، المجلسي: ٥٤ / ٣٦٦ ٣٦٧، كتاب السماء والعالم،

باب ٤ القلم واللوحة المحفوظ والكتاب الممين والإمام الممين وأم الكتاب / ح ٣.

٢- سوره الزمر / ٦٩.

٣- أورد هذا المعنى على بن ابراهيم القمي باسناده عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبدالرحيم القصير عن أبي عبدالله عليه السلام

٤- أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢ / ٣٧٩ ٣٨٠، تفسير سوره القلم. بحار الأنوار، المجلسي: ٥٤ / ٣٦٦ ٣٦٧، كتاب السماء والعالم،

باب ٤ القلم واللوحة المحفوظ والكتاب الممين والإمام الممين وأم الكتاب / ح ٣.

٥- سوره الجاثيه / ٢٩.

كما ينقل «العياشي» (١) في تفسيره، عن الإمام الصادق عليه السلام أن كتاب الإنسان (صحيفه أعماله)، تعطى له يوم القيامة فيقال له: إقرأ! وهنا يسأل الراوى، الإمام عليه السلام: وهل يتذكر الإنسان كل ما هو موجود في صحيفته، فيجيب الإمام: الله يذكره بها، فيتذكر كل رمشه عين أو خطوه قدم، أو قول أو عمل، وكأنه قام بها في تلك اللحظه، ولهذا يقول الإنسان حينذاك:

(يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) (٢)(٣).

وفى نفس التفسير (٤) روايه أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، تحمل مضموناً مقارباً لما جاء فى الروايه الآنفه الذكر (٥).

والجدير بالملاحظه هنا أن الإمام يفسر فى هذه الروايه، مفرد «القراءه» بمعنى «التذكر» (٦). الموضوع الآخر هو أن الله تعالى يقول:

١- مرت ترجمته.

٢- سورة الكهف / ٤٩.

٣- أنظر: تفسير العياشى، العياشى: ٢/ ٣٢٨، تفسير سورة الكهف / ح ٣٤.

٤- أى: تفسير العياشى.

٥- عن خالد بن نجیح عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله: (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ) سورة الإسراء / ١٤، قال: يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه كأنه فعله تلك الساعه، فلذلك قالوا: (يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) سورة الكهف / ٤٩. تفسير العياشى، العياشى: ٢/ ٣٢٨، تفسير سورة الكهف / ح ٣٥.

٦- الذكر: الحفظ للشيء، تذكره، وهو منى على ذكر. كتاب العين، الفراهيدى: ٥/ ٣٤٦، ماده «ذكر».

(نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) (١) وهذا يعنى أن ما يحصى على الإنسان ويسجل فى كتابه، هى أعماله وأفعاله التى يرتكبها، إضافه إلى الآثار المترتبه على هذه الأعمال، وفى النتيجة، فإن المحاسبه تكون على جميع ذلك (٢)، وعلى أساس هذا المفهوم يتوضح لنا معنى الآيه:

(يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) (٣).

ويورد «القمى» (٤) فى تفسيره، روايه عن الإمام الباقر عليه السلام ، حول كلمتى «قدم» و«أخر» الواردين فى الآيه السابقه (٥)، أن المقصود بها هى ما فعل بنفسه من خير وشر، وكذلك، ما ترتب على فعله فيما بعد، من آثار إيجابيه أو سلبيه، وأن

١- سورة يس / ١٢.

٢- قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) سورة يس / ١٢، أى: من الأعمال، وفى قوله تعالى (وَأَثَارَهُمْ) سورة يس / ١٢، قولان أحدهما نكتب أعمالهم التى باشروها بأنفسهم وآثارهم التى آثروها من بعدهم فنجزيمهم على ذلك أيضا إن خيرا فخير وإن شرا فشر. تفسير ابن كثير، ابن كثير: ٣/ ٥٧٢، تفسير سورة يس. قال الطباطبائى: فى تفسير قوله تعالى: (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) سورة يس / ١٢، والمعنى كل شىء أحصيناه إحصاء أو كل شىء كتبناه كتابا. والمعنى الجزاء موافق لإعمالهم لأنهم كانوا على حال كذا وكذا وقد حفظناها عليهم فجزيناهاهم بها جزاء وفاقا. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٢٠ / ١٦٩، تفسير سورة النبأ.

٣- سورة القيامة / ١٣.

٤- على بن ابراهيم القمى صاحب التفسير، مرت ترجمته.

٥- سورة القيامة / ١٣.

الحساب يتم عليها جميعها، فإن كان قد سن سنة حسنه، فله أجرها وأجر من عمل بها، فيحصل هو على أجر، بمقدار ما يحصل عليه المتبع لتلك السنه الحسنه (١).

بعد آيه (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ) (٢) يتبعها الباري عز وجل بقوله:

(وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (٣) وهنا يتضح أن اللوح المحفوظ (الذي عبر عنه القرآن هنا بالإمام المبين) هو أيضا مرجع وحكم في محاسبه العباد، كما في صحائف أعمالهم (٤). كما يتضح أن المقصود بـ«الكتاب» في آيه (هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) (٥) هو نفسه اللوح المحفوظ، لأن الكتاب وصف هنا بالإمامه، أى التابعيه، وفي الآيه السالفه (٦)، وصفه القرآن بهذه الصفه، حيث منه تؤخذ الأعمال... إذن فالإثنان، لها معنى واحد.

١- أنظر: تفسير القمى، القمى: ٢/ ٣٩٧ ٣٩٨، تفسير سوره القيامه.

٢- سوره يس / ١٢.

٣- سوره يس / ١٢.

٤- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) سوره يس / ١٢، قيل: معناه وكل شىء من أعمالهم حفظناه لنجازيهم به. تفسير مجمع البيان، الطبرسى: ١٠ / ٢٤٥، تفسير سوره يس. وقال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) سوره يس / ١٢، المراد وكل شىء حفظناه حال كونه مكتوبا، أى: فى اللوح المحفوظ أو فى صحائف الأعمال. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٢٠ / ١٦٩، تفسير سوره النبأ.

٥- سوره الجاثيه / ٢٩.

٦- سوره الجاثيه / ٢٩.

وفضلاً عن توضيح العديد من صفات هذا الكتاب، فإن القرآن وضح لنا حقيقة مهمه وهى أن العباد يأخذون كتابهم بطريقتين، تبعاً لصنف العباد، فقد جاء:

(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ أَوْتُوا كِتَابِيَهُ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ ... إلى قوله .. وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ (١).

فالمقصود باليمين والشمال هنا كما يبدو، طرفا الإنسان من حيث تفاوتهما فى القوه، على أساس حقيقه أن اليد اليمنى أقوى من اليسرى، أو طرفا السعاده والشقاء. والمؤكد أن المقصود ليس اليدان (اليمين واليسار)، كما تصوره بعض الرواه والمحدثين (٢) الذين يأخذون بظاهر الآيه (٣)، ذلك أن الله تعالى لم يقل «أوتى

١- سورة الحاقه / ١٨ ٢٤.

٢- الراوى: هو الذى ينقل الحديث بإسناده، سواء أكان رجلاً أم إمراه. علوم الحديث، صبحى صالح: ١٠٧، الباب الثانى التصنيف فى علوم الحديث، الفصل الأول. يقال للرجل الصادق الظن محدث، بفتح الدال مشدده. الصحاح، الجوهرى: ١/٢٧٩، ماده «حدث». ورجال حدث وحدث وحدث وحدث، بمعنى واحد: كثير الحديث، حسن السياق له كل هذا على النسب ونحوه. لسان العرب، ابن منظور: ٢/١٣٣، ماده «حدث».

٣- الظاهرية: أتباع أبى سليمان داود بن على الأصبهانى، وكان أول من أنتحل الظاهر، وأخذ بالكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من الرأى والقياس. والظاهرية، دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه، وجهز لا سرّ تحته، كله برهان لا مسامحه فيه. وكل من ادعى أن للديانه سرّاً وباطناً، فهى دعاوى ومخارق. وقالوا: لم يكتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الشريعه كلمه فما فوقها. موسوعه الفرق والجماعات، الحفنى: ٤٧١، باب الظاء، الظاهرية.

كتابه ليمينه أو شماله» بل قال: بيمينه وبشماله. والباء هنا سببه تفيد الواسطه، ولعل الآيه الشريفه التاليه خير دليل على ما نقول (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا) (١)، إذ ورد فيها «وراء ظهره» بدل «بشماله» وهذا دليل على أن المقصود هو ليس اليد اليسرى، إذ لا يمكن أن يعنى تعبير «وراء ظهره» ذلك.

والدليل الآخر، هو الآيه الشريفه:

(يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْنًا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (٢)، إذ نلاحظ أن القول الإلهي جاء «بإمامهم» وليس «لإمامهم» بينما تستخدم آيات أخرى «اللام» بدل «الباء» عندما لا يراد معنى الواسطه، فمثلاً (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا) (٣) ولم يقل الله تعالى: «بكتابتها». وخلاصه الأمر أن «الدعوه بالإمام» هي غير «الدعوه إلى الكتاب» (٤).

١- سورة الانشقاق / ١١٧.

٢- سورة الإسراء / ٧٢ ٧١.

٣- سورة الجاثية / ٢٨.

٤- قال الطوسي: اختلفوا في الإمام الذي يدعون به يوم القيامة، فقال مجاهد وقتاده: إمامه: نبيه. وقال ابن عباس: إمامه كتاب علمه. وروى أيضاً أن إمامهم: كتابهم الذي انزل الله إليهم فيه الحلال والحرام والفرائض والأحكام. التبيان، الطوسي: ٦ / ٥٠٤، تفسير سورة الإسراء. وقال أيضاً: في تفسير قول الله عز وجل: (كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا) سورة الجاثية/٢٨، معناه إلى كتابها الذي كان يستنسخ لها ويثبت فيه أعمالها. التبيان، الطوسي: ٩ / ٢٦١ ٢٦٢، تفسير سورة الجاثية.

وبعد أن يدعو الله تعالى (كُلُّ أَنَاْسٍ بِإِمَامِهِمْ) (١)، يأتى على تفاصيل ذلك فيقول تعالى أن مجموعه من هؤلاء يؤتون كتابهم بيمينهم، إذن، فهذا اليمين، هو ذاته الإمام الحق الذى يدعى به هؤلاء (٢) (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاْسٍ بِإِمَامِهِمْ) (٣) وبدل أن يقول الله بأن المجموعه الأخرى تؤتى كتابها بشمالها، جاء القول الإلهى:

(وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (٤).

ومن تغيير السياق هذا، ندرك أن إعطاء الكتاب بواسطة اليمين، يوم القيامة، يعنى ذلك النور المضىء (٥)، فالله يقول:

١- سورة الإسراء / ٧١.

٢- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاْسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) سورة الإسراء / ٧١، أن اليمين هو الإمام الحق. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٩ / ١٢٨، تفسير سورة الواقعة.

٣- سورة الإسراء / ٧١.

٤- سورة الإسراء / ٧٢.

٥- قال الطوسى: فى تفسير قوله تعالى: (نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) سورة الحديد / ١٢، قال ابن عباس: معناه يسعى نور كتابهم الذى فيه البشرى. التبيان، الطوسى: ١٠ / ٥١، تفسير سورة التحريم.

(يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) (١) و(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) (٢).

وهنا يتبين أن النور، هو ذلك الإمام، والمقصود بمناداه الناس به، هو التحاق كل مجموعه بإمامها (٣).

والحديث في هذا الموضوع يطول كثيراً، ولا مجال له في هذا البحث، لكن الخلاصه هي أن المقصود ب«اليمين» و«الشمال»، يمكن أن يكون السعاده والشقاء، وليس اليد اليمنى واليسرى (٤).

١- سورة الحديد / ١٢.

٢- سورة الحديد / ١٩.

٣- قال البلخي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ) سورة الإسراء / ٧١، بما كانوا يعبدونه، ويجعلونه إماما لهم. قال أبو عبيد: بما كانوا يأتون به في الدنيا. التبيان، الطوسي: ٦ / ٥٠٣ ٥٠٤، تفسير سورة الإسراء.

٤- قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ) سورة الواقعة / ٨ ٩، أصحاب اليمين والشؤم فإن السعده ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٥ / ١٧٨، تفسير سورة الواقعة. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) سورة الواقعة / ٨، فأصحاب الميمنه أصحاب السعاده واليمن مقابل أصحاب المشأمه أصحاب الشقاء والشؤم. قال أيضا في قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ) سورة الواقعة / ٩، المشأمه مصدر كالشؤم مقابل اليمين، والميمنه والمشأمه السعاده والشقاء. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٩ / ١١٦، تفسير سورة الواقعة.

ولعل في سوره الواقعة ما يدل على ما نقول:

(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) (١) و(وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ) (٢)، ومره أخرى يتحدث عنهم القرآن الكريم بعبارات أخرى (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) (٣).

ثم تأتي الآيات الشريفه لتوضح ذلك أكثر (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَتَنْزِيلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ) (٤).

إذ جاء «المكذبين الضالين» بدل «أصحاب الشمال». ومن هنا ندرك أن أصحاب الشمال هم أهل الشقاء، والمكذبون للحق، والضالون.

ويبدو أن هذه الآيه فيها إشاره إلى (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ... أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) (٥) إذ هي إشاره إلى الذين كذبوا وضلوا واختاروا الشقاء لأنفسهم (٦).

١- سوره الواقعة / ٢٧.

٢- سوره الواقعة / ٤١.

٣- سوره الواقعة / ٨ ٩.

٤- سوره الواقعة / ٩٠ ٩٤.

٥- سوره المؤمنون / ١٠٣ ١٠٦.

٦- قال فتح الله الكاشاني في تفسير قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) سوره المؤمنون/١٠٦، استعلت علينا سيئاتنا التي أوجبت لنا الشقاوه. وهي: سوء العاقبه والمضرة اللاحقه. ولما كانت سيئاتهم التي شقوا بها سبب شقاوتهم سميت شقاوه توسعا. زبده التفاسير، فتح الله الكاشاني: ٤/ ٤٦٧، تفسير سوره المؤمنون. قال الألوسي في تفسير قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) سوره المؤمنون / ١٠٦، أى: استولت علينا وملكتنا شقاوتنا التي اقتضاها سوء استعدادنا كما يومىء إلى ذلك إضافتها إلى أنفسهم. روح المعانى في تفسير القرآن العظيم، الألوسي: ٩/ ٢٦٦، قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) سوره المؤمنون / ١٠٦، أن الشقوه غلبت فأشغلت المحل وكانت الشقوه شقوه أنفسهم، أى شقوه لازمه لسوء اختيارهم وسيئات أعمالهم لأنهم فرضوا أنفسهم خاليه عن السعاده والشقوه لذاتها فانتساب الشقوه إلى أنفسهم وارتباطها بهم إنما هي من جهه سوء اختيارهم وسيئات أعمالهم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٥ / ٧٠، تفسير سوره المؤمنون.

لقد قلنا فيما مضى أن هذه الآية (١) تخص أهل الشقاء من أتباع الأديان الضالين أو الناكثين لعهد أئمة الحق. أما الكفار المنكرين لله تعالى والأديان، فلا تشملهم هذه الآية. لأن الله لا يضع لهؤلاء ميزاناً أو قيمه، لذلك، لا يوجد لهؤلاء كتاب، ولا حساب، بل يأخذون طريقهم إلى العذاب مباشرة (٢).

١- سورة المؤمنون / ١٠٦.

٢- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) سورة الكهف / ١٠٥، أى: لا قيمه لهم عندنا، ولا كرامه، ولا نعتد بهم، بل نستخف بهم، ونعاقبهم. مجمع البيان، الطبرسى: ٦ / ٣٩٢، تفسير سورة الكهف. قال القرطبي فى تفسير قول الله عز وجل: (فَلَمَّا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) سورة الكهف / ١٠٥، أنهم لا- ثواب لهم، وأعمالهم مقابله بالعذاب، فلا حسنه لهم توزن فى موازين القيامة ومن لا حسنه له فهو فى النار. تفسير القرطبي، القرطبي: ١١ / ٦٦، تفسير سورة الكهف.

والخلاصه، أن أصحاب الشمال هم أهل الشقاء والضالون ولهذا فإنهم يقولون كما ينقل عنهم الباری عز وجل :

(مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ) (١) إذ أن ذلك (المال والسلطان) حرفهم عن الحق، رغم اعترافهم وإقرارهم به.

إذن، فكل من الفريقين يدعى بإمامه، فيلتحق به، وبواسطته يؤتى كتابه. والالتحاق بالإمام هو ما ذكرته الروايات بـ«السعادة» و«الشقاء» الذاتيين، والذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد.

إن أهل الشقاء، يتلقون كتابهم بشمالهم، ومن خلف ظهورهم، لأن أئمتهم أمامهم، لكن وجوههم منقلبه إلى الورا (٢).

والله تعالى يقول حول فرعون: (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) (٣) كما يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ

١- سورة الحاقه / ٢٨ ٢٩.

٢- قال المشهدى: فى تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... نَطْمِسُ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا) سورة النساء / ٤٧، قيل: نكسها إلى ورائها فى الدنيا أو فى الآخرة. تفسير كنز الدقائق، المشهدى: ٢ / ٤٧٠، تفسير سورة النساء. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) سورة الانشقاق / ١٠، ولعلمهم إنما يؤتون كتبهم من وراء ظهورهم لرد وجوههم على أدبارهم كما قال تعالى: (مَنْ قَبِيلٍ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا) سورة النساء / ٤٧. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٢٠ / ٢٤٣، تفسير سورة الانشقاق.

٣- سورة هود / ٩٨.

أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا) (١) وكذلك يقول: (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) (٢).

وقد ذكرنا فيما مضى أن النور هو الإمام الحق (٣).

إن الإنسان، بوجوده المادى الدينوى، وبشكله الذى خلقه الله تعالى، يكون وجهه إلى الإمام، وله ظهر وطرف أيمن وأيسر. وعندما يختار الإنسان طريق الشقاء والضلال، ويتبع هواه ورغباته، فهو فى الواقع، يشيح (٤) بوجهه عن الحق، وعندما يقف بين يدى ربه، يوم القيامة ويبدأ الحساب، يحشر هذا الإنسان، ووجهه إلى الورا، وكالأعمى، فلا يرى شيئاً، وهو مذهولاً لا يدرى إلى أين يسير، وماذا يفعل، وماذا سيواجه.

إن الإمام الحق، والذين يدعون بواسطته، يملك إشرافاً وهيمنه (٥) قاهره على

١- سورة النساء / ٤٧.

٢- سورة الحديد / ١٣.

٣- أنظر: الفصل الثامن، صحيفه الأعمال.

٤- أشاح بوجهه: أعرض. الصحاح، الجوهري: ٣٧٩ / ١، ماده «شيح». إذا نحى الرجل وجهه عن وهج أصابه أو عن أذى، قيل: قد أشاح بوجهه. لسان العرب، ابن منظور، ٢/٥٠١، ماده «شيح».

٥- فى لسان العرب: المهيمن: هو الرقيب، يقال هيمن يهيمن هيمنه: إذا كان رقيباً على الشىء. لسان العرب، ابن منظور: ٤٣٧ / ١٣، ماده «همن». قال الزبيدى: هيمن على كذا: صار رقيباً عليه وحافظاً. تاج العروس، الزبيدى: ٣٦٧ / ٩.

الإمام الباطل ومجموعه، والله تعالى يقول:

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (١) حيث تطلق الآية اسم «الإمام» على الكتاب الذى يضم كل الأمور، بما فى ذلك الشقاء والسعادة، والسيء والصالح (٢)، والله جل وعلا يقول أيضاً:

(هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسِيحًا مَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٣)، وعلى أساس هذه الآية، فإن «الإمام» الذى هو «الكتاب» (٤)، يتولى القضاء بحق كلا الفريقين، الأشقياء والسعداء، وهو الشاهد عليهم جميعاً (٥).

١- سورة يس / ١٢.

٢- عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) سورة الإسراء / ٧١، قال: الإمام: ما عمل وأملى، فكتب عليه. جامع البيان، ابن جرير الطبرى: ١٥ / ١٥٨، تفسير سورة الإسراء / ح ١٦٩٩٠. قال ابن كثير فى تفسير قول الله عز وجل: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) سورة الإسراء / ٧١، أى: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر. تفسير ابن كثير، ابن كثير: ٣ / ٥٧٤، تفسير سورة يس.

٣- سورة الجاثية / ٢٩.

٤- عن أبى عبد الله عليه السلام: فى قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ) سورة الحاقة / ١٩، ٢٠، الكتاب: الإمام. تفسير العياشى، العياشى: ٢ / ٣٠٢، تفسير سورة الإسراء / ح ١١٥.

٥- قال الطبرسى فى تفسير قول البارى عز وجل: (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ) سورة المؤمنون / ٦٢، عند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق، أى: يشهد لكم وعليكم بالحق، كتبه الملائكة بأمرنا. مجمع البيان، الطبرسى: ٧ / ١٩٨، تفسير سورة المؤمنون.

وهذا لا يتنافى مع ما قلناه سابقاً حول الفرق بين «الدعوه إلى الكتاب» و«الدعوه بالإمام».

ذلك أن الله تعالى لم يصف صحائف الأعمال ب«الإمامه»، بل وصفها بالاقتران والتابعيه، فقال:

(وَكُلِّمَ إِنْشِيَانِ أَلْزَمْنَا طَائِرَهُ) (١) بينما وصف «اللوحة المحفوظة» فقط بالإمامه، باعتبار أن الأعمال تؤخذ منه. إذ أن صحيفه الأعمال، تؤخذ من هذا اللوح.

ويجب التذكير هنا أن الله تعالى، فسر الإمامه، ب«الولاية» (٢) في العديد من الآيات (٣)، لكن استخدم «الولاية» فقط، عندما تحدث عن ذاته جل شأنه، لأن الإمامه تتضمن وحده النوع (٤) بين الإمام والمأموم.

١- سورة الإسراء / ١٣.

٢- قال الطباطبائي: الإمام هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامه بحسب الباطن هي: ولاية للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إياهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد ارائه الطريق الذي هو شأن النبي والطريق وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظه الحسنه. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١ / ٢٧٢، تفسير سورة البقره.

٣- (نذكر لكم آيات فيها كلمه (الإمامه) والتي أشاره إلى الولاية: سورة البقره / ١٢٤، ونصها: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). سورة الفرقان / ٧٤، ونصها: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا).

٤- النوع: أسم دال على أشياء كثيره مختلفه بالأشخاص. التعريفات، الجرجاني: ١٣٥، باب النون، النوع. النوع في اللغة: الصنف من كل شيء. والنوع في اصطلاح المناطقه: هو الكلى المقول على كثيرين مختلفين بالعدد في جواب ما هو، كالإنسان لزيد، وعمر، وبكر. وقيل: إنه المعنى المشترك بين كثيرين متفقين بالحقيقه، ويندرج تحت كلى أعم منه، وهو الجنس كالحيوان، فإنه جنس الإنسان. المعجم الفلسفى، صليبا: ٢ / ٥١١، باب النون، النوع.

وخلصه الأمر أن الإمام الحق، هو ولي المؤمنين، والإمام الباطل، ولي الكافرين (١).

وبدرك هذه الحقائق، سنحل عقده الكثير من معاني الأحاديث التي تقول أن أصحاب الولاية، يتولون القضاء بين الناس يوم القيامة (٢).

١- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ) سورة الإسراء / ٧١، المراد بإمام كل إنسان من يأتون به في سبيل الحق والباطل. وقال أيضا: أن المراد بإمام كل إنسان في الآية من ائتموا به سواء كان إمام حق أو إمام باطل. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٣ / ١٦٥ / ١٦٦، تفسير سورة الإسراء.

٢- عَنْ سَعْدَانَ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّاسُ فِي الطَّوَافِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: يَا سَمَاعَةُ إِنِّي أَبُ هَذَا الْخَلْقِ وَعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّمْنَا عَلَى اللَّهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابْنَا إِلَى ذَلِكَ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ إِسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وَعَوَّضَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. الكافي، الكليني: ٨ / ١٦٢، حديث الناس يوم القيامة / ح ١٤. عن أبي سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوم القيامة يأمر الله عز وجل فأقعد أنا وعلى على الصراط ويقال لنا أدخلوا الجنة من آمن بي وأحبكمما وأدخلوا النار من كفر بي وأبغضكمما وفي لفظ ألقيا في النار من أبغضكمما وأدخلوا الجنة من أحبكمما. المناقب، ابن شهر آشوب: ٢ / ١٥٨، باب ما تفرد من مناقبه أمير المؤمنين عليه السلام، فصل في أنه جواز الصراط وقسيم الجنة والنار.

يقول الله تبارك وتعالى (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (١) و«السابقون المقربون» هم أولئك العباد «المخلصون» الذين تحدثنا عنهم ضمن موضوع النفخ فى الصور، و«الإحضر» و«الميزان».

فأمثال هؤلاء يستنون من إعطائهم كتابهم، كما يستنون من الفرع وغيره.

وعلى هذا، فإن حكم «إعطاء الكتاب وصحيفه الأعمال» يجرى على الذين يرتكبون سيئات، أو حسنات، ويستثنى منه فريقان، الأول: العباد المخلصون والثانى: المعاندون والمنكرون الذين سلف الحديث عنهم.

يقول الله تعالى:

(وَكَمَلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) (٢) وهذا يشمل الذين عملوا حسنات وسيئات وأما «المخلصون» الذين بلغوا فى حسناتهم مراتب عليا، وكذلك الذين حبطت أعمالهم، كمكذبي الأنبياء ومنكرى يوم القيامة. فهم لا- يتعرضون للحساب ولا- يعطون كتابهم يوم القيامة.

واستمراراً لنفس الآيه السابقه نقرأ (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) (٣).

١- سوره الواقعه / ١١٧.

٢- سوره الإسراء / ١٣.

٣- سوره الإسراء / ١٣.

ويحتمل أن يكون هذا الكتاب، هو غير «الطائر» الذى يعلق فى عنق الإنسان (المقترن به) (١) ولو كان هذا الكتاب هو نفسه «الطائر»، لجاءت الآية: ونخرجه كتاباً بينما النص جاء (وُنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) (٢).

وسياق الآية هذا يتفق مع آيات أخرى مثل:

(وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) (٣).

وبعدها الآية:

(اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) (٤).

فمن هذه الآية، يتضح لنا أن «الكتاب» و«طريقه قراءته» يختلفان عما هو معروف فى الحياه الدنيا.

يقول الله تعالى:

(يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) (٥).

١- قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) سورة الإسراء / ١٣، أن المراد بالطائر هو كتاب الأعمال دون كتاب القضاء كما يدل عليه قوله: (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) سورة الإسراء / ١٤. الميزان فى تفسير الميزان، الطباطبائى: ٣٧٤ / ١٥، تفسير سورة النمل.

٢- سورة الإسراء / ١٣.

٣- سورة التكوير / ١٠.

٤- سورة الإسراء / ١٤.

٥- سورة القيامة / ١٣.

وهذه الآيه تتحدث عن تفاصيل أعمال الإنسان التي ارتكبتها في حياته، والتي يذكر بها يوم القيامة (١).

أما الآيه (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) (٢) فتتحدث عن وضع الإنسان بشكل إجمالي وعام، وتبين أن التفاصيل يعرفها الإنسان بنفسه (٣). وقد تحدثنا فيما مضى عن كيفية قراءه الإنسان لكتابه (٤)... والله أعلم.

١- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) سورة القيامة / ١٣، أى: يخبر بجميع ما عمله، وما تركه من الطاعات والمعاصى. البيان، الطوسى: ١٠ / ١٩٤، تفسير سورة القيامة. قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى: (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) سورة القيامة / ١٣، أى: يخبر الإنسان يوم القيامة بأول عمله وآخره، فيجازى به. مجمع البيان، الطبرسى: ١٠ / ١٩٥، تفسير سورة القيامة.

٢- سورة القيامة / ١٤.

٣- فى المجمع: قيل فى تفسير قوله تعالى: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) سورة القيامة / ١٤، إن المعنى بل الإنسان على نفسه عين بصيره. مجمع البيان، الطبرسى: ١٠ / ١٩٢، تفسير سورة القيامة. فى غريب القرآن: يقال فى تفسير قوله تعالى: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) سورة القيامة / ١٤، معناه الإنسان بصير فى نفسه. تفسير غريب القرآن، الطريحي: ٢٢٨.

٤- أنظر: الفصل الثامن، صحيفه الأعمال.

الفصل التاسع: الشهداء فى يوم البعث

اشاره

الشهداء في يوم البعث

إشاره

يقول البارى عزوجل عن الشهداء:

(وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (١).

وفى آيات أخرى عديده (٢)، أطلق القرآن الكريم صفه الشهداء (بمعنى الشاهدين) (٣) على عده مجموعات، باعتبارهم يشهدون على الأعمال فى يوم

١- سورة الزمر / ٦٩.

٢- وردت كلمه «شهداء» فى كثير من آيات القرآن الكريم تشير إلى أن هناك من يشهدون على الناس وعلى الأعمال نجزل بعض منها للاستشهاد: سورة آل عمران / ١٤٠، ونصها: (إِنْ يَمْسَسِيكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَمَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ). سورة الحج / ٧٨، ونصها: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ).

٣- الشاهد: هو فى اللغة عباره عن الحاضر، وفى إصطلاح القوم عباره عما كان حاضراً فى قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الوجد، فهو شاهد الوجد، وإن كان الغالب عليه الحق، فهو شاهد الحق. التعريفات، الجرجانى: ٧٢، باب الشين، الشاهد.

القيامة (١).

إن الشهادة على الشيء، هي إدراكه عن طريق الحضور والرؤية، وهذه هي مرحلة استلام الشهادة والحصول عليها، أما المرحلة الثانية، فهي تأييد وقوع ذلك الشيء وتسمى مرحلة «أداء الشهادة» (٢). وواضح أن الشهادة على الأعمال، في يوم القيامة. لا يقتصر على ظواهر الأمور والحوادث والأعمال، بل هي شهادة على بواطنها وخفاياها، من حيث الطاعة والمعصية، أو السعادة والشقاء، ذلك أن الحكم يستند إلى تأييد الشهداء، والذي يقضى هو «أحكم الحاكمين» (٣).

١- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) سورة البقرة / ١٤٣، فيه ثلاثة أقوال: الأول: إن المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة. الثاني: إن المعنى لتكونوا حجة على الناس، فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول عليكم شهيدا، مؤيدا للدين إليكم، وسمى الشاهد شاهداً لأنه يبين ولذلك يقال للشهادة بينه. الثالث: إنهم يشهدون للأنبياء على أممهم المكذبين لهم، بأنهم قد بلغوا، وجازوا لأعلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهم بذلك. مجمع البيان، الطبرسي: ١ / ٤١٨، تفسير سورة البقرة.

٢- الشهادة: هي إخبار المرء بما رأى، أو إقراره بما علم عن يقين. يطلق لفظ الشهادة على فعل الشاهد، فتقول: شهد على كذا شهادة، أي: أخبر به خبراً قاطعاً. المعجم الفلسفي، صليبا: ١ / ٧٠٩، باب الشين، مادة «الشهادة».

٣- سورة هود / ٤٥.

من هنا فإن الشهادة تأتي على حقائق الأمور وبواطنها(١).

إن الإدراك الكامل لحقائق الأمور، أمر لا يبلغه، إلا الذين يطلعون على جذور الأمور ومنشأها، وكذلك يطلعون على النيات والخفايا والدوافع. ومن هنا، فإن الشهادة في يوم القيامة تمثل تكريماً وتجليلاً لمقام الشاهد(٢).

(لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَنِّهِ) (٣).

كما أنها محصوره بأولئك الذين حظوا في الدنيا بمنزله تؤهلهم للاطلاع على الخفايا والنوايا. يقول الباري جل وعلا- (لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) (٤) والصواب، هو عكس الخطأ(٥).

١- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَلَمَّا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة الزخرف / ٨٦، الشهادة: هي تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا من سعادته أو شقاءه، ورد وقبول، وانقياد وتمرد، وأداء ذلك في الآخرة يوم يستشهد الله من كل شيء، حتى من أعضاء الإنسان. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/٣٢١، تفسير سورة البقره.

٢- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَلَمَّا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة الزخرف / ٨٦، أن هذه الكرامه ليست تنالها جميع الأمم، إذ ليست إلا- كرامه خاصه للأولياء الطاهرين منهم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١ / ٣٢١، تفسير سورة البقره.

٣- سورة هود / ١٠٥.

٤- سورة النبأ / ٣٨.

٥- قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: (وَقَالَ صَوَابًا) سورة النبأ / ٣٨، والصواب موافقه الغرض الحكمي. ونقيضه الخطأ، وهو مخالفه الغرض الحكمي. التبيان، الطوسي: ١٠ / ٢٤٩، تفسير سورة النبأ.

كما يقول تعالى (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (١).

إذن فالشهادة في ذلك اليوم لا تقوم إلا للذين نزهت أعمالهم من كل خطأ وزلل.

من جانب آخر، فإننا لو أمعنا النظر في قدره حواس الإنسان (٢) وقواه الظاهرية، لرأيناها عاجزه عن إدراك بواطن الأمور والأعمال، حتى لو تعاملت معها بشكل مباشر، فضلاً عن الغائبين. والبعيد عن دائره إدراكها.

لأن الاطلاع على خفايا الغير، وهم في غياب عن الشاهد، أمر مستحيل إذا افترضنا أن «اطلاعه» يتم بالحواس الظاهرية المعروفة. لكن هذا الأمر سيكون قابلاً للإقناع، إن إدراك الشاهد لبواطن الأمور والأعمال، يتم بقوه، هي ما وراء قدره الحواس الظاهرية، قوه يمكنها الاطلاع على النوايا والخفايا، للغائب والحاضر على حد سواء.

١- سورة الزخرف / ٨٦.

٢- قال الراغب الأصفهاني: الحاسه: القوه التي بها تدرك الأعراض الحسيه، والحواس: المشاعر الخمس. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١١٦، ماده «حس». قال الطريحي: الحواس: جمع حاسه كدواب جمع دابه، وهي المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وهذه الحواس الظاهره. مجمع البحرين، الطريحي: ١ / ٥١١، ماده «حسس».

هذه القوه هي فى الواقع نور غير مادى، لا يحتاج إلى ما يحتاجه النور العادى، من مستلزمات الحال والزمان والمكان، بل هو نور يمكن بواسطته رؤيه باطن الإنسان ونواياه، وتمييز «الطيب» من «الخبث»، و«الطاهر» من «غير الطاهر».

يقول الله تعالى:

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِّيْنَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِّيُونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ (١) وكذلك:

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢).

وقد أشرنا فى الفصل السابق إلى أن أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، يؤتون كتابهم كل بواسطه إمامه (٣). يقول الله تعالى:

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤).

١- سورة المطففين / ١٨ ٢١.

٢- سورة المطففين / ١٠٧.

٣- إشاره إلى قوله تعالى من سورة الإسراء/ الآية ٧١، ونصها: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَمَّا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا). ومن سورة الحاقه/ الآية ٢٥، ونصها: (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ).

٤- سورة التوبه / ١٠٥.

وهذه الآيه، لا تخص في خطابها فريق المنافقين، بل تخاطب الناس جميعاً. ومن هنا فإن أعمال المؤمنين أيضاً ستخضع لـ «الرؤية» من قبل الله تعالى ورسوله والمؤمنين.

كما أن «المؤمنين» الذين وضعتهم الآيه إلى جانب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كناظرين للأعمال، هم بالتأكيد فريق خاص من المؤمنين، يتميزون عن غيرهم. كما نفهم من هذه الآيه، أن «رؤيه» أعمال الناس من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، إنما تتم على أساس ما ينبئ الله تعالى الناس، بما كانوا يعملون.

ينقل على بن إبراهيم القمي (١) في تفسيره؛ روايه عن الإمام الصادق عليه السلام، مفادها أن حسنات العباد وسيئاتهم تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل صباح، ولهذا يحذر الإمام عليه السلام العباد من ارتكاب المعاصي ويدعوهم إلى الخجل من أن تعرض معاصيهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

أما «العياشي» (٣) فينقل روايه عن الصادق عليه السلام حول آيه (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (٤).

١- مرت ترجمته.

٢- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أعمال العباد تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل صباح أبارها وفجارها فاحذروا، فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح. تفسير القمي، القمي: ١ / ٣٠٤، تفسير سورة التوبه، خطبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تبوك، توبه أبي لبابه.

٣- مرت ترجمته.

٤- سورة التوبه / ١٠٥.

يقول فيها أن المقصود بـ«والمؤمنون»، هم الأئمة(١).

وهناك روايات عديدة أخرى وردت في كتب التفسير والحديث حول هذا الموضوع(٢).

وخلاصه الأمر، أن مرحلتى التلقى والحصول على الشهادة وأدائها، والجزاء على أساسها، كل ذلك يتم استناداً إلى الأعمال ذاتها، وهذه الأعمال هي التي تنطق وتحدث عن نفسها.

يقول تبارك وتعالى:

(وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ) (٣).

١- قال أبو عبدالله عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ) سورة التوبة / ١٠٥، هم الأئمة. تفسير العياشى، العياشى: ٢ / ١٠٩، تفسير سورة البراءة ح / ١٢٥.

٢- عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام أن أبا الخطاب كان يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه أعمال أمتة كل خميس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو هكذا ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه أعمال الأئمة كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروا، وهو قول الله: (فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) سورة التوبة / ١٠٥. تفسير العياشى، العياشى: ٢ / ١٠٩، تفسير سورة البراءة ح / ١٢٢. عن الصادقين عليهما السلام عن الله تعالى وقد قال الله عز وجل: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) سورة التوبة / ١٠٥، يعنى: الأئمة عليهم السلام. أوائل المقالات، المفيد: ٧٩، القول فى الحساب وولاته والصراط والميزان.

٣- سورة الزمر / ٦٩ / ٧٠.

مراتب الشهداء

الشهداء، مجموعات مختلفه، ومراتب عدّه، فالمرتبه الأولى يحتلها الأولياء والمقربون، مثل الأنبياء والصالحون(١).

والله تعالى يقول:

(وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) (٢).

ولعل الفصل بين النبيين والشهداء هنا، هو لتكريم مقام الأنبياء.

كما يقول جل وعلا (وَيَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَأُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) (٣).

فالأمة هنا، هي مجموعه من الناس، وعندما يقرن الحديث عن أمه، بنبي أو زمان أو مكان، فإنها تتميز عن الأمم الأخرى.

وبما أن «الأمة» في الآية السابقة لم تقرن بشيء آخر، فإنها تعنى هنا، جميع الأمم، وتشمل في خطابها، ولي وشهيد كل أمه من الأمم.

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أفضل الخلق يوم يجمع الله الرسل، وإن من أفضل الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم إن أفضل كل أمه بعد نبيها وصى نبيها... ثم إن أفضل الناس بعد الأوصياء الشهداء... الحديث. تفسير فرات، فرات الكوفي: ١١٢، تفسير سورة النساء / قطعه من الحديث ١١٣.

٢- سورة الزمر / ٦٩.

٣- سورة النحل / ٨٤.

رغم أنه قد يوجد داخل أمه كل نبي عدد من الأولياء (١)، فالله تعالى يقول:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (٢).

وعلى أساس ما قلناه سابقاً حول معنى الشهيد، يتضح لنا أن هذا المقام (الشهادة) لا يمنح لكل أفراد أمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، بل إن المقصود بذلك، بعض أفراد الأمة، رغم أن ظاهر الآية، يخاطب كل أفرادها. ولعل السبب هو أن هذه المجموعه الخاصه تنبثق من هذه الأمة.

هذا الأسلوب فى الحديث، أمر طبيعى ومتداول، فالله تعالى يقول فى آيه أخرى:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (٣) إلا أن وصف «الأشداء» لا يشمل كل من هو مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رغم أن ظاهر الآية هكذا.

١- قال القرطبي فى تفسير قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) سورة النحل / ٨٩، وهم الأنبياء شهداء على أممهم يوم القيامة. فى كل زمان شهيد وإن لم يكن نبيا. وفى كلمه شهيد قولان: أحدهما أنهم أئمه الهدى الذين هم خلفاء الأنبياء. الثانى أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه. تفسير القرطبي، القرطبي: ١٠ / ١٦٤، تفسير سورة النحل.

٢- سورة البقره / ١٤٣.

٣- سورة الفتح / ٢٩.

إذ من المؤكد أن المقصود بذلك، بعض أتباع النبي، خاصة وأن هناك إجماع بأن بعض الذين كانوا مع النبي، هم من المنافقين والفاسقين، ولا يمكن لصفه «الأشداء» أن تنطبق عليهم. وهناك حالات مشابهة عديده، يوجه فيها الخطاب إلى العموم بينما المقصود، هو مجموعه خاصه منهم.

على هذا، فإن شهداء الأمة، مجموعه خاصه، تشهد على الناس، أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو بدوره شاهد على أفرادها. أى أن هذه المجموعه، تمثل حاله وسطيه بين الأمة ونبيها، كما ورد فى الآيه السالفه الذكر(١).

وفى آيه أخرى يقول عز وجل:

(... هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ...) (٢).

فهذه الآيه أكثر صراحه فى توضيح أن شهداء الأمة، هم مجموعه خاصه. وفى عبارته «هو سماكم المسلمين» (٣) إشاره إلى دعاء إبراهيم عليه السلام (٤) وابنه

١- سورة البقره / ١٤٣.

٢- سورة الحج / ٧٨.

٣- سورة الحج / ٧٨.

٤- إبراهيم الخليل عليه السلام أبو الضيفان إبراهيم، وقيل: إبراهيم، أو إبراهيم، أو إبراهيم بن تارح، وقيل: تارح بن ناحور بن سروج، وقيل: ساروغ بن رعو، وقيل: أرعو، وقيل: راغو بن فالج، وقيل: فالغ بن عابر بن شالح، وقيل: شالح بن أرفخشذ، وقيل: أرفكشاذ بن سالم ابن نبي الله نوح عليه السلام، الملقب بخليل الله، وأمه أميله، وقيل: عوشاء، وقيل: بونا بنت كريتيا بن كرتي. هو أبو الأنبياء، وأحد الأنبياء أولى العزم، أصحاب الشرائع العامه، وجدّ العبرانيين والعرب المستعربه من ابنه إسماعيل عليه السلام. ولد فى غار بقرية كوثى، وقيل: كوثار من أرض بابل، وقيل: ولد بغدان آرام من قرى الكوفه، وقيل: بمدينه أور من بلاد الكلدانيين، وقيل: بالسوس، وقيل: ولادته فى برزه شرقى دمشق سنه (١٩٩٦) قبل ميلاد المسيح عليه السلام. أنزل الله عليه عشرين صحيفه تعرف بصحف إبراهيم عليه السلام. عرف بين قومه بالحلم ورقه القلب والبر مع الآخرين، ووهبه الله العلم والحكمه والهدايه والبركه والرحمه، وجعل النبوه والإمامه فى ذريته ونسله عدا الظالمين منهم. والأنبياء الذين جاءوا من بعده كانوا ينسبون أديانهم إلى دينه. توفى بفلسطين فى أواخر القرن العشرين، أو أوائل القرن الحادى والعشرين قبل ميلاد المسيح، فدفنه ولده إسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام بمغاره المكفيله فى حقل عفرون، وقيل: دفن فى قرية أربع أو المربعه قرب بيت المقدس عند زوجته ساره. أعلام القرآن، الشبستري: ٢٢ ٢٥، إبراهيم الخليل عليه السلام.

إسماعيل(١) عليه السلام عند بناء الكعبة: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً

١- نبى الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام : هو إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن تارح بن ناحور بن سروج، ويتصل نسبه بنبى الله نوح عليه السلام ، وأمه هاجر المصريه، ويعرف بالذبيح، واسمه بالعبريه يشمعييل أو إسموئيل أو إصموئيل. أحد الأنبياء الذين بعثهم الله إلى الناس لإرشادهم وهدايتهم إلى الحق والصواب، وكان عظيم الشأن، راسخ الإيمان، ومعروفاً بالصبر والصدق والحلم. يعد أول من تكلم بالعربيه الفصحى وكتب بها، وأول من ركب الخيل. توفى بمكه، وقيل: بفلسطين، وقبره بمكه قرب قبر أمه هاجر، عند حجر إسماعيل. أعلام القرآن، الشبستري: ٩٦ ٩٨، نبى الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١).

وبما أن دعاء إبراهيم، هو بحق إسماعيل وأبنائه، وعموماً أهل مكة، فإنما يشمل بالنهاية، قريش، لكن سياق ومضمون الدعاء يدل على أن المقصود ليس قريش كلها. بل مجموعه خاصه، هي تلك التي تتمتع بالطهاره والهدايه والوفاء بالعهد الإلهي، وباقي العهود، والإيمان بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وما ورد فى الآيه الشريفه السالفه الذكر (٢)، هو ذلك التفسير الوارد فى الأخبار المنقوله عن أهل البيت عليهم السلام .

ففى «الكافى» وتفسير العياشى ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن أهل البيت هم أمه وسط، وهم شهداء الله على العباد وحججه فى الأرض والسماء (٣).

١- سورة البقره / ١٢٨ / ١٢٩.

٢- سورة البقره / ١٤٣.

٣- عَنْ بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقره / ١٤٣، قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسْطَى وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ... الحديث. الكافى، الكلينى: ١ / ١٩١، كتاب الحج، باب فى أن الأئمه شهداء الله عز وجل على خلقه / ح ٤. عن بريد بن معاويه العجلي عن أبى جعفر عليه السلام قال، قلت له: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقره / ١٤٣. قال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحجته فى أرضه. تفسير العياشى، العياشى: ١ / ٦٢، تفسير سورة البقره / ح ١١٠.

وفى «شواهد التنزيل» ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المقصود بـ (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (١) هم «نحن»، أى أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهد عليهم، وهم بدورهم شهداء الله على العباد وحجته فى الأرض وأنهم الذين قال عنهم الله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (٢)(٣).

ويروى عن الإمام الباقر قوله أن الشهداء على الناس، لا- يمكن إلا- أن يكونوا الأئمة والأنبياء (صلوات الله عليهم اجمعين)، أما أفراد الأئمة الآخرين فلا يمكن أن يكونوا شاهدين، من قبل الله تعالى، لأن بين أفراد الأئمة من لا تقبل شهادتهم فى الدنيا، وفى أبسط الأشياء (٤)، وفى تفسير العياشى، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن المقصود بآيه: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (٥) ليس كل أهل

١- سورة البقره / ١٤٣.

٢- سورة البقره / ١٤٣.

٣- أنظر: شواهد التنزيل، الحسكاني: ١ / ١١٩، تفسير سورة البقره / ح ١٢٩.

٤- عن حمران عن أبيه أعين عنه (الإمام الباقر) عليه السلام إنما أنزل الله: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقره / ١٤٣، قال: ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسل فأما الأئمة فإنه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس وفيهم من لا تجوز شهادته فى الدنيا على حزمه بقل. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٤ / ١٧٩، باب فى إمامه أبى جعفر الباقر عليه السلام .

٥- سورة البقره / ١٤٣.

القبلة (المسلمين)، لأن هناك من هؤلاء، من لا تقبل شهادته حتى على «صاع من التمر» ويتساءل: كيف يمكن أن تقبل شهادته مثل هؤلاء، على أعمال العباد، يوم القيامة؟ ويستطرد الإمام عليه السلام أن المقصود بهذه الآية (١)، هم الأئمة الذين استجيب بحقهم دعاء إبراهيم عليه السلام، وهم الأمة الوسط و(خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (٢)(٣). وهناك أحاديث عديدة بهذا الشأن (٤).

وهكذا يتوضح معنى الآية الكريمة: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (٥)، وحيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون شاهداً على

١- سورة البقرة / ١٤٣.

٢- سورة آل عمران / ١١٠.

٣- أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ١ / ٦٣، تفسير سورة البقرة / ح ١١٤.

٤- عَنْ بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) سورة البقرة / ١٤٣، قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسْطَىٰ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ، قُلْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) سورة الحجج / ٧٨، قَالَ: إِيَّانَا عَنَىٰ خَاصَّةً... الحديث. الكافي، الكليني: ١ / ١٩٠، كتاب الحجج، باب في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه / ح ٢. عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام في تفسير قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقرة / ١٤٣، قال: نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه. إرشاد القلوب، الديلمي: ٢ / ٢٩٨، في فضائله من طريق أهل البيت.

٥- سورة النساء / ٤١.

أفراد الأمة مباشرة، بل يشهد على شهداء الأمة (١)، فإن المقصود ب(وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (٢) هم شهداء الأمم، وليس أفراد الأمة أنفسهم، وهؤلاء الشهداء هم الذين يشهد عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٣). وهناك آية أخرى، أكثر صراحة في توضيح هذه الحقيقة:

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) (٤) وتأتي صراحتها في أنها عبرت عن استخدام شهداء الأمم للشهادة يوم القيامة بكلمة «نبعث»، أما عند الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالقرآن يستخدم كلمة (وَجِئْنَا بِكَ) (٥). كما يستخدم القرآن الكريم عبارة «من أنفسهم» عند الحديث عن

١- قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا... الآية) سورة البقرة/١٤٣، فكون الأمة شهيدة هو أن فيهم من يشهد على الناس ويشهد الرسول عليهم. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١ / ٣٢١، تفسير سورة البقرة.

٢- سورة النساء / ٤١.

٣- قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) سورة النساء / ٤١، وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل عليهم السلام. تفسير العياشي، العياشي: ١/٢٤٢، تفسير سورة النساء / ح ١٣٢. قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) سورة النساء/٤١، إن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمشهود عليهم سائر الأنبياء. التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٣١ / ١١٦، تفسير سورة البروج.

٤- سورة النحل / ٨٩.

٥- سورة النحل / ٨٩.

شهداء الأمم. وهذه الآيات تدل كلها على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهد على الشهداء، وليس على كل أفراد الأمة. كما أنه شاهد على شهداء الأمم الأخرى أيضاً (١).

يقول القمي (٢) حول عبارة «شهيداً على هؤلاء» (٣)، أن المقصود ب«هؤلاء» هم الأئمة ورسول الله شهيد على الأئمة، وهؤلاء بدورهم شهداء على أفراد الأمة (٤).

ويورد صاحب «الاحتجاج» (٥) حديثاً عن الإمام علي عليه السلام حول أحوال

١- قال القمي في تفسير قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) سورة النحل / ٨٩، يعني من الأئمة، ثم قال لنبه صلى الله عليه وآله وسلم (وَجِئْنَا بِكَ) سورة النحل / ٨٩ يا محمد (شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) سورة النحل / ٨٩، يعني على الأئمة فرسول الله شهيد على الأئمة وهم شهداء على الناس. تفسير القمي، القمي: ٣٨٨ / ١، تفسير سورة النحل. قال الطباطبائي: إن بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين الناس الذين هم عامه من بعث إليهم من زمانه إلى يوم القيامة شهداء يشهدون على أعمالهم وان الرسول إنما هو شهيد على هؤلاء الشهداء. وقال أيضاً: المراد بهؤلاء في قوله: (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) سورة النحل / ٨٩، الشهداء دون عامه الناس فالشهداء شهداء على الناس والنبي صلى الله عليه وآله وسلم شهيد على الشهداء. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢ / ٣٢٣ ٣٢٤، تفسير سورة النحل.

٢- مرت ترجمته.

٣- سورة النحل / ٨٩.

٤- أنظر: تفسير القمي، القمي: ٣٨٨ / ١، تفسير سورة النحل.

٥- قال الحر العاملي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي: عالم فاضل فقيه محدث ثقه، له كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج، حسن كثير الفوائد. قال ابن شهر اشوب في معالم العلماء: شيخ أبي طالب الطبرسي، له الكافي في الفقه حسن، والاحتجاج، ومفاخر الطالبية، وتاريخ الأئمة عليهم السلام، وفضائل الزهراء عليها السلام. أمل الآمل، الحر العاملي: ٢ / ١٧، باب الألف / الرقم ٣٦.

أهل المحشر فيقول أن الأنبياء يبعثون في ذلك اليوم ويسألون عن أداء الرسالة التي حملوا بها، فيجيبون بأنهم بلغوا الرسالة الإلهية لأممهم وأدوا مسؤوليتهم . ثم يأتي دور الأمم، فتسأل عن رسالات الأنبياء، فتنكر إبلاغ الرسالة، كما ورد في الآية الكريمة (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) (١)، فتقول الأمم (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) (٢)، وهنا يطلب الأنبياء، رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم للشهادة، فيشهد على صدق جوابهم، وكذب ادعاء المنكرين من الأمم، فيقول لكل أمه: نعم، فقد جاءكم بشير ونذير وبلغكم رساله الله.

(وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣).

أى أن الله قادر على أن يجعل جوارحكم تنطق فتشهد على أن الأنبياء بلغوكم رسالات الله.

وهكذا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكون شاهداً على الأنبياء، والله تعالى يخاطبه بالقول (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (٤)(٥).

١- سورة الأعراف / ٦.

٢- سورة المائدة / ١٩.

٣- سورة البقره / ٢٨٤.

٤- سورة النساء / ٤١.

٥- أنظر: الاحتجاج، الطبرسى: ١/ ٢٤٢ ٢٤٣، احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآى من القرآن متشابهه تحتاج إلى التأويل.

ينقل العياشى فى تفسيره، حديثاً عن أمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه يوم القيامة، فيقول إن جميع الخلائق يجمعون فى مكان واحد، ليجرى سؤالهم عن أعمالهم، لن يستطيع أحد الكلام إلا من يأذن له الله تعالى ليقول صواباً (١)، ثم يبعث الله الأنبياء ليسألهم أيضاً، وهذا هو معنى الآية (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (٢).

إذن فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الشاهد على الشهداء، وهؤلاء هم الأنبياء (٣). وقد أسلفنا الحديث، عن إنكار الأمم، لرسالات الأنبياء (٤).

وهناك مجموعه أخرى من الشهداء، هى الملائكة (٥) الذين يسجلون الأعمال، والله تعالى يقول:

(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) (٦).

١- إشاره إلى قوله تعالى فى سورة النبأ / الآية ٣٨، ونصها: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صِيْفًا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا).

٢- سورة النساء / ٤١.

٣- أنظر: تفسير العياشى، العياشى: ١/ ٢٤٢، تفسير سورة النساء / ح ١٣٢.

٤- أنظر: الفصل الثامن من كتابنا هذا الذى بين أيدينا، بحث صحيفه الأعمال.

٥- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) سورة ق / ٢١، شهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها، وشاهده منها وكتبه عليها. مجمع البيان، الطبرسى: ٩/ ٢٤٣، تفسير سورة ق.

٦- سورة يونس / ٦١.

وكذلك يقول:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمَ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١)).

كما يقول أيضاً (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (٢٢).

وآيات أخرى تشير إلى شهادة الملائكة، وأعضاء الإنسان وجوارحه (٢٣).

يقول الله تعالى في هذا الموضوع: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٢٤).

١- سورة ق / ١٦ ٢١.

٢- سورة الانفطار / ١٠ ١٢.

٣- الآيات التي ذكرت شهادة الملائكة والجوارح وأعضاء الإنسان عديده، نورد منها ما يلي: سورة النساء / ١٦٦، ونصها: (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا). سورة النور / ٢٤، ونصها: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). سورة فصلت / ٢٢، ونصها: (وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ).

٤- سورة يس / ٦٥.

وأيضاً:

(وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَيَّا جَاءَوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصِيبُكُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١) وسياق هذه الآيات، يدل على أنها تخص أهل النار. ولهذا فإن شهاده الأعضاء والجوارح إنما تخص أهل النار فقط دون أهل الجنة.

إن موضوع شهاده أعضاء أهل النار وجوارحهم على ذنوبهم يمكن أن تكون دليلاً وشاهداً آخر على أن الكافرين، هم أيضاً مكلفون بفروع الدين وأحكامه، كما أن جلود أهل النار هي التي تشهد عليهم، ولهذا فإنهم يسألونها عن سبب شهادتها. ذلك أن الجلود أقرب إلى عالم المادة (٢)، أما الأسماع والإبصار، فهي

١- سورة فصلت / ١٩ ٢٣.

٢- المادة فى اللغة: كل شىء يكون مددا لغيره، وماده الشىء أصوله وعناصره التى يتركب منها حسيه كانت أو معنويه كماده البناء، وماده البحث. المادة: هى الجسم الطبيعى الذى نتاوله على حاله أو نحوّه إلى شىء آخر. المعجم الفلسفى، جميل صليبا: ٢ / ٣٠٦، باب الميم، المادة. المادة إصطلاحاً فهى: قال الجرجانى: ماده الشىء: هى التى يحصل الشىء معها بالقوه، وقيل: المادة الزياته المتصله. التعريفات، الجرجانى: ١١٠، باب الميم.

أبعد عن عالم المادة، وأقرب إلى الفهم والإدراك(١).

إن آية: (قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (٢) إنما هي جواب الجوارح والأعضاء لأصحابها، ولم تستخدم الآية كلمه «شهادة»(٣)، بل كلمه «نطق»(٤)، وهذا تم بأمر من الله.

١- الإدراك: هو يدل أولاً على حصول صوره الشيء عند العقل سواء كان ذلك الشيء مجرداً أو مادياً، جزئياً أو كلياً، حاضراً أو غائباً، حاصلًا في ذات المدرك أو آلته. قال ابن سينا إدراك الشيء: هو أن تكون حقيقته متمثله عند المدرك يشاهدها ما به يدرك، فأما أن تكون تلك الحقيقه نفس حقيقه الشيء الخارج عن المدرك إذا أدرك. أو تكون مثال حقيقته مرتسما في ذات المدرك غير مباين له. المعجم الفلسفى، جميل صليبا: ١/٥٣، باب الألف، الإدراك.

٢- سورة فصلت / ٢١.

٣- الشهاده: خبر قاطع. الصحاح، الجوهري: ٢ / ٤٩٤، ماده «شهد». قال بعضهم الشهاده فى الأصل: إدراك الشيء من جهه سمع أو رؤيه، فالشهادة تقتضى العلم بالمشهود. الفروق اللغويه، أبو هلال العسكري: ٢٩١، حرف الشين / الرقم ١١٦٤ الفرق بين الشاهد والحاضر. الشهاده: الإخبار بما شاهده. لسان العرب، ابن منظور: ٣ / ٢٤٠، ماده «شهد».

٤- النطق: إرادته اللسان فى الفم بالكلام. الفروق اللغويه، أبو هلال العسكري: ٥٤٢، حرف النون / الرقم ٢١٨١ الفرق بين النطق والكلام. نطق ينطق نطقاً ومنطقاً ونطقاً: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعانى. القاموس المحيط، الفيروز آبادى: ٣ / ٢٨٥، ماده «نطق». قال الراغب: النطق فى التعارف: الأصوات المقطعه التى يظهرها اللسان وتعيها الآذان. تاج العروس، الزبيدى: ٧ / ٧٧.

ولهذا فإن لوم الجوارح ومعاتبتها على شهادتها، كوجود مستقل، حر التصرف، أمر لا معنى له. لأن نطق كل ناطق، وحديث كل محدث، إنما هو من الله تعالى، وليس هناك أى موجود، يتمتع بالاستقلال به عن قدره الله وإرادته (١)، ولهذا، فإن سياق الآية يستمر (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٢).

أى أنه بدايه وختام كل الأشياء، وإيرادته وأمره تتم كل الظواهر، وهو العالم بكل شىء، ولا يغيب عنه شىء.

وبما أن أخفاء أى أمر، يتم بوسيله ما، وكذلك كشفه أو الإطلاع عليه (٣)، فإن باقى الآيه يأتى:

١- قال الطبرسى فى تفسير قوله تعالى: (أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) سورة فصلت / ٢١، أى: مما ينطق. والمعنى. أعطانا الله آله النطق والقدرة على النطق. مجمع البيان، الطبرسى: ١٧/٩، تفسير سورة فصلت.

٢- سورة فصلت / ٢١.

٣- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) سورة فصلت / ٢١، إخبار منه تعالى وخطاب لخلقه بأنه الذى خلقهم فى الابتداء (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) سورة فصلت / ٢١، فى الآخرة إلى حيث لا يملك احد النهى والأمر سواه. تفسير التبيان، الطوسى: ١١٨/٩، تفسير سورة فصلت. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) سورة فصلت/٢١، إن وجودكم يبتدى منه تعالى وينتهى إليه تعالى فعندما تظهرون من كتم العدم وهو خلقكم أول مره يعطيكم الوجود ويملككم الصفات والأفعال فتنسب إليكم ثم ترجعون وتنتهون اليه. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ٣٨٠ / ١٧، تفسير سورة فصلت.

(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) (١) أى أنكم لم تستطيعوا إخفاء ذنوبكم التى ارتكبتها بجوارحكم (٢)، لا لأنكم لم تحسبوا للجوارح حسابها، ولم تحذروا شهادتها، بل لأنكم اعتقدتم أن الأشياء مستقلة عن الله تعالى، وأن الله غير مطلع عليها. بينما الحقيقة هى أن أعضاء الإنسان وجوارحه، هى كمين (٣) إلهى، وأداة لمراقبه العباد. وأن اعتقادكم الخاطئ جعلكم تتصورون أن الله غافل عن كثير مما تعملون هذا الخطأ، هو الغفلة بعينها، عن حقيقة أن الله عالم بكل شىء، وشاهد على كل ما يفعل الإنسان (٤) (وَذَلِكُمْ

١- سورة فصلت / ٢٢.

٢- أنظر: بحار الأنوار، المجلسى: ٣١٠ / ٧، كتاب العدل والمعاد، باب ١٦ تطاير الكتب.

٣- كمن له يكمن كمونا وكمن: استخفى. كل شىء استتر بشىء فقد كمن فيه كمونا. لسان العرب، ابن منظور: ٣٥٩ / ١٣، ماده «كمن».

٤- قال الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) سورة فصلت / ٢٢. وصف لهؤلاء الكفار بأنهم ظنوا انه تعالى يخفى عليه أسرارهم ولا يعلمها. تفسير التبيان، الطوسى: ٩ / ١١٩، تفسير سورة فصلت. قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَمَّا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) سورة فصلت / ٢٢ / ٢٣، أى: هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذى أتلّفكم وأرداكم عند ربكم (فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة فصلت / ٢٣، أى: فى مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهلكم. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١٠٤ / ٤، تفسير سورة فصلت. قال عبد الكريم الخطيب فى تفسير قوله تعالى: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة فصلت / ٢٣، أى: هذا الظن الذى ظننتموه بربكم من أنه قد يعلم ما تبدون، ولا يعلم ما تكتمون، هذا الظن هو الذى أفسد عليكم معتقدكم فى ربكم، فلم تروه سبحانه إلا على ما ترون به بعض أصحاب الجاه والسلطان، ممن لهم جنود وعيون، يرون القليل، ولا يرون الكثير، فكان إيمانكم بالله هو هذا الإيمان الفاتر الفاسد. التفسير القرآنى للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ١٢ / ١٣٠٧ / ١٣٠٨، تفسير سورة فصلت. قال الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) سورة فصلت / ٢٢، وفى قوله: (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَمَّا يَعْلَمُ) سورة فصلت / ٢٢. المعنى وما كنتم تستخفون فى الدنيا عند المعاصى من شهاده أعضائكم التى تستعملونها فى معصية الله ولم يكن ذلك لظنكم أنها لا إدراك فيها لعملكم بل لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، أى: لم تستهينوا عند المعصية بشهاده أعضائكم وإنما استهنتم بشهادتنا. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى: ١٧ / ٣٨٣، تفسير سورة فصلت.

ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْذَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١).

وهنا يجب الانتباه إلى أمرين هامين، الأول: أن المبدأ العام القائل أن العلم والقدرة وكل كمالات الوسائط هي نفسها علم الله تعالى وقدرته وكمالاته (٢)، له

١- سورة فصلت / ٢٣.

٢- عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سِئِلَ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَيْفَ عَلِمَ اللَّهُ قَالَ: عَلِمَ وَشَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى وَأَمْضَى فَأَمْضَى مَا قَضَى وَقَضَى مَا قَدَّرَ وَقَدَّرَ مَا أَرَادَ فَبِعِلْمِهِ كَانَتِ الْمَشِيئَةُ وَبِمَشِيئَتِهِ كَانَتِ الْإِرَادَةُ وَبِإِرَادَتِهِ كَانَتِ التَّقْدِيرُ وَبِتَّقْدِيرِهِ كَانَتِ الْقَضَاءُ وَبِقَضَائِهِ كَانَتِ الْإِمْضَاءُ وَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ وَالْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ وَالْإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ وَالتَّقْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْإِمْضَاءِ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْبَدَاءُ فِيمَا عَلِمَ مَتَى شَاءَ وَفِيمَا أَرَادَ لِتَقْدِيرِ الْأَشْيَاءِ فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ فَلَا يَدَاءُ فَالْعِلْمُ فِي الْمَعْلُومِ قَبْلَ كَوْنِهِ وَالْمَشِيئَةُ فِي الْمُنْشَأِ قَبْلَ عَيْنِهِ وَالْإِرَادَةُ فِي الْمُرَادِ قَبْلَ قِيَامِهِ وَالتَّقْدِيرُ لِهَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ قَبْلَ تَفْصِيلِهَا وَتَوْصِيلِهَا عَيْنًا وَوَقْتًا وَالْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ هُوَ الْمُبْرَمُ مِنَ الْمَفْعُولَاتِ ذَوَاتِ الْأَجْسَامِ الْمُدْرَكَاتِ بِالْحَوَاسِّ مِنْ ذَوِي لَوْنٍ وَرِيحٍ وَوَزْنٍ وَكَيْلٍ وَمَا دَبَّ وَدَرَجَ مِنْ إِنْسٍ وَجَنٍّ وَطَيْرٍ وَسَبَّاحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ الْبَدَاءُ مِمَّا لَا عَيْنَ لَهُ فَإِذَا وَقَعَ الْعَيْنُ الْمَفْهُومُ الْمُدْرَكَ فَلَا بَدَاءَ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَبِالْعِلْمِ عَلِمَ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَبِالْمَشِيئَةِ عَرَفَ صِفَاتِهَا وَحُدُودَهَا وَأَنْشَأَهَا قَبْلَ إِظْهَارِهَا وَبِالْإِرَادَةِ مَيَّرَ أَنْفُسَهَا فِي أَلْوَانِهَا وَصِفَاتِهَا وَبِالتَّقْدِيرِ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَعَرَفَ أَوْلَهَا وَآخِرَهَا وَبِالْقَضَاءِ أَبَانَ لِلنَّاسِ أَمَا كُنْهَا وَدَلَّهْمُ عَلَيْهَا وَبِالْإِمْضَاءِ شَرَحَ عِلَلَهَا وَأَبَانَ أَمْرَهَا وَذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. الكافي، الكليني: ١/ ١٤٨ ١٤٩، كتاب التوحيد، باب البداء / ح ١٦.

فى القرآن، القرآن له فروع عديده، وقد وردت له إشارات عده فى القرآن، فمثلاً يقول البارى عز وجل حول العلم:

(لَا يَغْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (١).

كما يقول تعالى:

(أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (٢).

وكذلك يقول:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدًا) (٣).

١- سورة سبأ / ٣.

٢- سورة الزخرف / ٨٠.

٣- سورة ق / ١٦ ١٧.

وآيات أخرى عديده فى هذا المعنى(١).

مما سلف، يتبين أن علم البارى تعالى وإطلاعه على كل الأمور، يتحقق بتسجيلها فى اللوح المحفوظ(٢)، ثم يواجه بها العباد كوقائع (وهذه إشاره إلى مبدأ أن سائر كمالات الوسائط، هى فرع من كمالات الحق تعالى)(٣).

وعلى أساس ما قلنا، يتوضح معنى الآيه (ثُمَّ تُرْدُونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (٤).

١- هنالك آيات تشير إلى علم الله نذكر منها: سورة آل عمران / ٥، ونصها: (إِنَّ اللَّهَ لَمَّا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ). سورة إبراهيم / ٣٨، ونصها: (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُغْلِي وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ). سورة غافر / ١٦، ونصها: (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ).

٢- قال القمى فى تفسير قوله تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) سورة البروج/٢١٢٢، اللوح المحفوظ له طرفان طرف على يمين العرش وطرف على جبهه إسرافيل، فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحى ضرب اللوح جبين إسرافيل فينظر فى اللوح فيوحى بما فى اللوح إلى جبرئيل عليه السلام . تفسير القمى، القمى: ٢ / ٤١٤ ٤١٥، تفسير سورة البروج. قال الجرجانى: اللوح المحفوظ: لوح القدر، أى: لوح النفس الناطقه الكليه التى يفصل فيها كليات اللوح الأول (لوح العقل الأول) ويتعلق بأسبابها. التعريفات، الجرجانى: ١٠٩، حرف اللام، اللوح.

٣- أنظر: بحار الأنوار، المجلسى: ١٠٥/٩٠.

٤- سورة التوبه / ٩٤.

أما الأمر الثاني: فهو أن الآيات السالفه الذكر (١)، تفيد بأن الحياه، حقيقه جاريه فى تمام الموجودات، لأنه بغير ذلك، لا يمكن إطلاق اسم «الشهاده» على إنطاق الأعضاء والجوارح. لأن الحديث عن شىء يعتبر شهاده فيما لو صدر عن المتحدث بشكل حقيقى، وهذا لا يتم إلا بتمتع المتحدث بالحياه. ومن جانب آخر، فإن الأحياء الذين يدلون يوم القيامه بالشهاده على حوادث وأعمال وقعت فى الحياه الدنيا، لا يمكن أن يدلوا بالشهاده، إلا أن يكونوا يتمتعون بالحياه أيضاً عند وقوع تلك الأعمال، بحيث يتمكنون من إدراكها، إذن فكل ما يشهد يوم القيامه، لابد وأن يكون حياً فى الدنيا. ويستوى فى ذلك السمع، والبصر، والزمان، والمكان. وهكذا يمكن، مما تقدم، أن ندرك معنى الآيه الكريمه:

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَمَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٢))

- ١- سورة الانفطار / ١٢ ١٠، ونصها: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ). سورة يس / ٦٥، ونصها: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). سورة فصلت / ٢٣ ٢٠، ونصها: (حِثِّي إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِيَجُودِ هِم لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ).
- ٢- سورة الأحقاف / ٥ ٦.

وكذلك الآية التي تصف آله الكفار(١):

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (٢).

وهناك الكثير من الأحاديث والأخبار والروايات حول المفاهيم الآنفه الذكر، ففي «الكافي» ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن الأعضاء والجوارح، تشهد على مستحقي العذاب الإلهي فقط (ولا تشهد على المؤمنين)، أما المؤمن فإنه يتلقى كتابه بيمينه(٣).

وهذه إشاره من الإمام عليه السلام إلى الآية الواردة بعد آيات الشهادة:

(وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) (٤).

وفى تفسير «القمي» و«من لا يحضره الفقيه» ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حول تفسير آيه (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) (٥) قوله أن المقصود ب«جلود»، هي الفروج والأفخاذ(٦).

١- قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: (وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) سورة الأحقاف / ٦، يعني إن هذه الأوثان التي عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا أن يكونوا دعوا إلى عبادتها، ويكفروا بعباده الكفار. مجمع البيان، الطبرسي: ١٣٩ / ٩، تفسير سورة الأحقاف.

٢- سورة النحل / ٢١.

٣- أنظر: الكافي، الكليني: ٣٢ / ٢، كتاب الإيمان والكفر/ح ١.

٤- سورة فصلت / ٢٥.

٥- سورة فصلت / ٢٠.

٦- ورد نص الحديث في الكافي وقريب منه في من لا يحضره الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أما في تفسير القمي فهو في تفسير الآية ٢٢ من سورة فصلت، وليس في تفسير الآية ٢٠ من سورة فصلت. قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) سورة فصلت / ٢٢، يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ وَالْأَفْخَاذَ. الكافي، الكليني: ٣٦ / ٢، كتاب الإيمان والكفر/ باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها/قطعه من حديث ١. قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قول الله عَزَّ وَجَلَّ: (وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) سورة فصلت / ٢٢، يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٢ / ٦٢٦، باب الفروض على الجوارح/قطعه من حديث ٣٢١٥. قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله عَزَّ وَجَلَّ: (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) سورة فصلت / ٢٢، وَالْجُلُودُ: الْفُرُوجَ. تفسير القمي، القمي: ٢ / ٢٦٤، تفسير سورة السجده، شهاده الجوارح يوم القيامة.

وفى تفسير القمى ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة، يعطى كل إنسان صحيفه أعماله، فيطلعون عليها، وينكرون ما فيها من أعمال ارتكبوها.

بعد ذلك تشهد عليهم الملائكة، فيقسم العاصون بأنهم لم يرتكبوا أيًا من هذه الأعمال: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) (١)، وعندها يختم الله على أفواههم فتشهد أعضاؤهم وجوارحهم على ما ارتكبوها (٢).

١- سورة المجادلة / ١٨.

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: فيقولون لله يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً وهو قول الله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) سورة المجادلة/١٨، وهم الذين غضبوا أمير المؤمنين عليه السلام فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرم الله وتشهد اليدان بما أخذتا وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرم الله ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله ثم أنطق الله ألسنتهم وقالوا هم (لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَشِيرُونَ) سورة فصلت / ٢١ ٢٢، أى: من الله أن يشهد عليكم سميعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم والجلود الفروج. تفسير القمى، القمى: ٢/ ٢٦٤، تفسير سورة السجده، شهاده الجوارح يوم القيامة.

ومن الشهداء أيضاً، الزمان والمكان (١)، وهما الأيام المقدسه (٢) والأشهر

١- قال الطبرسى: فى بعض الأخبار: المكان والزمان يشهدان على الرجل بأعماله. مجمع البيان، الطبرسى: ٣ / ٨٩، تفسير سوره النساء.

٢- قال أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث طويل منه:... أما خياره من الليالى فليالى الجمع، وليله النصف من شعبان، وليله القدر، وليلتا العيد. وأما خياره من الأيام فأيام الجمع، والأعياد... الحديث. تفسير الإمام، الإمام العسكرى: ٦٦٢، فى من لا يستجاب دعاؤه / قطعه من حديث ٣٧٤. قال قتاده فى تفسير قوله تعالى: (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) سوره البروج / ٣، الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفه. التبيان، الطوسى: ١٠ / ٣١٦، تفسير سوره البروج. وفى مجمع البيان: الشاهد: الأيام والليالى. مجمع البيان، الطبرسى: ١٠ / ٣١٦، تفسير سوره البروج.

الشريفه (١)، والأعياد (٢) وأيام الجمعة والمناطق المقدسه (٣) والمساجد وغيرها. يقول الله تعالى:

(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَتَّخِدَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (٤).

إن المباحث السابقه تبين لنا كيفيه شهاده الأيام، وكذلك توضح معنى الآيه الكريمه السالفه الذكر (٥).

كما يتبين لنا أن كلمه «من» فى عباره «ويتخذ منكم شهداء» هى «من» ابتدائيه وليست تبعيزيه، و«الشهداء» فى هذه الآيه، هى الأيام.

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام فى الأشهر من حديث له: ... أما خياره من الشهور فرجب، وشعبان، وشهر رمضان... الحديث. تفسير الإمام، الإمام العسكري: ٦٦٢، فى من لا يستجاب دعاؤه / قطعه من حديث ٣٧٤.

٢- العيد: كل يوم مجمع، من عاد يعود إليه. كتاب العين، الفراهيدى: ٢ / ٢١٩، ماده «عود». قال ابن الأعرابى: سُمى العيد عيداً: لأنه يعود كل سنه بفرح مجدد. لسان العرب، بن منظور: ٣ / ٣١٩، ماده «عود».

٣- قال أمير المؤمنين عليه السلام: فأما خياره من البقاع فمكه، والمدينه، وبيت المقدس. تفسير الإمام، الإمام العسكري: ٦٦١، فى من لا يستجاب دعاؤه / قطعه من حديث ٣٧٤.

٤- سوره آل عمران / ١٤٠.

٥- سوره آل عمران / ١٤٠.

وعن شهادته الأماكن والأزمنة أيضاً يقول الله تعالى:

(ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صِرْحَرِهِ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (١)، وقد أسلفنا الحديث عن المعاني التي تتضمنها هذه الآيه، وكيف تشهد الصخور والسموات والأرض.

كما يقول تبارك وتعالى:

(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) (٢).

وفى «الكافي» ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما يحل النهار، فإنه أى النهار يقول للإنسان: يا ابن آدم أعمل خيراً لأشهد لك أمام الله يوم القيامة، فأنا لم آتتك من قبل، ولن آتيك بعد اليوم.

وعندما يحل الليل، فاته أى الليل يخاطب الإنسان بنفس الخطاب (٣).

١- سورة لقمان / ١٥ ١٦.

٢- سورة الزلزله / ٢ ٥.

٣- عَنْ أَبِي عَبِيدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ النَّهَارَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا ابْنَ آدَمَ اْعْمَلْ فِي يَوْمِكَ هَذَا خَيْرًا أَشْهَدُ لَكَ بِهِ عِنْدَ رَبِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنِّي لَمْ آتِكَ فِيهَا مَضَىٰ وَلَا آتِيكَ فِيهَا بَقِيَ وَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. الكافي، الكليني: ٢ / ٤٥٥، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبه العمل / ح ١٢.

وقد نقل مضمون هذا الحديث ابن طاووس (١) في كتابه «محاسبه النفس» عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام (٢).

وفي «علل الشرائع» ينقل الشيخ الصدوق (٣) قولاً عن الإمام الصادق عليه السلام

١- على بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن طاووس، العلوي، الفاطمي، الشهير بابن طاووس (رضى الدين، أبو القاسم) فقيه، محدث، مؤرخ، أديب، مشارك في بعض العلوم. من تصانيفه الكثيره: إسعاد ثمره الفؤاد على سعادته الدنيا والمعاد، والأسرار في ساعات الليل والنهار، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، الطرائف في معرفه مذاهب الطوائف، والنفيس الواضح من الكتاب المجلس الناصح. معجم المؤلفين، كحاله: ٧ / ٢٤٨، على بن طاووس.

٢- عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليهما السلام قال إن الليل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلائق إلا الثقلين يا ابن آدم إني خلقك جديد إني على ما في شهيد فخذ مني فإني لو قد طلعت الشمس لم أرجع إلى الدنيا ثم لم تزد في حسنه ولم تستعب في من سيئه وكذلك يقول النهار إذا أدر الليل. محاسبه النفس، ابن طاووس: ١٤ ١٥، الباب الثاني فيما نذكره من الروايات التي تقتضى الاحتياط بالمحاسبه في الليل والنهار للسلامه من الأخطار.

٣- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، شيخ الحفظه ووجه الطائفه المستحفظه، رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الأئمه الطاهرين عليهم السلام. ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف ونال بذلك عظيم الفضل والفخر فعمت بركته الأنام وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام، له نحو من ثلاثمائه مصنف. قال ابن إدريس في حقه: انه كان ثقة جليل القدر بصيراً بالأخبار ناقداً للآثار عالماً بالرجال وهو أستاذ المفيد محمد بن محمد بن النعمان. وقال العلامة في ترجمته: شيخنا وفقهنا ووجه الطائفه بخراسان، ورد بغداد سنه ٣٥٥هـ وسمع منه شيوخ الطائفه وهو حدث السن كان جليلاً حافظاً للأحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثره علمه له نحو من ثلاثمائه مصنف ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير، مات بالرى سنه ٣٨١هـ إحدى وثمانين وثلاثمائه. وقبره رحمه الله في بلده الرى قرب عبد العظيم الحسنى مزار معروف في بقعه عاليه في روضه موقه. الكنى والألقاب، القمي: ١ / ٢٢١ ٢٢٢، ابن بابويه.

رداً على سؤال حول إقامة النوافل (١) في مكان واحد، أم توزيعها على أماكن عدة. فيجيب الإمام بأن الأفضل توزيعها على عدة أماكن لأن هذه الأماكن ستشهد له عند الله يوم القيامة (٢).

ومن الشهداء أيضاً، القرآن الكريم (٣)، وكذلك الأعمال والعبادات الشخصية (٤).

١- النفل: التطوع. النفل والنافله: ما يفعله الإنسان مما لا- يجب عليه. النفل والنافله: عطية التطوع من حيث لا يجب، ومنه نافله الصلاة. لسان العرب، ابن منظور: ١١ / ٦٧١ ٦٧٢، مادة «نفل».

٢- عن عبدالله بن علي الزراد قال: سألت أبو كهمس أبا عبد الله عليه السلام فقال: يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها؟ قال: لا بل هاهنا وهاهنا فإنها تشهد له يوم القيامة. علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٣٤٣، باب ٤٦ العله التي من أجلها يستحب تفريق النوافل في البقاع / ح ١.

٣- من الأقوال التي فسرت قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ) سورة هود / ١٧، قيل: الشاهد القرآن، ويتلوه: يكون بعده تالياً شاهداً. معاني القرآن، النحاس: ٣ / ٣٣٧. في تفسير القرطبي، قيل: الشاهد القرآن في نظمه وبلاغته. تفسير القرطبي، القرطبي: ١٧ / ٩، تفسير سورة هود.

٤- قال الأندلسي في تفسير قوله تعالى: (وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) سورة البقره / ١٤٣، قيل: معناه باعمالكم يوم القيامة. المحرر الوجيز، الأندلسي: ١ / ٢١٩، تفسير سورة البقره. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) سورة البقره / ١٤٣، شهاده الأعمال دون الشهاده بمعنى القتل في المعركه. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١ / ١٧٣، تفسير سورة البقره.

إن كل ما قلناه عن شهاده الشهداء (الشهود) يمكن إثباته بالبرهان(١)، ذلك أن كل علاقته تتولد بين الأشياء والأعمال، سيتولد مثلها بين الشيء وذات الفاعل.

١- البرهان: بيان الحجه وإيضاحها. كتاب العين، الفراهيدى: ٤ / ٤٩، ماده «بره». البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيّات سواء كانت ابتداء وهى الضروريات، أو بواسطه وهى النظريات. يقال على الاستدلال من العله إلى المعلول برهان لمى، ومن المعلول إلى العله برهان إئى. التعريفات، الجرجانى: ٣١، باب الباء، البرهان. قال جميل صليبا، البرهان: الحد الأوسط فى هذا القياس لا بد من أن يكون عله نسبه الأكبر إلى الأصغر. فإذا أعطاك عله اجتماع طرفى النتيجة فى الذهن فقد سمى برهان الإن، وإذا أعطاك عله اجتماع طرفى النتيجة فى الذهن والوجود معا سمى برهان اللم. المعجم الفلسفى، صليبا: ١ / ٢٠٦، باب الباء، البرهان. قال الطباطبائى فى كتابه هذا الذى بين أيدينا فى إثبات الشهاده بالبرهان: أن كل علاقته تتولد بين الأشياء والأعمال، سيتولد مثلها بين الشيء وذات الفاعل. لأن وجود الأعمال قائم بذواتها. إذن بقاء الذات، سيقى ما يصدر عنها. وبقاء ما يصدر عنها، ستدوم العلاقة المتولده بينها وبين الأشياء. وبقاء هذه العلاقة، ستبقى الأشياء أيضاً، لأن العلاقة، وجود رابط، لا يتحقق إلا بوجود طرفين. أنظر: الفصل التاسع الشهداء فى يوم البعث، مراتب الشهداء.

لأن وجود الأعمال قائم بذواتها. إذن فبقاء الذات، سيقى ما يصدر عنها. وبقاء ما يصدر عنها، ستدوم العلاقة المتولده بينها وبين الأشياء. وبقاء هذه العلاقة، ستبقى الأشياء أيضاً، لأن العلاقة، وجود رابط، لا يتحقق إلا بوجود طرفين.

من جانب آخر، فإنه بالحياه ستحيا جميع الذوات (الأعمال والعلاقات والأشياء). وبحضورها أمام الله تعالى، بشكل كامل وبتمام الذوات (١)، ستشهد بكل ما لديها.

١- عرفهم من ذات نفسه، كأنه يعنى به سريرته المضمرة. كتاب العين، الفراهيدى: ٨ / ٢٠٨، ماده «ذو». ذات الشيء: نفسه وحقيقته. مجمع البحرين، الطريحي: ٢ / ١٠٨، ماده «ذو، ذات». قال الحسينى فى الذات: يطلق على مجموع المقومات التى تحدد مفهوم الشيء، وهو ما يخص الشيء ويميزه. معجم مصطلحات المنطق، جعفر الحسينى: ١٤٨، الذات.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي / ١٤٠٣هـ نشر المرتضى مشهد المقدسه.
٣. الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) / الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد قم.
٤. إرشاد الأذهان إلى أحكام القرآن، الحسن بن يوسف المطهر الحلبي / الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ نشر جامعه المدرسين قم.
٥. إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن الديلمي / الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ دار الشريف الرضي للنشر.
٦. الأصفى في تفسير القرآن، محمد محسن الفيض الكاشاني / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ منشورات المكتب الإعلام الإسلامي قم.
٧. أصل الشيعه وأصولها، محمد الحسين آل كاشف الغطاء / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ مؤسسه الإمام علي عليه السلام .

٨. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن أبي الحسن الديلمي / الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ نشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام قم.
٩. أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري / الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ مركز انتشارات دفتر تليغات إسلامي قم.
١٠. أعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلاميه قم.
١١. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي / الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ دار الثقافه للنشر قم.
١٢. الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) / الطبعة الثانيه، ١٤١٣هـ نشر المؤتمر العالمى لألفيه الشيخ المفيد قم.
١٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي / الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ نشر مدرسه الإمام على بن أبي طالب عليه السلام قم.
١٤. أمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي / ١٤٠٤هـ نشر مكتبه الأندلس بغداد.
١٥. أوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) / الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ المؤتمر العالمى لألفيه الشيخ المفيد قم.
١٦. إيضاح الحكمة في شرح بدايه الحكمة، على رباني كليكاني / الطبعة الثانيه، ١٤٢٢هـ نشر دار الهادي بيروت.
١٧. بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقى المجلسي / الطبعة الرابعه، ١٤٠٤هـ مؤسسه الوفاء بيروت.
١٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، احمد بن محمد ابن عجيبه / ١٤١٩هـ نشر د. حسن عباس زكى القايره.

١٩. بدايه الحكمه، محمد حسين الطباطبائي / الطبعة ٢١، ١٤٢٤هـ مؤسسه النشر الإسلامى قم.
٢٠. البرهان فى علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشى / الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ دار إحياء الكتب العربيه القاهره.
٢١. بناء مقاله الفاطميه فى نقض رساله العثمانيه، احمد بن موسى ابن طاووس / الطبعة الأولى، ١٤١١هـ نشر مؤسسه أهل البيت عليهم السلام قم.
٢٢. تأويل الآيات الظاهره، شرف الدين الأسترابادى / مؤسسه النشر الإسلامى قم.
٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدى / نشر مكتبه الحياه بيروت.
٢٤. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون / الطبعة الرابعه، نشر دار إحياء التراث العربى بيروت.
٢٥. التبيان فى تفسير القرآن، الشيخ أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى / الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ نشر مكتب الإعلام الإسلامى.
٢٦. التحرير والتنوير، محمد بن طاهر بن عاشور.
٢٧. تحف العقول، حسن بن شعبه الحرانى / الطبعة الثانيه، ١٤٠٤هـ مؤسسه النشر الإسلامى قم.
٢٨. تذكره الأعيان، جعفر السبحانى / الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ نشر مؤسسه الإمام الصادق قم.
٢٩. التعريفات، على بن محمد بن على الجرجانى / دار الشؤون الثقافيه العامه بغداد.
٣٠. التعليقه على الفوائد الرضويه، القاضى سعيد القمى.

٣١. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، إسماعيل ابن كثير الدمشقي / ١٤١٢هـ نشر دار المعرفه بيروت.
٣٢. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ نشر دار إحياء التراث العربى بيروت.
٣٣. تفسير جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسى / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين قم.
٣٤. تفسير روح البيان، إسماعيل حقى البروسوى / نشر دار الفكر بيروت.
٣٥. تفسير الصافى، المولى محسن الفيض الكاشانى / الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ مكتبه الصدر طهران.
٣٦. تفسير العياشى، محمد بن مسعود العياشى / ١٣٨٠هـ نشر المطبعه العلميه طهران.
٣٧. تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعانى / الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ مكتبه الرشد الرياض.
٣٨. تفسير القرآن الكريم (صدرا)، محمد بن إبراهيم (صدر المتألهين) / الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ منشورات بيدار قم.
٣٩. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن احمد الأنصارى القرطبي / ١٤٠٥هـ مؤسسه التاريخ العربى بيروت.
٤٠. تفسير القمى، على بن إبراهيم بن هاشم القمى / الطبعة الثالثه، ١٤٠٤هـ مؤسسه دار الكتاب قم.
٤١. تفسير الكاشف، محمد جواد مغنيه / الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ دار الكتب الإسلاميه طهران.

٤٢. تفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي / الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ نشر دار الكتب العلميه بيروت.

٤٣. تفسير غريب القرآن الكريم، فخر الدين الطريحي / انتشارات الزاهدى قم.

٤٤. تفسير فرات الكوفى، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى / الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ مؤسسه الطبع والنشر فى وزاره الإرشاد الإسلامى.

٤٥. تفسير القرطبي (الجامع لإحكام القرآن)، محمد بن أحمد القرطبي / ١٤٠٥هـ نشر مؤسسه التاريخ العربى بيروت.

٤٦. تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدى القمى / الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين قم.

٤٧. تفسير المراغى، أحمد بن مصطفى المراغى / نشر دار إحياء التراث العربى بيروت.

٤٨. التفسير المنير فى العقيدته والشريعته والمنهج، وهبه بن مصطفى الزحيلي / الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ نشر دار الفكر المعاصر بيروت.

٤٩. تفسير نور الثقلين، عبد على بن جمعه العروسى الحويزى / الطبعة الرابعه، ١٤١٢هـ نشر مؤسسه اسماعيليان قم.

٥٠. تكمله حاشيه رد المختار، محمد علاء الدين بن عابدين / ١٤١٥هـ نشر دار الفكر بيروت.

٥١. التوحيد، محمد بن على بن الحسين القمى (الشيخ الصدوق) / الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين قم.

٥٢. جامع الأخبار، تاج الدين محمد بن محمد الشعيرى / الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ دار الرضى للنشر قم.

٥٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري / ١٤١٥هـ دار الفكر بيروت.
٥٤. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي / الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ مؤسسه الاعلمى للمطبوعات بيروت.
٥٥. الجديد في تفسير القرآن المجيد، محمد بن حبيب الله السبزواري / الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ دار التعارف للمطبوعات بيروت.
٥٦. الخرائج والجرائح، سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندى / الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ نشر مؤسسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قم.
٥٧. الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) / الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين قم.
٥٨. دائره المعارف الشيعيه العامه، محمد حسين الاعلمى / الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ نشر مؤسسه الأعلمى للمطبوعات بيروت.
٥٩. الدر المنثور، جلال الدين السيوطى / الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ نشر دار المعرفه.
٦٠. دروس فى علم الدرايه، أكرم بركات العاملى / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ منشورات سعيد بن جبير قم.
٦١. الدمعه الساكبه فى أحوال النبى والعترة الطاهره، محمد باقر عبد الكريم البهبهانى / الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ مؤسسه الأعلمى للمطبوعات بيروت.
٦٢. الدرعيه إلى تصانيف الشيعه، آقا بزرك الطهرانى / الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ نشر دار الأضواء بيروت.
٦٣. رجال ابن داود، تقى الدين الحسن بن على بن داود الحللى / ١٣٨٣هـ مؤسسه النشر فى جامعته طهران.

٦٤. رجال الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي الطوسي / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ مؤسسه النشر الإسلامى قم.
٦٥. رجال العلامة الحلى، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلى / ١٤١١هـ نشر دار الذخائر قم.
٦٦. رجال الكشى، محمد بن عمر الكشى / ١٣٤٨هـ مؤسسه النشر فى جامعه مشهد.
٦٧. رجال النجاشى، احمد بن علي النجاشى / ١٤٠٧هـ مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين قم.
٦٨. الرحله المدرسيه والمدرسه السياره، محمد جواد البلاغى / الطبعة الثانيه، ١٤١٤هـ نشر دار الزهراء بيروت.
٦٩. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى / ١٤٠٥هـ نشر دار القرآن الكريم قم.
٧٠. الرعايه لحال البدايه فى علم الدرايه، زين الدين العاملى (الشهيد الثانى) / الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامى قم.
٧١. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، محمود الآلوسى / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ نشر دار الكتب العلميه بيروت.
٧٢. زاد المسير فى علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى / الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ نشر دار الفكر بيروت.
٧٣. زبده التفاسير، المولى فتح الله الكاشانى / الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ نشر مؤسسه المعارف الإسلاميه قم.
٧٤. سعد السعود، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس / دار الذخائر قم.
٧٥. سيره العلامة الطباطبائى، كبار العلماء والأعلام / الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ نشر دار الهادى بيروت.
٧٦. شرح الأسماء الحسنى، هادى السبزوارى / مكتبه بصيرتى.

٧٧. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني.

٧٨. شرح نهج البلاغه، عبد الحميد بن هبه الله بن أبي الحديد / مكتبه آيه الله المرعشي النجفي قم.

٧٩. الشمس الساطعه، محمد الحسين الحسيني الطهراني / الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ نشر دار المحججه البيضاء بيروت.

٨٠. شواهد التنزيل، عبيد الله بن احمد بن محمد الحسكاني / الطبعة الأولى، ١٤١١هـ نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلاميه طهران.

٨١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي، إسماعيل بن حماد الجوهري / الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ دار العلم للملايين بيروت.

٨٢. الطرائف في معرفه مذاهب الطوائف، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس / ١٤٠٠هـ مطبعه الخيام قم.

٨٣. علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق) / نشر مكتبه الداوري قم.

٨٤. العلماء في عالم الرؤيا، فارس فقيه / الطبعة الاولى، ١٤٢٥هـ طليعه نور.

٨٥. عمده الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبه) / الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، نشر مكتبه آيه الله المرعشي قم.

٨٦. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني / عالم الكتب.

٨٧. فتح المعين، حسن بن علي السقاف / الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ نشر مكتبه الإمام النووي عمان.

٨٨. فرج الهموم في معرفه نهج الحلال من علم النجوم، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس / نشر دار الذخائر قم.

٨٩. الفهرست، محمد بن الحسن بن علي الطوسي / المكتبه الرضويه النجف الأشرف.

٩٠. فى ظلال التوحيد، جعفر السبحانى / ١٤١٢هـ معاونيه شؤون التعليم والبحوث الإسلاميه فى الحج.
٩١. القاموس الجامع للمصطلحات الفقيهيه، عبدالله عيسى الغديرى / الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ دار المحجبه البيضاء بيروت.
٩٢. القاموس المحيط، الفيروز آبادى.
٩٣. قصص الأنبياء (عليهم السلام)، نعمه الله الجزائرى / ١٤٠٤هـ مكتبه آيه الله المرعشى النجفى قم.
٩٤. الكافى، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى / الطبعة الرابعه، ١٣٦٥هـ دار الكتب الإسلاميه طهران.
٩٥. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمى / ١٣٩٨هـ دار المرتضويه للنشر النجف الأشرف.
٩٦. كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدى / الطبعة الثانيه، ١٤٠٩هـ مؤسسه دار الهجره.
٩٧. كربلاء منذ العهد البابلى حتى استشهاد الإمام الحسين، على عبود حسين أبو لحمه / الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٩٨. كشف الغطاء، جعفر كاشف الغطاء / نشر مهدوى أصفهان.
٩٩. كشف الغمه فى أحوال الأئمه عليهم السلام، على بن عيسى الأربلى / ١٣٨١هـ نشر مكتبه بنى هاشم تبريز.
١٠٠. الكشكول المبوب، حسين الشاكرى / الطبعة الخامسه، ١٤١٨هـ الناشر المؤلف.
١٠١. الكنى والألقاب، عباس القمى / الطبعة الثالثه، ١٣٨٩هـ المطبعه الحيدريه النجف الأشرف.

١٠٢. لسان العرب، العلامة جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور / الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ نشر أدب الحوزه.
١٠٣. المبدأ والمعاد، محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر المتألهين) / الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ نشر دار الهادي بيروت.
١٠٤. متشابه القرآن، محمد بن شهر آشوب المازندراني / ١٣٦٩هـ نشر دار بيدار.
١٠٥. المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمه الجياشي / الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ فقاهاهت قم.
١٠٦. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي / الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ مكتب نشر الثقافة الإسلامية.
١٠٧. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ مؤسسه الأعلمي للمطبوعات بيروت.
١٠٨. مجموعه ورام، ورام ابن أبي فراس / نشر مكتبه الفقيه قم.
١٠٩. محاسبه النفس، السيد علي بن طاووس الحلبي / الطبعة الثالثة نشر دار المرتضوى للنشر.
١١٠. المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي / الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ نشر دار الكتب الإسلامية قم.
١١١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ نشر دار الكتب العلميه بيروت.
١١٢. مزارات الأولياء في ارض كربلاء، عامر الكربلائي / الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ مطبعه الزوراء كربلاء.
١١٣. المسائل السرويه، الشيخ المفيد / الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ المؤتمر العالمي لألفيه الشيخ المفيد قم.

١١٤. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، حسین المحدث النوری / الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ نشر مؤسسه آل البيت لإحياء التراث قم.
١١٥. معانی الأخبار، محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی (الصدوق) / ١٤٠٣هـ مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرسين قم.
١١٦. معانی القرآن، أبی جعفر النحاس / الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ نشر جامعه أم القرى المملکه العربیه السعودیه.
١١٧. معجم ألفاظ الفقه الجعفری، أحمد فتح الله / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١١٨. معجم البلدان، یاقوت بن عبدالله الحموی / نشر دار إحياء التراث العربی بیروت.
١١٩. معجم رجال الحديث، أبو القاسم الموسوی الخوئی / الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ مرکز نشر الثقافه الإسلامیه.
١٢٠. معجم الفروق اللغویه، أبو هلال العسکری / الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ مؤسسه النشر الإسلامی قم.
١٢١. المعجم الفلسفی، جمیل صلیبا / الطبعة الأولى، ١٣٨٥ش ذوی القربی قم.
١٢٢. معجم المؤلفین، عمر رضا کحاله / نشر مکتبه المثنی بیروت.
١٢٣. معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال / الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ دار الجيل للنشر والطباعه بیروت.
١٢٤. معجم مصطلحات المنطق، جعفر الحسینی / الطبعة الأولى نشر دار الاعتصام.
١٢٥. المفردات فی غریب القرآن، الحسین بن محمد الراغب الأصفهانی / الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ دفتر نشر الكتاب.
١٢٦. من أعلام الفكر والقیاده المرجعیه، عبد الکریم آل نجف / الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ نشر دار المحججه البیضاء بیروت.

١٢٧. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني / دار المعرفه بيروت.
١٢٨. المناقب، محمد بن شهر آشوب المازندراني / ١٣٧٩هـ مؤسسه العلامه للنشر قم.
١٢٩. منامات العلماء الصالحين، فارس فقيه / الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ طليعه نور.
١٣٠. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوى / الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ نشر مؤسسه المواهب بيروت.
١٣١. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق) / الطبعة الثالثه، ١٤١٣هـ مؤسسه النشر الإسلامى قم.
١٣٢. المنهج الجديد فى تعليم الفلسفه، محمد تقى مصباح اليزدى / ١٤١٨هـ دار التعارف للمطبوعات بيروت.
١٣٣. موسوعه أنساب العشائر العراقيه (الساده العلويون)، ثامر عبد الحسن العامرى / الطبعة الأولى، ٢٠٠٤هـ منشورات دار الهدى.
١٣٤. موسوعه العتبات المقدسه (قسم كربلاء)، جعفر الخليلي / الطبعة الثانيه، ١٤٠٧هـ مؤسسه الأعلمى للمطبوعات بيروت.
١٣٥. الموسوعه العربيه الميسره والموسعه، ياسين صلاواتي / الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ نشر مؤسسه التاريخ العربى بيروت.
١٣٦. الميزان فى تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائى / مؤسسه النشر الإسلاميه التابعه لجماعه المدرسين قم المشرفه.
١٣٧. نصوص المصطلح الصوفى فى الإسلام، نطله الجبورى / ١٩٩٩م مطبعه اليرموك بغداد.
١٣٨. نقد الرجال، مصطفى بن الحسين التفرشى / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ نشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث قم.

١٣٩. نظريه المعرفة والإدراكات الاعتباريه عند العلامه الطباطبائي، على أمين جابر آل صفا / الطبعه الأولى، ١٤٢٢هـ نشر دار الهادي بيروت.

١٤٠. النهايه في غريب الحديث، أبي السعادات بن محمد ابن الأثير / الطبعه الرابعه، ١٣٦٤ش مؤسسه إسماعيليان قم.

١٤١. نهج البلاغه، محمد بن الحسين (الشريف الرضي) / دار الهجره للنشر قم.

ص: ٣١٥

المحتويات

مقدمه القسم

كلمه لا بد منها

المقدمه

العمل فى هذا الكتاب

ترجمه المؤلف

اسمه وشهرته

أسرته ونسبه

ولادته

نبذه من سيرته

تربيته ونشأته

أخلاقه

تواضعه

زهده

قله الكلام

أب عطوف وزوج مثالي

الاهتمام بالوقت

السيره الروحيه

أسراره الروحيه

عبادته

قارئ القرآن

عاشق أهل البيت عليهم السلام

منزلته العلميه

قالوا فيه

أولاده

إجازاته بالاجتهاد والروايه

مشايخه

تلامذته

تصانيفه ومؤلفاته

وفاته

مقدمه المترجم

الفصل الأول: الموت والأجل

الموت والأجل

الموت انتقال من عالم إلى آخر

الروح تنتقل مع الموت.

من الذى يتوفى الأنفس؟

الموت يكشف الحقيقه للإنسان

التبشير بالسعاده أو الشقاء بعد الموت

الفصل الثانى: البرزخ

البرزخ

تجسم الأعمال

المتوسطون لا يخضعون إلى الحساب

تجسم الأرواح فى البرزخ

لقاء الأموات بذويهم

حديث الشيطان مع أتباعه فى القبر

الفصل الثالث: النفخ فى الصور

النفخ فى الصور

الذين يستنون من حكم النفخ فى الصور

الآخرة بعد الدنيا

الآيات الداله على أحوال القيامة

الفصل الرابع: صفات يوم القيامة

صفات يوم القيامة

بطلان الأسباب فى يوم القيامة

يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا

«القيامة» محيطه بالدنيا والبرزخ

ظهور البارى عز وجل فى ذلك اليوم

تبدد الظلمه يوم القيامة

الفصل الخامس: بعث الإنسان للمساءله

بعث الإنسان للمساءله

سير الأرواح إلى خالقها

الفصل السادس: الصراط

الصراط

الفصل السابع: الميزان

الميزان

الفصل الثامن: صحيفه الأعمال

صحيفه الأعمال

الفصل التاسع: الشهداء فى يوم البعث

الشهداء فى يوم البعث

مراتب الشهداء

المصادر

المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩